غير مخصص للبيع

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٣) العدد (٢) صفر ١٤٢٥ هـ - ابريل ٢٠٠٤م -

نظرية التأميم فى الفقه الإسلامى

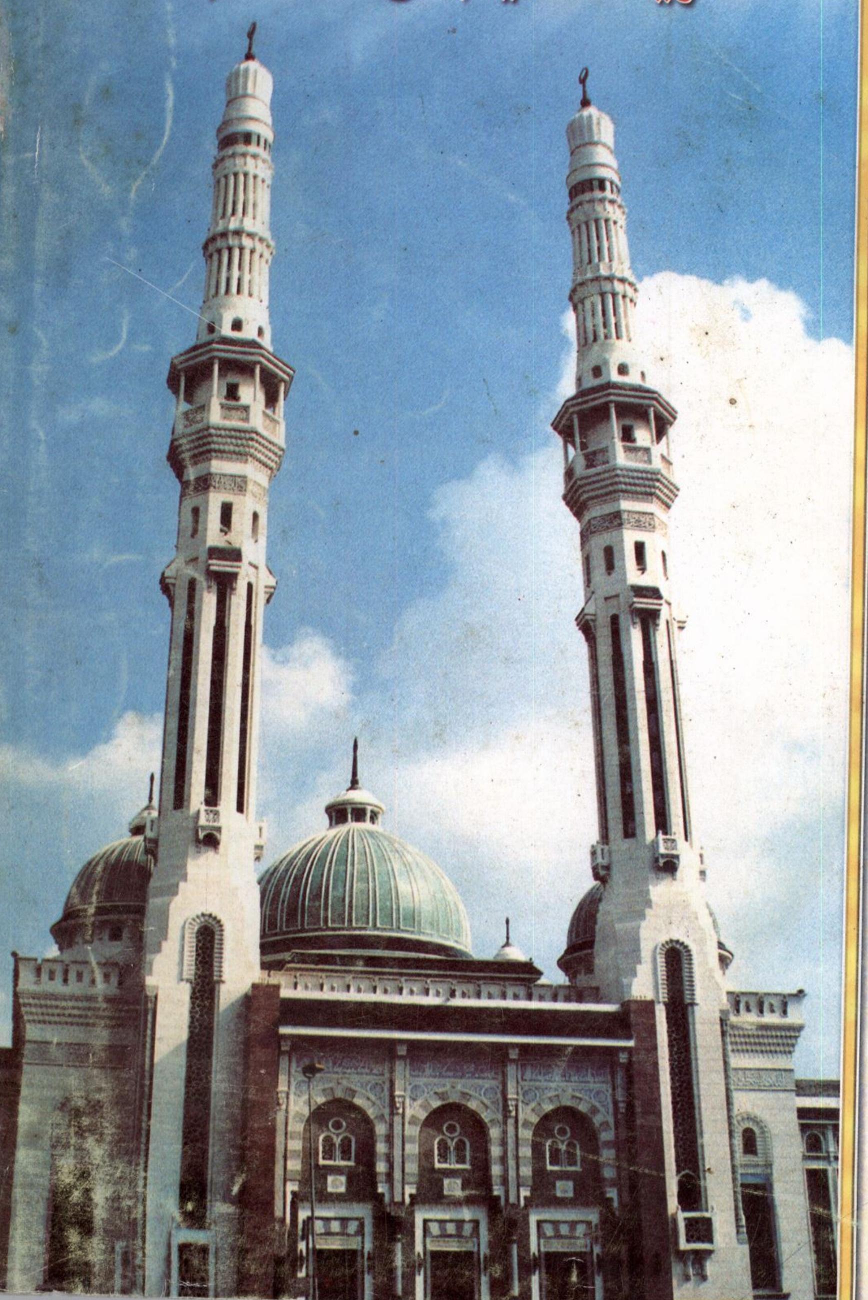

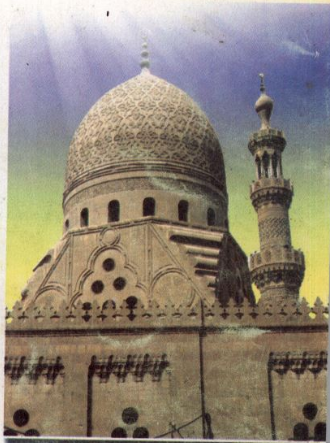

ـديث القرآن
عن العلم

ـصاف الإسلام للمرأة

تجديد الخطاب الدينى

ـر الفكر الإسلامى فى مناهج
الإصلاح الدينى فى أوربا

الإحكام والثبات فى
ـجسام المخلوقات

ـفاهيم غريبة عن الإسلام

من محتويات العدد

□ تفسير سورة القلم

أ. د. محمد سيد طنطاوى

□ حديث القرآن عن العلم

أ. د. محمد نبيل غنايم

□ أنواع الحديث الضعيف الناتجة عن فقد شرط الاتصال

أ. د. أحمد عمر هاشم

□ الانفتاح على حضارات الأمم

أ. د. أحمد عبدالرحيم السايح

□ الأسرة فى الإسلام

د. سالم عبدالجليل

□ دعوة الإسلام إلى النظر والتفكر فى خلق الله

فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف

□ الدكتور محمود عبده سلام رائد صناعة الدواء فى مصر

أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة

□ إعجاز الكتاب فى وصف السحاب

أ. د. كارم السيد غنيم

غلاف الشهر

• مشهد لمسجد السيدة سكينة بالقاهرة وهو أحد المساجد التاريخية العريقة التى تحظي باهتمام كبير من جانب الدولة بالإعمار والترميم. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ التوبة: آية ١٨.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣,٥ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

هذا عدد جديد تقدم منبر الإسلام فيه كل ماهو جديد تحقيقا للتفاعل والتواصل البناء مع قرائها الأعزاء كما عهدنا دائما العطاء والمزيد من الأعمال المتنوعة والمتميزة والتى تواكب الأحداث الجارية على الساحتين المحلية والعالمية.

تفتتح المجلة صفحاتها بمقال رئيس التحرير الذى أكد على ضرورة استئصال الإرهاب واقتلاع جذوره بعد أن أصبح يهدد العالم كله ببشاعته التى تدمى القلوب متسائلا هل هذا العنف الذى يلف العالم أيمكن أن تكون له نهاية؟ فإذا لم تحرر البشرية من هؤلاء «الفراعنة والقوارين» فلا سلام ولا خير، فما حدث فى اسبانيا مؤخرا من عمل إرهابى خطير فى ثلاث محطات للقطارات ليس موجها أبدا إلى الشعب الأسبانى وحده لكنه رسالة لها أبعادها الخطيرة الكبيرة إلى الحكومة القائمة وإلى سياستها الخارجية وعلى العالم الغربى أن يزرع عدلا كى يحصد مودة ومحبة.

كما نقدم لك عزيزى القارئ فى هذا العدد عرضا تحليليا للمفاهيم الغربية حول الإسلام وكيفية تصحيح الأخطاء التى تلصق زورا وبهتانا بالإسلام الذى يعترف بالآخر الذى هو خلق لله وهو المأمور بعمارة الأرض. كما يلفت النظر إلى المغالطات والتحريفات التى تشتمل عليها الترجمات للقرآن الكريم التى أصبحت المصدر الأول لتشويه الإسلام فى أعين الغربيين، وفى جانب الحضارة والعلوم نقدم موضوعات حول الفكر الإسلامى وأثره فى مناهج الإصلاح الدينى فى أوروبا والإحكام والثبات فى المخلوقات. هذا إلى جانب الشخصيات التى أثرت الفكر الإسلامى والتى لها علامات بارزة فى تاريخ الإسلام. وفى جانب الفقه نعرض لنظرية التأميم في الفقه الإسلامى وقضايا الأسرة والمرأة فى الإسلام، هذا بالإضافة إلى الأبواب التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

هذا العنف الذى يلُفّ العالم

حديث الشهر

ما حدث فى «مدريد» يدمى كل القلوب لكن من المسئول؟

الفزع الأكبر..

المواطنون الأسبان كانوا فى ذلك الصباح الحادى عشر من مارس متجهين إلى أعمالهم، والشباب والشابات فى الطريق إلى المدارس، والآباء والأمهات فى طريقهن إلى أعمالهن أو فى معية أطفالهن إما إلى نزهة خلوية وإما إلى زيارة بعض الأقارب والأصدقاء.

أ.د. عبدالصبور مرزوق

مالم تتحرر البشرية من «الفراعنة» و«القوارين» فلا سلام ولا خير

الجميع كانوا على حال من الطمأنينة العامة والداخلية مشغولات ومشغولين بما خرجوا لأدائه، ينتظر كل منهم «المحطة» التى سينزل فيها غير متوجسين خشية من أى خطر ولا متوقعين شرا من أى ناحية.

حتى وقعت الواقعة وزلزل الزلزال الذى جعل عربات القطارات يصعد بعضها فوق البعض، وتتطاير أشلاؤها لتسقط على الواقفين والقاعدين، ويتحول زجاج نوافذها إلى رصاص يصيب كل شىء ويدمر كل شىء!!

وإذا الفزع الأكبر يلف الجميع فى ردائه الرهيب البشع الذى عجزت الأفهام والعقول أن تدرك ماذا حدث؟ وهل تلك نهايته أم بدايته، وبدا الجميع وكأنهم فى مثل حال الخلق يوم تقوم القيامة التى تحدث القرآن عن هولها فى قوله تعالى: **﴿وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾** الحج: آية ٢.

***

واستقرت أنباء الفزع الأكبر على أن ثمة عملا إرهابيا كبيرا وخطيراً وقع فى ثلاث محطات للقطار فى ساعة واحدة لكنه فى أماكن ثلاث يعنى وقوعه فيها أن الجهة التى دبرت لهذا

يمكن أن تكون له نهاية؟

الهول العظيم تملك من قوة التفكير وقوة التنفيذ وإمكانية العمل ومن سرية التخطيط ومن الإرادة التى تفوق فى بأسها قوة الحديد أو الصلب بحيث انمحى من قاموسها وقوع أى لحظة من خوف أو عجز أو تردد، واستحال القائمون بها إلى ما يشبه صورة الإنسان الآلى (الروبوت) الذى ينفذ ماهو مبرمج عليه دون أى إحساس بالضعف وأى اهتمام بما ينتهى إليه ما يقوم به من حصد الأرواح التى قالت الأخبار إنها بلغت: مائتى قتيل وألفا وخمسمائة جريح.

***

من وراء هذا الفزع الأكبر؟

وبعيدا عما قامت به السلطات المختصة فى اسبانيا من إجراءات إنقاذ الأحياء واستخراج الجثث من بين حطام القطارات!!

وبالرغم مما حفلت به وسائل الإعلام المحلى والعالمى من تغطية إخبارية وتفاصيل ما جرى!!

لكن أخطر وأهم ما كان يشغل الجميع داخل اسبانيا وخارجها هو محاولة الإجابة على السؤال الذى فرض نفسه:

من هم وراء هذا الهول الكبير الذى ضرب اسبانيا حكومة وشعبا؟ ومن هم أصحاب هذه الرسالة الدموية وإلى من وجهوها؟ وماذا يمكن أن تحدثه من أصداء داخل اسبانيا وخارجها؟

وكثرت الاجتهادات وتضاربت التحليلات خاصة وأن الحادث وقع عشية الغد الذى يبدأ فيه الشعب الاسبانى لدخول انتخابات كان موعدها مقررا من قبل.

كثرت الاجتهادات وكان أكثرها تكرارا أن منظمة «إيتا» الاسبانية المعارضة للحكومة صانعة هذا البلاء.

لكن اجتهادا آخر بعد يوم ونصف تقريبا من الحدث (٣٨ ساعة) خرج يقول إن بعض مسئولى الأمن الاسبانى عثروا فى سيارة نقل صغيرة على بعض أشرطة التسجيل وبعض الرسائل مكتوبة بلغة عربية. وأنها عن جماعة تعلن مسئوليتها عن الحادث!

ثم كان خبرا آخر بعد هذا بأقل من نصف يوم بالعثور على شريط تسجيل لرجل يتحدث المغربية يعلن أنه من تنظيم القاعدة وأن هذا التنظيم هو المسئول عما حدث.

وإلى هذا الخبر استراحت الأجهزة الحكومية ورئيسها «أزنار» وأعلنت أن ما وقع فى اسبانيا عمل إرهابى (خارجى) من أعمال تنظيم القاعدة.

***

نتائج الانتخابات

وبينما كانت الأجهزة الحكومية غارقة فى محاولاتها لترجيح هذا الاحتمال أو ذاك، فقد جاءت نتائج الانتخابات لتضع على أرض الواقع الاسبانى القسمات والملامح الآتية:

إن ما جرى ليس موجها أبدا إلى الشعب الأسبانى لكنه رسالة لها أبعادها الكبيرة والخطيرة إلى الحكومة القائمة وإلى سياستها الخارجية بالذات وإلى موقفها المتحالف والمنحاز مع السياسة الأمريكية والمؤيد لها فى حربها على العراق.

وما أن غربت شمس يوم الانتخابات حتى صنعت هى الأخرى زلزالا مدنيا وسياسيا - غير دموى - لكن فيه من العنف فى النتائج مالم يصنعه البارود والديناميت.

***

لقد أعلنت نتائج الانتخابات:

أولا: أن رئيس الحكومة الأسبانى (أزنار) التابع

والمنحاز للسياسة الأمريكية يجب عليه فورا أن يتخلى عن موقعه للرئيس الجديد الذى فرضه الشعب الأسبانى فى اختياره الحر الكبير.

ثانيا: ما أن ظهرت نتائج الانتخابات حتى كانت أولى تصريحات الرئيس الجديد:

* أنه يعتبر أن مشاركة أسبانيا فى الحرب على العراق كانت كارثة.

* أن على أسبانيا أن تسحب جنودها الموجودين على أرض العراق بحلول الثلاثين من يونيو عام ٢٠٠٤م.

***

وكان من أبرز تصريحات رئيس الوزراء الأسبانى الجديد:

❖ أن على رئيسى الولايات المتحدة وبريطانيا أن يراجعا سياستهما الخاطئة وغير الدقيقة فيما أعلناه قبل الحرب من اتهامات ظالمة للنظام العراقى بخصوص مسألة امتلاك أسلحة الدمار الشامل.

وجميعها مواقف وتصريحات درامية اهتز لها العالم واهتزت لها أوروبا بوصف خاص وأمريكا بوصف أخص مما حدا بالرئيس الأمريكى إلى الاتصال برئيس الحكومة الأسبانية الجديد وتهنئته برئاسة الوزارة.

لكن هذا كله جانب وثمة جانب آخر لابد من الحديث عنه.

***

محاولة الزج بالإسلام فى الكارثة

أقول: يبدو أن العالم الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة أصبح مصابا بعقدة «بن لادن والإسلام» أنه بات من رد الفعل العفوى لدى أمريكا خاصة - إذا انفجر إطار سيارة فى إحدى المدن الأمريكية أن يقول: إن وراءه أسامة بن لادن وأن وراءه الإرهابيون المسلمون؟؟!

والمحزن والمخزى فى وقت معا أن بعض التابعين للنهج الأوروبى يرددون هذه الأقوال كما ترددها الببغاوات، وهنا أقول لهؤلاء ولمن يقتدون بهم فى أوروبا وأمريكا إن الإسلام دين سلام ورفق وعدل وإنسانية.

وأن الإرهاب الذى تتحدثون عنه والذى هو كامن فى سياساتكم وتصرفاتكم، وفى انحيازكم الواضح ضد الحق والعدل وضد المصالح الحقيقية لشعوبنا العربية والإسلامية هو الإرهاب وهو وحده الذى يصنع ويفرخ الإرهاب.

محور الشر الأعظم كامن بين «البروتوكولات» و«التلمود»

أقول للعالم الغربى: الأمريكى والأوروبى:

ازرعوا عدلا تحصدوا مودة ومحبة.

وازرعوا ديموقراطية توازنون فيها بين المصالح الإنسانية العالمية وبين مصالح بلادكم خاصة ومعكم إسرائيل دون أى اعتبار للمصالح الأخرى للشعوب.

اصنعوا ذلك تحصدوا أمنا وسلاما، وتزيحوا الإرهاب - وأى نوع من الإرهاب - من كل بلاد العالم..

وكفاكم إهدارا لدماء شعبينا العربيين فى فلسطين والعراق.

وكفاكم إغماض العيون عما تنقادون إليه من الأفكار الصهيونية عن:

* المسيح الصهيونى.
* نبوءة حزقيال ومعركة هارماجدون.
* بروتوكولات حكماء صهيون.

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة القلم
- حديث القرآن عن العلم

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «القلـــم»

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا
يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ
(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ
(٥) بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
(٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ
فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠)
هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
(١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ
وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾
الآيات: ١ ـ ١٦

١ ـ ذكرنا فى المقال السابق بشىء من التفصيل المقاصد الإجمالية لسورة **«القلم»**، وأقوال العلماء فى المقصود بالحروف المقطعة التى افتتحت بها تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم، ورجحنا أن هذه الحروف جىء بها فى ابتداء بعض السور للإشارة إلى إعجاز القرآن الكريم.

والواو فى قوله ـ تعالى ـ: **﴿والقلم﴾** هى واو القسم، وجواب القسم، هو ما جاء بعد ذلك من قوله ـ تعالى ـ: **﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون.. و.....﴾**.

أى: وحق القلم الذى يكتب به الكاتبون من مخلوقاتنا المتعددة التى لا يعلمها أحد سوانا، إنك ـ أيها الرسول الكريم ـ لمبرأ مما اتهمك به أعداؤك من الجنون.

ونفى ـ سبحانه ـ عن رسوله ﷺ الجنون بأبلغ وجه، وبأحكم أسلوب، لأن المشركين كثيرا ما كانوا يصفون الرسول ﷺ بهذا الوصف، كما فى قوله ـ تعالى ـ حكاية عنهم فى أواخر هذه السورة: **﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾**، وفى

إضافته ﷺ إلى الرب - عز وجل - فى قوله **﴿ما أنت بنعمة ربك..﴾**: مزيد إشعار بالتسلية والقرب والمحبة، ومزيد إشعار - أيضا - بنفى ما افتراه الجاهلون من كونه ﷺ مجنونا، لأن هذه الصفة، لا تجتمع فى عبد أنعم الله - تعالى - عليه بنعم لا تحصى، واصطفاه لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، ومنحه من الخلق الكريم، والعقل السليم، ما جعل كل من عرفه قبل النبوة يشهد بصدقه وأمانته.

٢ - ثم بشر - سبحانه - نبيه ﷺ ببشارة ثانية فقال: **﴿وإن لك لأجرا غير ممنون﴾**، ولفظ **«ممنون»** مأخوذ من المَنِّ بمعنى القطع، تقول: مننت الحبل، إذا قطعته.

والمعنى: وإن لك - أيها الرسول الكريم - عندنا لأجرا عظيما لا يعلم مقداره إلا خالقك - عزوجل -، وهذا الأجر غير مقطوع، بل هو متصل ودائم.

ثم أثنى - سبحانه - عليه بأجمل ثناء وأطيبه وأكمله فقال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**.

والخُلق - كما يقول الإمام الفخر الرازى - ملكة نفسية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأقوال الطيبة، وبالأفعال الجميلة، وبالسلوك القويم..».

ولفظ **«العظيم»** بمعنى الرفيع القدر، الجليل الشأن، السامى المنزلة، المتميز عن غيره فى كل فضيلة.

والمعنى: وإنك - أيها الرسول الكريم - لعلى دين عظيم، وعلى خلق كريم، وعلى سلوك قويم، فى كل ما تأتيه وفى كل ما تتركه من أقوال ومن أعمال.

والتعبير بحرف «على» يشعر بتمكنه ﷺ وبرسوخه فى كل خلق كريم، وهذا أبلغ رد على أولئك الجاهلين الذين وصفوه بالجنون، لأن الجنون سفه لا يحسن معه التصرف، أما الخلق العظيم، فهو أرقى منازل الكمال، فى عظماء الرجال، وإن القلم ليعجز عن بيان ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة، من ثناء من الله - تعالى - على نبيه محمد ﷺ.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية الكريمة ما ملخصه: «قال قتادة: ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن معنى هذه الآية فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. فقالت: فإن خلق رسول الله ﷺ

كان القرآن.

ومعنى هذا، أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرا ونهيا، سجية له وخلقا وطبعا، فما أمره به القرآن فعله، وما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق الكريم كالحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة.. وكيف لا يكون ﷺ جماع كل خلق كريم وهو القائل: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

٣ - ثم بشره خالقه - عز وجل - ببشارات أخرى فقال: **﴿فستبصر ويبصرون* بأيكم المفتون* إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**.

والفاء فى قوله - تعالى - «فستبصر» للتفريع على ما تقدم من

قوله - سبحانه -: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾، والفعل «تبصر ويبصرون» من الإبصار الذى هو الرؤية بالعينين، وقيل الإبصار هنا بمعنى العلم.

ولفظ «المفتون»: اسم مفعول، وهو الذى أصابته فتنة أدت إلى جنونه، والعرب كانوا يقولون للشخص المجنون: فتنته الجن. أو هو الذى اضطرب أمره، واختل تكوينه، وضعف تفكيره، كأولئك المشركين الذين قالوا فى النبى ﷺ أقوالا لا يقولها عاقل.

والمعنى: لقد ذكرنا لك - أيها الرسول الكريم - أنك بعيد عما اتهمك به أعداؤك، وأن لك عندنا المنزلة التى ليس بعدها منزلة، ومادام الأمر كذلك فسترى وستعلم، وسيرى وسيعلم أعداؤك، فى أى فريق منكم الإصابة بالجنون؟ أفى فريق المؤمنين أم بفريق المشركين؟ وقوله - تعالى -: **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**: تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد، وتأكيد لوعده ﷺ بالنصر، ولوعيدهم بالخيبة والخسران.

أى: إن ربك - أيها الرسول الكريم - الذى خلقك فسواك فعدلك، هو أعلم بمن ضل عن طريقه، وبمن أعرض عن طريق الحق والصواب، وهو - سبحانه - أعلم بالمهتدين الذين اهتدوا إلى ما ينفعهم ويسعدهم فى دنياهم وفى آخرتهم.

ومادام الأمر كذلك، فذرهم فى طغيانهم يعمهون، وسر فى طريقك، فستكون العاقبة لك ولأتباعك.

٤ - ثم أرشده - سبحانه - إلى جانب من مسالكهم الخبيثة، وصفاتهم القبيحة، وحذره من الاستجابة إلى شىء من مقترحاتهم فقال: **﴿فلا تطع المكذبين* ودوا لو تدهن فيدهنون﴾**.

وقوله - سبحانه -: **﴿ودوا﴾** من الود بمعنى المحبة. وقوله - تعالى -: **﴿تدهن﴾** من الادهان بمعنى المسايرة والمصانعة والملاينة للغير. وأصله أن يجعل على الشىء دهنا لكى يلين، أو لكى يحسن شكله، ثم استعير هذا المعنى للملاينة والمساهلة مع الغير.

والمعنى: إن ربك - أيها الرسول الكريم - لا يخفى عليه شىء من أحوالك ومن أحوالهم، ومادام الأمر كذلك، فاحذر أن تطيع هؤلاء المكذبين مما يقترحونه عليك، فإنهم أحبوا وتمنوا أن تقبل بعض مقترحاتهم، وأن تطاوعهم وتلاينهم فيما يريدونه منك، وهم حينئذ يظهرون لك من جانبهم الملاينة والمصانعة، حتى لكأنهم يميلون نحو الاستجابة لك، وترك إيذائك وإيذاء أصحابك.

فالآية الكريمة تشير إلى بعض المساومات التى عرضها المشركون على النبى ﷺ وما أكثرها، ومنها ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته، من أن بعض زعماء المشركين قالوا للنبى ﷺ: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد يوما أو شهرا، وأنت تعبد ما نعبد يوما أو شهرا، فنشترك نحن وأنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه، فنزلت سورة «الكافرون».

ومنها: ما دار بينه ﷺ وبين الوليد بن المغيرة تارة، وبينه وبين عتبة بن ربيعة تارة أخرى، مما هو معروف فى كتب السيرة.

ولقد قال الرسول ﷺ لعمه أبى طالب عندما نصحه بأن يترك المشركين وشأنهم وقال له: ياابن أخى أشفق على نفسك وعلىّ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق.

قال له ﷺ: يا عماه: والله لو وضعوا الشمس فى يمينى،

والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

والتعبير بقوله: **﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾** يشير إلى أن الملاينة والمصانعة كانت منهم لا منه ﷺ، فهم الذين كانوا يحبون منه أن يستجيب لمقترحاتهم، لكى يقابلوا ذلك بالتظاهر بأنهم على صلة طيبة به وبأصحابه.

٥ - ثم أكد - سبحانه - التحذير لنبيه ﷺ من كل مشرك كذوب بعيد عن كل خير فقال: **﴿ولا تطع كل حلاف مهين* هماز مشاء بنميم* مناع للخير معتد أثيم* عتل بعد ذلك زنيم* أن كان ذا مال وبنين* إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين* سنسمه على الخرطوم﴾**.

أى: ولا تطع - أيها الرسول الكريم - كل إنسان كثير الحلف بالباطل، وكل من كان مهينا حقيرا **«هماز»** أى: عياب للناس، من الهمز بمعنى الطعن للشىء بعود أو نحوه، ثم أستعير لكل شخص يؤذى الناس بلسانه وبعينه وبإشارته، ويقع فيهم بالسوء.

﴿مشاء بنميم﴾ أى: نقَّال للحديث السيئ لكى يفسد بين الناس، ويسعى فيهم بالفساد بسرعة وسوء نية.

﴿مناع للخير﴾ أى: هو شديد المنع لكل ماهو خير، ولكل من يستحقه لاسيما إذا كان من المؤمنين.

﴿معتد أثيم﴾ أى: هو كثير العدوان على الناس، ومبالغ فى ارتكابه للآثام، لا يترك سيئة دون أن يرتكبها.

وقد جاءت هذه الأوصاف الذميمة لهذا الإنسان بصيغة المبالغة، للإشعار برسوخه فيها، وباقترافه لها بسرعة وشدة.

﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ والعتل: هو الشخص الجاف الغليظ القاسى القلب، الفظ الطبع، الملتهم لكل شىء سواء أكان حلالا أو حراما. **والزنيم**: هو اللصيق بالقوم دون أن يكون منهم، وإنما هو لصيق بهم، حتى لكأنه فيهم كالزنمة وهى قطعة اللحم التى تتدلى من عنق الشاة أو ما يشابهها، فهذه مجموعة من الصفات القبيحة ساقها الله - تعالى - للتحذير من كل شخص هذه صفاته، وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى شأن الوليد بن المغيرة.

وقوله - تعالى -: **﴿أن كان ذا مال وبنين﴾** متعلق بقوله - تعالى - قبل ذلك: **﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾**.

أى: لا تطع - أيها الرسول الكريم - من كانت هذه صفاته، مهما كثرت أمواله، ومهما كثر نسله، فإن أمواله وأولاده لن يغنوا عنه من عذاب الله - تعالى - شيئا.

وقوله: **﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾** بيان لأصالته فى الكذب والفجور.

أى: لا تطع من كانت هذه صفاته - أيها الرسول الكريم - فإنه لجهله وغروره وجحوده للحق، إذا قرئت عليه آياتنا الدالة على صدقك، انصرف عنها وقال إنها أكاذيب السابقين وترهاتهم.

ثم ختم - سبحانه - هذه الآيات بأشد ألوان العذاب لمن كانت هذه صفاته فقال: **﴿سنسمه على الخرطوم﴾**. والوسم: العلامة التى تظهر صاحبها. والمراد بالخرطوم هنا: الأنف.

والمعنى: سنبين أمر هذا الشقى ونوضحه توضيحا يجعل الناس يعرفونه معرفة تامة، وسنلحق به عارا لا يفارقه، بل يلازمه ملازمة تامة.

ومما لاشك فيه أن وقع هذه الآيات على الوليد بن المغيرة وأمثاله، كان قاصما لظهورهم، ممزقا لكيانهم، هادما لما كانوا يتفاخرون به من أمجاد زائفة.

كذلك كانت هذه الآيات تسلية للرسول ﷺ ولأصحابه، عما أصابهم من أذى من أولئك الحلافين بالباطل والزور، المشائين بين الناس بالنميمة، المناعين لكل خير وبر.

العلم فى الإسلام

حديث القرآن عن العلم

أ. د: محمد نبيل غنايم

العلم ضرورة دينية وثقافية واجتماعية واقتصادية وحياتية ودنيوية وأخروية، ومن هنا كان طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، ورفع الله مكانة أهله بعد الأنبياء والمرسلين، وجعل أهل العلم ورثة الأنبياء، وجعلهم الله تعالى أهل خشيته وتوحيده، وأمر ملائكته بالجلوس معهم والاستماع إليهم والاستغفار لهم، فلا غرو إن كانت أول أوامر الوحى الإلهى بالقراءة والعلم، ولا غرو أن فضل الله آدم على الملائكة بالعلم، ولما كان للعلم هذه المنزلة التى انطلقت بالمسلمين إلى سيادة العالم شرقا وغربا، ثم تراجعهم عن هذه السيادة لما قصروا فى طلبه وتأخروا عن مركز الريادة والقيادة فيه تجىء هذه المقالة وما بعدها استنهاضا للهمم وإحياء لما مات أو كاد يموت.

وردت مادة العلم فى القرآن الكريم خمسا وستين وثمانمائة مرة منها ما جاء بلفظ الماضى، ومنها ما جاء بصيغة المضارع، ومنها ما جاء بصيغة الأمر، ومنها ما جاء مسندا إلى الله تعالى وما جاء مسندا إلى غيره ومنها ما جاء بصيغة اسم الفاعل مفردا وجمعا، ومنها ما جاء بصيغة المبالغة(١) فمن ذلك قوله تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ ـ٥.، وقوله تعالى: **﴿الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان﴾** الرحمن: الايات ١ ـ ٤. وقوله تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون* وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم* قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض**

وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ البقرة: الآيات ٣٠ - ٣٣. وقوله تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾**، فاطر: آية ٢٨، وقوله تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾** المجادلة: آية ١١.

وقوله تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾** آل عمران: آية ١٨، إلى غير ذلك من الآيات التى بلغت كما ذكرنا (٨٦٥) ثمانمائة وخمسا وستين مرة مما يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام الإسلام بالعلم وتقديره للعلم ودعوته للعلم وتقديره للعلماء واختياره العلم سبيلا إلى الرقى والتقدم والسعادة فى الدنيا والآخرة وإلى الحصول على أعلى درجات الجنة، ومن هنا كانت دعوة القرآن إلى العلم طلبا وتعليما وكان حثه وأمره أن ندعو الله عز وجل أن يزيدنا منه كما قال وقوله الحق **﴿وقل رب زدنى علما﴾** طه: آية ١١٤، وكان دعاء الرسول ﷺ **«اللهم انفعنى بما علمتنى، وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال»**(٢)، وقد أفاض المفسرون رحمهم الله تعالى فى بيان هذه الآيات التى ذكرنا نماذج منها ليبينوا فضل العلم والعلماء وقيمة العلم فى الإسلام فهو الذى فضل الله به آدم على الملائكة، وهو الذى فضل الله به أنبياءه على خلقه، وهو الذى فضل به الإنسان على الحيوان، وهو الذى عن طريقه نعرف الله ونعبده، ونعرف مالنا وما علينا، ونعرف ما لغيرنا وما عليهم، ونعرف أسرار الكون والحياة وآيات الله عز وجل وسننه ودلائل وجوده وعظمته وقدرته إلى غير ذلك مما تقوم عليه وبه حياتنا وحياة من حولنا ففى معنى قوله تعالى: **﴿الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** وهى أول ما نزل من القرآن، وهى أبرز دليل على أن هذا الدين دين العلم ورسالته جاءت بالعلم وتعتمد على العلم يقول ابن كثير: ومن كرمه تعالى أن علم الإنسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون فى الأذهان، وتارة يكون فى اللسان، وتارة يكون فى الكتابة بالبيان ذهنى ولفظى ورسمى فلهذا قال **﴿اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾**، وفى الأثر **«من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم»**(٣)، كما أخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه حين أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال: **﴿الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان﴾** الرحمن: الآيات ١ - ٤، قال الحسن: يعنى النطق، وقال الضحاك يعنى الخير والشر، وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى لأن السياق فى تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها على اختلاف مخارجها وأنواعها(٤)، وكان العلم

دعا الإسلام إلى العلم وجعله سبيلا إلى الرقى والتقدم والسعادة فى الدنيا والآخرة

بالأشياء سبب تفضيل آدم على الملائكة فقد علمه الله تعالى دونهم واختصه بما حرمهم منه فقال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ قال الطبرى: اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى علمها آدم ثم عرضها على الملائكة فقال ابن عباس: علم الله آدم الأسماء كلها، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس، إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها وعن مجاهد قال: علمه اسم كل شىء، وعن سعيد بن جبير قال: علمه اسم كل شىء حتى البعير والشاة والبقرة، وعن قتادة قال: علمه اسم كل شىء، هذه الخيل وهذه البغال، والإبل والجن والوحش وجعل يسمى كل شىء باسمه، وقال آخرون: علم آدم الأسماء كلها: أسماء الملائكة.. وقال آخرون: إنما علمه أسماء ذريته كلها، قال الطبرى: وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة قول من قال أنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون سائر أسماء أجناس الخلق(٥).

ونحن نرجح التعميم كما ذكر ابن عباس وليس التخصيص كما رجح الطبرى وذلك أننا فى مقام التفضيل والتكريم والاستخلاف وذلك لا يتضح إلا إذا كان آدم عليه السلام قد تفوق على الملائكة فى معرفة أسماء كل شىء وليس معرفة أسماء معينة مخصوصة، قال القرطبى بعد أن ذكر تفسير ابن عباس وغيره: «قلت وقد روى هذا المعنى مرفوعا على ما يأتى وهو الذى يقتضيه لفظ «**كلها**» إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم، وفى البخارى(٦) من حديث أنس عن النبى ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء»(٧)، الحديث. وهذا الذى رجحناه ورجحه القرطبى رجحه ابن كثير أيضا حيث قال عند تفسير هذه الآية الكريمة «هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شىء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، إنما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم مالا يعلمون، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم فى العلم، ثم قال: والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها وصفاتها وأفعالها(٨).

جمع الله تعالى بين الملائكة وأولى العلم فى الشهادة له بالوحدانية

والعلماء هم أكثر الناس خشية لله تعالى وطاعة له لأنهم أكثر الناس معرفة به واطلاعا على آياته ودلائل قدرته، ولذا مجدهم الله تعالى وأثنى عليهم بأسلوب الحصر البليغ ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ وكأنهم من كثرة خشيتهم لله تعالى عن علم وبصيرة ليس لهم منافس ولا مشارك، وكأن خشية غيرهم لله لأنها بلا علم ولا بصيرة لا تعد شيئا، ومن هنا كان الحصر فيهم، قال الشوكانى

فى تفسير هذه الآية إنما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به، وبما يليق من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين فى هذه الآية أهل خشيته، وهم العلماء به، وبعظيم قدرته، قال مجاهد: إنما العالم من خشى الله عز وجل. وقال مسروق: كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم، وقال الشعبى: العالم من خاف الله(٩).

والعلم هو سبيل الرفعة والعزة والسعادة فى الدنيا والآخرة ففى الدنيا ينال أصحابه أرفع الدرجات والأوسمة ويحتلون أسمى المناصب والمنازل، ويقعون فى قلوب الناس أحسن المواقع، وفى الآخرة يرفعهم الله تعالى بهذا العلم درجات ودرجات فى الجنة، قال الشوكانى فى تفسير قوله تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾** فى الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما ورفع الذين أوتوا العلم منهم درجات عالية فى الكرامة فى الدنيا والثواب فى الآخرة ومعنى الآية: أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمنوا درجات ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات، وقيل المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك الذين أوتوا العلم، وقيل المراد بالذين أوتوا العلم الذين قرأوا القرآن، والأولى حمل الآية على العموم فى كل مؤمن وكل صاحب علم من العلوم من جميع أهل هذه الملة ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض، وفى هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله وقد دل على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية(١٠) وقد جمع الله تعالى بين الملائكة وأولى العلم فى الشهادة له بالوحدانية والألوهية بالإضافة إلى نفسه وفى ذلك من الشرف والعظمة مالم يصل إليه أحد غير العلماء والملائكة فقال: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾**.

قال القرطبى: فى هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء، وقال فى شرف العلم لنبيه ﷺ **﴿وقل رب زدنى علما﴾** فلو كان شىء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم، وقال ﷺ: **«إن العلماء ورثة الأنبياء»**(١١). وقال **«العلماء أمناء لله على خلقه»** وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم فى الدين خطير(١٢).

تلك نماذج مختصرة وآيات من مئات من حديث القرآن عن العلم وفضل وشرف أهله وفضلهم أردنا بذكرها الوقوف على جانب من جوانب العلم فى الإسلام لبيان مدى احتفاء الإسلام بالعلم وأهله واختياره سبيلا إلى التقدم والرقى فى الدنيا والآخرة.

الهوامش:

١ - انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ع. ل. م) ص٤٦٩: ٤٨١، ومعجم مفردات القرآن العظيم مادة (ع. ل. م) ص٢٥٩: ٢٦٤).

٢ - أخرجه ابن ماجه والترمذى والبزار عن أبى هريرة وزاد البزار فى آخره «أعوذ بالله من حال أهل النار».

٣ - مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٦٥٧.

٤ - مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٤١٥.

٥ - انظر: جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ١ ص٢١٤: ٢١٦ باختصار وتصرف.

٦ - انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ ص١٦٠، كتاب التفسير باب قول الله **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** حديث رقم ٤٤٧٦.

٧ - انظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص٢٨٢.

٨ - مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٥١ باختصار.

٩ - انظر: فتح القدير جـ٤ ص٣٤٨.

١٠ - انظر: فتح القدير جـ٥ ص١٨٩.

١١ - رواه أبو داود حديث رقم ٣٦٤١، والترمذى رقم ٢٦٨٣.

١٢ - انظر: الجامع لأحكام القرآن جـ٤ ص٤١.

السنة الماضية

شعر / محمد التهامى

سيرى كما وثب الزمان وهرولى ... واطوى الليالى الحالكات وعجلى
بالله لا تقفى ولو لهنيهة ... إياك فى مسراك أن تتمهلى
أخشى إذا ونيت خطاك فربما ... يدعوك هذا الريث أن تتأملى
فترى جراح المتعبين بدربهم ... يتململون وخطوهم لم ينقل
داسوا على جمر الزمان وسمرت ... أقدامهم فى الأرض لم تتحول
يتصايحون ويسألونك رحمة ... بهم ـ وقد حمى اللظى أن ترحلى
فلعل بعدك أن يفك عقالهم ... فيهرولون إلى الزمان المقبل
ولعله لا يرتضى قهرا لهم ... فما ارتضيت بدارهم أن تفعلى
سيرى كإعصار الغبار وأسرعى ... فلعل عبء الليل بعدك ينجلى
ولعل فرحتهم بزغرد عرسها ... لما جبين الشمس يشرق من عل
ولعل نور العدل يسطع فوقهم ... من بعد ما أخفقت فى أن تعدلى
ولعل حقهم يحن لأهله ... فيعود عودة ظافر متهلل
ولعل خاطرهم يقر قراره ... لا يستثار لمدبر أو مقبل
ولعلهم يتفيأون كرامة ... رجعت بعزمة واثق مستبسل
يعطى ويعرف فى العظائم أنه ... لا يستحق النصر من لم يبذل
ولعل «قدسهم» تعود عزيزة ... شماء ظافرة بأكرم منزل
فهناك ترتاح الجراح وينتهى ... ما شاءت الأقدار أن تتحملى
يا (صخرة الأقصى) يزلزل قلبنا ... ياأيها الشماء أن تتزلزلى
فقفى كتاج الراسيات تحيطها ... أنوار آيات الكتاب المنزل
من قال ياأخت النجوم ترفعا ... أن ترتضى الأيام أن تترجلى؟
يا ظل أجنحة (البراق) قداسة ... يفديك كل مجاهد متبتل
لا تأبهى للمرجفات يقودها ... وهم يحط على تراب (الهيكل)(١)
فغدا يعود الصادقون وركبهم ... يختار بين مكبر ومهلل
يتزاحمون على قداسة دارهم ... والكل بين ملامس ومقبل

١ ـ هيكل سليمان المدعى وجوده

دراسات فى السنة المطهرة

- أنواع الحديث الضعيف الناتجة عن فقد شرط الاتصال
- من جوامع الكلم.. التجديد فى الدين

أ. د/ أحمد عمر هاشم

الحديث الضعيف (٢)

أنواع الحديث الضعيف الناتجة عن فقد شرط الاتصال

إذا فقد الحديث شرط اتصال السند ينتج عنه الأنواع التى سبقت الإشارة إليها إجمالا فيما سبق، ونوضحها هنا بالتفصيل.

المعلق:

الحديث المعلق هو الذى حذف من أول إسناده واحد أو أكثر على التوالى ولو إلى نهايته.. ومثال الحديث المعلق الذى حذف من أول إسناده واحد، قول البخارى: وقال مالك عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تفاضلوا بين الأنبياء» فإنه بين البخارى وبين مالك واحد لم يذكر.

ومثال المعلق الذى حذف منه الإسناد كله وذكر فيه الصحابى فحسب.

قال البخارى: وقالت عائشة - رضى الله عنها - كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحواله.

ويشمل المعلق الحديث المرفوع كما يشمل أيضا الحديث الموقوف والمقطوع.

حكم الحديث المعلق: الحديث المعلق نوع من أنواع الضعيف. وذلك للجهل بحال الراوى أو الرواة الذين لم يذكروا فى الإسناد. ولكن يستثنى من الحكم بضعف المعلق ما جاء فى بعض الكتب التى التزم أصحابها فيها الصحة كصحيح البخارى وصحيح مسلم.

الأحاديث المعلقة فى الصحيحين والأحاديث المعلقة فى صحيح البخارى أكثر من الأحاديث المعلقة فى صحيح مسلم بل إنها قليلة فى صحيح مسلم فقد جاءت عنده فى موضع واحد فى التيمم حيث قال:

وروى الليث بن سعد فذكر حديث أبى الجهم بن الحرث بن الصمة: أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جمل، الحديث، وفيه موضعان فى الحدود والبيوع رواهما بالتعليق عن الليث بعد روايتهما بالاتصال وفيه أربعة عشر موضعا كل حديث منها رواه متصلا ثم عقبه بقوله: ورواه فلان.

وأكثر الأحاديث المعلقة التى فى صحيح البخارى جاءت متصلة فى مواضع أخرى من كتابه وإنما أورده معلقا للاختصار، وأما المعلقات التى لم ترد متصلة فى صحيح البخارى فى مواضع أخرى منه فعددها مائة وستون حديثا وقد وصلها شيخ الإسلام فى كتابه المسمى «التوفيق».

والأحاديث المعلقة فى صحيح البخارى على ضربين:

الأول: ما كان بصيغة الجزم، مثل: «قال وفعل، أمر وروى وذكر»، فهذا النوع فيه الحكم بصحته عن المضاف إليه، لأنه لا يأتى بصيغة الجزم هذه إلا إذا كان الحديث قد صحّ عنده، ولكن لا يحكم لمثل هذا الحديث بالصحة مطلقا إلا بعد النظر فيمن أبرز من رجاله وذلك أقسام:

أ - ما يلتحق بشرطه وهذا لم يأت متصلا استغناء بغيره مع إفادة الإشارة إليه وعدم إهماله بإيراده معلقا اختصارا أو لأنه لم يسمعه من شيخه أو سمعه مذاكرة أو شك فى سماعه مثال هذا النوع قوله فى الوكالة: قال عثمان بن الهيثم حدثنا عون، حدثنا محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال: **ولكنى رسول الله ﷺ بزكاة رمضان..** الحديث. وأورده فى «فضائل القرآن» وفى

ذكر إبليس، ولم يقل فى موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر عدم سماعه له منه.

والقول فى هذا النوع بأنه يلتحق بشرطه وعدم القول بأنه من شرطه، لأنه وإن كان صحيحا فهو ليس من نمط الصحيح المسند الموجود فى كتاب البخارى.

ب ـ مالا يلتحق بشرطه ولكنه صحيح على شرط غيره ومثاله، قوله فى الطهارة: وقالت عائشة: «كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحيانه». أخرجه مسلم فى صحيحه.

جـ ـ ما كان حسنا صالحا للحجة كقوله فيه: وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «الله أحق أن يستحى منه» وهو حديث حسن مشهور أخرجه أصحاب السنن.

د ـ ماهو ضعيف لا من جهة قدح فى رجاله ولكن بسبب انقطاع يسير فى الإسناد ويصنع البخارى هذا، إما لأنه سمعه من ذلك الشيخ بواسطة من يثق به عنه، وهو معروف مشهور عن ذلك الشيخ، وإما لأنه قد سمعه ممن ليس من شرط الكتاب، فنبه على ذلك الحديث بتسمية من حدث به لا على التحديث به عنه كقوله فى الزكاة، وقال طاوس: قال معاذ بن جبل لأهل اليمن: ائتونى بعرض ثياب الحديث، فإسناده إلى طاوس صحيح إلا أن طاوسا لم يسمع من معاذ.

الثانى: ما كان بصيغة التمريض مثل: «يروى ويذكر ويحكى ويقال، وروى وذكر..» فليس فى مثل هذه الألفاظ حكم بصحة الحديث عن المضاف إليه لأن هذه العبارات تستعمل فى الضعيف أيضا، وقد يورد مثلها فى الصحيح لكونه مرويا بالمعنى أو ليس على شرطه أو لأنه قد ضم إليه مالم يصح، وقد يورده فى الحسن ومن أمثلة هذا النوع وهو ضعيف قوله فى الوصايا.

ويذكر عن النبى ﷺ أنه قضى بالدين قبل الوصية، وقد رواه الترمذى موصولا من طريق الحرث عن على والحرث ضعيف.

وهذا الذى يورده البخارى بصيغة التمريض ليس بساقط سقوطا نهائيا، لأنه أدخله فى كتابه الذى وصفه بأنه صحيح ومع هذا فإن إيراده له فى أثناء الصحيح مشعر بصحة أصله(١).

المنقطع:

للحديث المنقطع عدة تعريفات منها: أنه ما سقط من إسناده رجل أو ذكر فيه رجل مبهم، ومثال ما سقط من إسناده رجل:

ما رواه عبدالرزاق عن الثورى عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة مرفوعا «إن وليتموها أبا بكر فقوى أمين» الحديث. ففى هذا الحديث انقطاع فى موضعين:

الأول: أن عبدالرزاق لم يسمعه من الثورى إنما رواه عن النعمان بن أبى شيبة الجندى عنه.

والثانى: أن الثورى لم يسمعه من أبى إسحاق إنما رواه عن شريك عنه ومثال الإسناد الذى اشتمل على رجل مبهم، ما رواه أبو العلاء عن عبدالله ابن الشخير عن رجلين عن شداد بن أوس حديث «اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر».

ومن العلماء من عرف المنقطع بأنه مالا يتصل إسناده وقالوا إنه مثل المرسل.

وعرفه التبريزى فقال: ما سقط مما ليس فى أول الإسناد من رواته راوٍ واحد قبل الصحابى فى الموضع الواحد، فخرج بقوله مما ليس فى أول الإسناد، المعلق. وخرج بقوله: راوٍ واحد المعضل، وخرج بقوله قبل الصحابى: المرسل.

ويعرف الانقطاع فى سند الحديث بأمور:

١ ـ إذا تعددت الأسانيد، تجمع طرق الحديث، ويقارن بين أسانيدها المختلفة للنظر فى الراوى الساقط.

٢ ـ أن يحكم أحد الأئمة بعدم سماع راوٍ ممن روى عنه بدون تعارض فإذا وجد التعارض بين الانقطاع والاتصال لجأنا إلى الترجيح بأحد طرق الترجيح لكثرة العدد أو زيادة الوثوق.

٣ ـ كما يعرف الانقطاع أيضا بالوقوف على معرفة ميلاد كل راوٍ وتاريخ وفاته لتعلم هل يمكن اللقاء والمعاصرة بينهم أم لا؟

وجود المنقطع فى الصحيحين

وما يوجد من الأحاديث المنقطعة فى كل من صحيح البخارى، وصحيح مسلم، فإنما جاء حيث كان له ما يعضده من غيره من الأحاديث المتصلة، فجاءت الأحاديث المنقطعة على سبيل التقوية والمتابعات والشواهد فليست ضعيفة، وقد ذكر الرشيد العطار المتوفى سنة ٦٦٢هـ أن فى صحيح مسلم بضعة عشر حديثا فى أسانيدها انقطاع. ويجاب على هذا بأن الإمام مسلما إنما ذكر الأسانيد المنقطعة بعد الصحيحة ليوضح صحة المتن حيث قوى المتصل المنقطع ورفعه من الضعف إلى القوة، هذا بالنسبة إلى متن الحديث.

أما بالنسبة للسند المتصل، فتزداد درجة صحته، لأن الطرق إذا تعددت قوى بعضها بعضا، فإذا وجد للحديث طريقان: أحدهما متصل، والآخر منقطع كان أكثر فى درجة الصحة من صحيح ليس له سوى طريق واحد.

وأجيب أيضا عما ورد فى صحيح مسلم مما فيه انقطاع: «بتبين اتصالها إما من وجه آخر عنده، أو من ذلك الوجه عند غيره مثل حديث حميد الطويل عن أبى رافع عن أبى هريرة أنه لقى النبى ﷺ فى بعض طرق المدينة. الحديث صوبه حميد عن بكر المزنى عن أبى رافع كما أخرجه الخمسة وأحمد وابن أبى شيبة فى مسنديهما. وصوبه السائب بن يزيد عن عبدالله بن السعدى عن عمر فى العطاء، وحديث السائب عن حويطب بن عبدالعزى كذا ذكره الحفاظ.

قال النسائى: لم يسمعه السائب من ابن السعدى إنما رواه عن حويطب عنه كما أخرجه البخارى والنسائى(٢)أهـ.

وقد انتقد الدارقطنى بعض أحاديث فى صحيح البخارى، وعللها بالانقطاع وتصدى للإجابة عنها الحافظ ابن حجر وبين: أنه ينظر للراوى إن كان صحابيا أو ثقة غير مدلس، وقد أدرك من روى عنه إدراكا بينا أو صرح بالسماع إن كان مدلسا من طريق أخرى، فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض، وإن لم يوجد وكان الانقطاع ظاهرا، فيجاب عنه: بأنه إنما أخرج مثل ذلك حيث له سائغ وعاضد وحفته قرينة فى الجملة تقويه ويكون الصحيح وقع من حيث المجموع(٣)أهـ.

حكم المنقطع

وحكم المنقطع أنه ضعيف، لأن المبهم فيه أو المحذوف منه مجهول، فيرد ولا يحتج به، فإذا ورد من طريق آخر متصلا، وظهر أن الراوى المحذوف أو المبهم ثقة فإن الحديث حينئذ يقبل ولا يرد.

المعضل

المعضل فى اصطلاح المحدثين: هو ما سقط من إسناده اثنان فصاعدا على التوالى أثناء السند، وليس فى أوله على الأصح.

أما إذا لم يتوال، فهو منقطع من موضعين. قال ابن الصلاح: ومنه قول المصنفين من الفقهاء: «قال رسول الله ﷺ»، وقد سماه الخطيب فى بعض مصنفاته «مرسلا» وذلك على مذهب من يسمى كل ما لا يتصل إسناده «مرسلا». ومن المعضل ما يرسله تابع التابعى: مثاله: ما رواه الأعمش عن الشعبى قال: «يقال للرجل يوم القيامة. عملت كذا وكذا؟ فيقول: لا، فيختم على فيه» الحديث رواه عن أنس، وأنس رواه عن الرسول ﷺ، فأعضل الأعمش الحديث، إذا سقط منه أنسا والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الإسناد.

الفرق بين المعضل والمنقطع

ويفرق بين المعضل والمنقطع، بأن المعضل ما سقط منه اثنان فصاعدا مع التوالى، والمنقطع ما سقط منه واحد فقط فى موضع واحد أو أكثر من واحد فى مواضع مختلفة وليس على التوالى. قال ابن الصلاح: هو لقب لنوع خاص من المنقطع، فكل معضل

منقطع. وليس كل منقطع معضلا، وسماه بعضهم مرسلا بأن يسقط منه اثنان فصاعدا، أى بأن كان السقوط فى موضع واحد.

المرسل

الحديث المرسل هو الذى أضافه التابعى إلى الرسول ﷺ ولم يكن التابعى قد لقى الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

وقولنا: «أضافه التابعى» يخرج به ما أضافه الصحابى إلى الرسول ﷺ فإنه يكون موصولا إذا كان الصحابى قد سمعه من الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو يكون مرسل صحابى إذا كان قد سمعه من صحابى آخر.

وخرج بقولنا: «ولم يكن التابعى قد لقى الرسول - عليه الصلاة والسلام -».

ما إذا رواه من لقى الرسول ﷺ قبل إسلامه وسمع من الرسول ﷺ ولم يلقه بعد إسلامه فإن حديثه الذى سمعه من قبل يكون متصلا مرسلا، وإنما كان تابعيا لا صحابيا مع أنه رأى الرسول ﷺ، لأن الرؤية لم تكن حال الإسلام كرسول هرقل.

وقال ابن الصلاح: وصورته التى لا خلاف فيها: حديث التابعى الكبير الذى قد أدرك جماعة من الصحابة وجالسهم، كعبيد الله بن عدى بن الخيار، ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما إذا قال: قال رسول الله ﷺ قال ابن كثير: والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين فى ذلك.. والجمهور من الفقهاء والأصوليين يعممون التابعين وغيرهم(٤).

ومن تعريفات المرسل المشهورة: أنه ما سقط من إسناده الصحابى، ولكن إذا عرف أن المحذوف من الإسناد صحابى فإن المرسل حينئذ يكون مقبولا غير مردود عند الجميع. لأن الصحابة كلهم عدول سواءعرف اسم الصحابى المحذوف أو لم يعرف.

والإرسال نوعان: الإرسال الظاهر، والثانى الإرسال الخفى.

فأما الإرسال الظاهر: فهو أن يروى الراوى حديثا عن رجل لم تثبت معاصرته له بحيث لا يخفى إرساله على أحد من العلماء.

وأما الإرسال الخفى فهو أن يأتى الراوى لرجل سمع منه فيروى عنه حديثا لم يسمعه فى الواقع منه أو يروى عمن لقيه ولكنه لم يسمع منه أو يروى عمن عاصره ولكنه لم يثبت لقاؤه به.

ويتلخص الإرسال الخفى فى ثبوت المعاصرة وعدم ثبوت اللقاء أو السماع.

ويشمل المرسل الخفى الحديث المدلس كما سيأتى بيانه.

حكم الحديث المرسل

من المعلوم أن الحديث المرسل من أقسام الحديث الضعيف، حيث فقد شرطا من شروط الصحة وهو اتصال السند، ولكن للعلماء مذهب فى حكمه وفى الأخذ به وقبل بيان مذاهب العلماء فى الاحتجاج بالمرسل أو عدم الاحتجاج به، نريد أن نوضح أن من الأحاديث المرسلة ما أرسلها الصحابة ومنها ما أرسلها التابعون وهى الأكثر وسنذكر مذاهب العلماء فيها، ولكن فى بادئ الأمر نوضح حكم مراسيل الصحابة. فنقول:

إن الأحاديث المرسلة، التى أرسلها الصحابة فى حكم الأحاديث المتصلة ويحتج بها وذلك لأن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - إنما يروون الأحاديث عن الصحابة وكلها عدول، فالجهالة بهم لا تضر، ومثال مرسل الصحابى روايته لما لم يدركه أو يحضره كقول عائشة - رضى الله عنها -: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة» ولكن بعض العلماء رأى خلاف ذلك، لاحتمال أن يكونوا أخذوا عن بعض التابعين والذى ذهب إلى هذا هو أبو إسحاق الإسفرائينى وفى الحقيقة أن رواية الصحابة عن غيرهم نادرة. وإذا رووا عن غيرهم بعض الروايات بينوه، وأكثر مروياتهم عن التابعين ليست أحاديث مرفوعة وإنما هى حكايات أو موقوفات لا غير.

وأما الأحاديث المرسلة التى

أرسلها التابعون فمذاهب العلماء فى الاحتجاج بها ثلاثة.

أولا: مذهب الإمام أبى حنيفة وأحمد ومالك فى المشهور عنهما وكثير من الفقهاء بأنه يحتج بها، ودليل أصحاب هذا المذهب شهادة الرسول ﷺ للتابعين وثناؤه عليهم فى قوله: «**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..**» رواه البخارى، وأيضا فإن التابعى الذى حذف الصحابى إن كان غير عدل بطل الاحتجاج بحديثه لعدم عدالته لا لإرساله وأما إن كان التابعى عدلا فإنه لا يحذف اسم الصحابى إلا إذا كان عدلا عنده وإلا كان فعله هذا منافيا للعدالة.

ولكننا نتساءل: إذا كان الأمر كذلك، فما الذى جعل الراوى الثقة يرسل الحديث عن الثقة؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن هناك عدة احتمالات من أهمها: أن يكون التابعى مثلا سمع الحديث عن رواة كلهم أهل ثقة والحديث صحيح عنده ولكنه أرسله معتمدا على صحته عن شيوخه، كما قال إبراهيم النخعى: ما حدثتكم عن ابن مسعود فقد سمعته عن غير واحد وما حدثتكم به وسميت فهو عمن سميت ويحتمل أن يكون التابعى مثلا نسى من حدثه، وعرف المتن فذكر الحديث مرسلا لأنه معروف أنه لا يروى إلاعن ثقة. كما يحتمل كذلك أنه لا يقصد التحديث به وإنما يقصد ذكره على وجه المذاكرة أو نحوها.

ثانيا: مذهب الكثيرين من المحدثين والفقهاء وهو أن الحديث المرسل لا يحتج به. وأنه حديث ضعيف، للجهل بحال الراوى المحذوف فيحتمل أن يكون صحابيا أو تابعيا، ويحتمل أن يكون تابعيا ثقة أو غير ثقة. يقول ابن الصلاح. وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذى استقر عليه آراء جماعة حفاظ الحديث ونقاد الأثر.

ثالثا: مذهب الإمام الشافعى رضي الله عنه وهو أن الأحاديث المرسلة التى أرسلها كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة، أو اعتضدت بقول صحابى أو أكثر العلماء أو كان المرسل لو سمى لا يسمى إلا ثقة، فحينئذ يكون مرسله حجة ولا يكون فى رتبة المتصل والمقصود بكبار التابعين الذين كانت أكثر روايتهم عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وقد نص الإمام الشافعى على أن مرسلات سعيد بن المسيب حسان لأنه تتبعها فوجدها مسندة.

وأما مراسيل غير كبار التابعين، فقد قال عنها الشافعى لا أعلم أحدا قبلها والمراد بهم صغار التابعين الذين كانت أكثر روايتهم عن غير الصحابة.

وحكى ابن جرير إجماع التابعين بأسرهم على قبول المرسل وأنه لم يأت عن أحد منهم إنكاره ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين الذين هم من القرون الفاضلة المشهود لها من الشارع ﷺ بالخيرية، وبالغ بعض القائلين بقبول الحديث المرسل فقواه على المسند ـ بفتح النون ـ معللا بأن من أسند فقد أحالك، ومن أرسل فقد تكفل لك(٥).

مراتب الحديث المرسل

والحديث المرسل مراتب: أعلاها: ما أرسله صحابى ثبت سماعه. ثم صحابى له رؤية فقط ولم يثبت سماعه، ثم المخضرم، ثم المتقن كسعيد بن المسيب، ويليها من كان يتحرى فى شيوخه كالشعبى ومجاهد.

ودونها مراسيل من كان يأخذ عن كل أحد، كالحسن، وأما مراسيل صغار التابعين كقتادة، والزهرى، وحميد الطويل، إن غالب رواية هؤلاء عن التابعين(٦)أ.هـ.

والمراد بصاحب المرتبة الثالثة وهو المخضرم: من أدرك الجاهلية وزمن النبى ﷺ ولم يره، ولا صحبه له هذا هو مصطلح أهل الحديث فيه لأنه متردد بين طبقتين لا يدرى من أيهما هو.

وأما اصطلاح أهل اللغة: فيراد بالمخضرم: من عاش نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام سواء أدرك الصحابة أم لا(٧).

وبعد تفصيل القول فى بيان حكم الحديث المرسل، وتوضيح قبول بعض العلماء له واحتجاجهم به، نقول: أن وروده فى أقسام الحديث الضعيف إنما هو موافقة لرأى الأكثرين الذين رأوا أنه قسم من أقسام الضعيف، وقد اتضحت مذاهب العلماء فى الأخذ به.

قبول الإمام مالك للحديث المرسل

كان الإمام مالك رضي الله عنه يقبل الحديث المرسل مثله فى ذلك مثل أبى حنيفة وأكثر فقهاء عصره مثال المرسل عنده ما رواه فى الموطأ.

قال مالك: عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قضى باليمين والشاهد. ففى هذا السند جعفر الصادق بن محمد بن على بن زين العابدين والصحابى ليس موجودا فى السند فهو حديث مرسل ومع ذلك أخذ به مالك واعتبره.

ومعنى هذا أنه لا يجيز قبول الحديث المرسل مطلقا بل يجيز قبول المرسل إذا كان الإرسال من مثل من قبل منهم فالعبرة عنده بالشخص الذى أرسل لا بمطلق الإرسال.

وقبول المرسل كان شائعا فى عصره لأن ثقات التابعين صرحوا بإرسال اسم الصحابى إذا كانت روايتهم لعدد كبير من الصحابة يقول الحسن البصرى إذا اجتمع أربعة من الصحابة على حديث أرسلته إرسالا(٧).

ويبدو أن الإرسال كان كثيرا قبل كثرة الكذب فلما كثر اضطر العلماء إلى الإسناد ومما سبق يتضح أن قبول مالك وأبى حنيفة أيضا للمرسل عندما يكون الذين أرسلوه من الثقات.

المدلس

الحديث المدلس: هو الذى رواه راويه، فدلس فيه بوجه من وجوه التدليس.

والتدليس نوعان: تدليس الإسناد، وتدليس الشيوخ، وقبل بيان كل قسم من أقسام التدليس، وتوضيح ما يتعلق به من أحكام، نريد أن نوضح الفرق بين المدلس والمرسل الخفى:

المدلس: ما يرويه الراوى عن الذى عاصره ولقبه موهما أنه حدثه به بينما لم يحدثه به.

والمرسل الخفى: ما يرويه الراوى عمن عاصره ولم يلقه موهما أنه قد لقيه أو أنه لقيه ولم يسمع منه. فكل من المدلس والمرسل إرسالا خفيا يجتمعان فى أن كلا منهما روى شيئا لم يسمعه بلفظ يوهم السماع وينفرد المدلس بأنه سمع غير الذى دلسه، والمرسل لم يسمع شيئا.

وبعد بيان الفرق بين المدلس والمرسل والخفى، نعود إلى بيان كل قسم من أقسام المدلس.

١ - تدليس الإسناد: وهو أن يروى عمن لقيه مالم يسمعه منه أو يروى عمن عاصره ولم يلقه موهما أنه سمعه منه، وذلك بأن يورده بلفظ يوهم الاتصال كأن يقول عن فلان أو قال فلان - ونحو ذلك - وأما إذا صرح الراوى بالسماع ممن روى عنه أو صرح بالتحديث، والحال أنه لم يسمع شيئا من شيخه ولم يقرأه عنه، فإن تصريحه بالسماع أو التحديث مع هذا كذب وفسق، ولا يطلق عليه أنه مدلس فحسب بل إنه كاذب وفاسق ولا يلتفت إلى ما يرويه لأنه أصبح مجروحا مردود الرواية.

ومن أمثلة هذا النوع، قول ابن خشرم: كنا عند سفيان بن عيينة فقال: قال الزهرى كذا، فقيل له: أسمعت منه هذا؟ قال: حدثنى به عبدالرزاق عن معمر عنه. وقد جرح بعض الحفاظ من عرف بهذا التدليس من الرواة فرد روايته مطلقا، وإن أتى بلفظ الاتصال ولو لم يعرف أنه دلس مرة واحدة.

حكم تدليس الإسناد

والقول الصحيح فى حكم تدليس الإسناد: هو أن ما رواه المدلس إما أن يكون بلفظ محتمل لم يبين فيه الاتصال: وإما أن يبين الاتصال، فإذا لم يبين الاتصال كأن قال: «عن فلان» فلا تقبل روايته ويحكم عليه بالانقطاع، وأما إن بين الاتصال بأن قال مثلا فى بعض الروايات:

حدثنى فلان أو أخبرنا أو سمعت هذا فتقبل روايته ويحتج بحديثه إذا كان ثقة، وذلك لأن الرواية المتصلة دلت على أن الرواية الأخرى متصلة أيضا.

وعلى هذا يحمل ما روى فى الصحيحين عن المدلسين بلفظ (عن) فإن له رواية أخرى فيها تصريح بالسماع، وإنما عدل مصنف الصحيح عن الرواية المتصلة إلى الأخرى، لأن المتصلة لم تجىء على شرطه، ومن أمثلة هذا ما يأتى:

قال البخارى: حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس - رضى الله عنهم - عن النبى ﷺ وعن حسين المعلم قال: حدثنا قتادة عن أنس عن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، فنلاحظ هذا الحديث أن كلا من شعبة، وحسين المعلم، قد روى عن قتادة عن أنس. وقتادة كان يدلس ولم يصرح فى رواية البخارى بالسماع من أنس، ولكن الأمر محمول على السماع، لأنه صرح الإمام أحمد والإمام النسائى فى روايتهما بسماع قتادة هذا الحديث من أنس رضي الله عنه.

٢ - **تدليس الشيوخ:** وهو أن يذكر الراوى شيخه بغير ماهو معروف ومشهور به، وذلك بأن يأتى باسم شيخه مثلا أو كنيته أو لقبه أو أية صفة له على خلاف ماهو مشهور به لكى لا يعرف.

ومثال هذا النوع: روى أبو بكر بن مجاهد عن أبى بكر بن أبى داود فقال. حدثنا عبدالله بن أبى بن عبدالله - والمشهور أنه عبدالله بن أبى داود - وعن أبى بكر بن محمد ابن حسن النقاش المفسر فقال: حدثنا محمد بن سند - نسبة إلى جد له، وهو محمد بن الحسن بن زياد بن هارون بن جعفر ابن سند.

حكم تدليس الشيوخ

هذا النوع من التدليس منه ماهو مكروه، ومنه ماهو محرم، فأما المكروه: فهو الذى يكون فى الشيخ المروى عنه أصغر سنا من المدلس أو نازل الرواية، وأما المحرم: فهو ما إذا كان الشيخ الذى روى عنه غير ثقة فدلسه حتى لا يعرف حاله، أو للإيهام بأنه رجل آخر ثقة. وإنما كان هذا النوع من التدليس مكروها ومحرما، لما يترتب عليه من جهالة شيخ الراوى حيث ذكر بما لا يعرف به، وحينئذ فإذا نظر الناظر فيه فإنه لا يستطيع أن يعرفه، ولما يترتب على ذلك أيضا من ضياع ما يروى عن هذا المجهول.

وهذان القسمان السابقان للتدليس هما الأساسيان فيه والمشهوران ولكن هناك بعض أقسام للتدليس أخرى وهى:

٣ - **تدليس التسوية:** وهو أن يسقط الراوى واحد من الإسناد غير شيخه بسبب ضعفه أو صغره فيتساوى بذلك الإسناد ويصير ثقة عن ثقة، وعندئذ يحكم له بالصحة وفى هذا النوع إيهام وتغرير وهذا النوع أفحش أنواع التدليس، وممن اشتهر بهذا النوع من التدليس: بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم كان يحذف شيوخ الأوزاعى الضعفاء ويبقى الثقات.

٤ - **تدليس العطف:** وهو أن يعطف رجلا لم يسمع منه على آخر سمع منه فيتوهم من سمعه أنه سمع من الاثنين ومثاله: أن يقول: حدثنا فلان وفلان وهو لم يسمع من الثانى المعطوف وقد ذكر عن هشيم أنه فعله.

٥ - **تدليس السكوت:** وهو أن يأتى - مثلا - بلفظ السماع ثم يسكت ويذكر اسما فيوهم أنه سمع من الرجلين وليس كذلك ومثاله: أن يقول «حدثنا» أو «سمعت» ثم يسكت، يقول «هشام ابن عروة» أو «الأعمش» موهما أنه سمع من هشام أو أنه سمع الأعمش مع أنه لم يصح له سماع من واحد منهما.

الهوامش:

١ - تدريب الراوى، علم الحديث لابن الصلاح.
٢ - تدريب الراوى ص١٢٧.
٣ - المنهج الحديث للدكتور السماحى.
٤ - اختصار علوم الحديث لابن كثير.
٥ - فتح المغيث جـ١ ص٧٣.
٦ - قواعد التحديث نقلا عن السخاوى.
٧ - تدريب الراوى.
٨ - مالك: الشيخ محمد أبو زهرة.

من جوامع الكلم النبوى

التجديد فى الدين

رجب عبد المنصف

الوحى الإلهى - قرآنا وسنة - نهر هادر يجرف كل ما يوضع فى طريقه من تصور فاسد أو سلوك معوج مهما ارتدى من مسوح الدين أو ادعى النسبة إليه وعندئذ تصفو المشارب والمنابع وتصلح الروافد يظهر هذا المعنى جليا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها(١) ولعل فى العجالة التالية ما يوضح ذلك.

مفهوم التجديد فى الإسلام

التجديد فى معناه الشرعى يعنى حراسة الدين من تزيد المتزيدين وتنقص المتنقصين أو هو بمعنى آخر إعادة التصور الدينى إلى نقائه وصفائه بعيدا عما لحقه من شوائب أو علق به من صور الإفراط والتفريط وهو ما يشير إليه النبى ﷺ بقوله: **«يرث هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين»**(٢).

وهو المعنى ذاته الذى دارت عليه عبارات القدماء فهم يعرفون التجديد بأنه «إحياء ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفى من العلوم الظاهرة والباطنة»(٣).

وبتعبير أوجز هو «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما»(٤).

ومن التعبيرات المعاصرة التى تنحو هذا المنحى قول الشيخ المودودى عن التجديد «هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ثم العمل على إحيائه خالصا محضا قدر الإمكان»(٥).

فقولهم ما اندرس يعنى أن هناك بعض المعانى أو المعالم قد اقتطعت وصارت نسيا منسيا فيأتى المجدد ليعيد إليها رونقها وبهاءها.

وقد يأخذ البعض على هذه التعريفات أنها تعنى بإزاحة السلبيات ونفيها وإعادة الأمر على ما كان عليه ولا نتطرق إلى ما يستجد من أحداث أو ما ينشأ من تطور.

وقد يجاب عن هذا المأخذ بأن معالجة التطور تكمن فى الاجتهاد وليس فى التجديد وفرق بين الاجتهاد والتجديد وإن تداخلا فى بعض الأمور.

على أن معالجة المعاصرين لموضوع التجديد قد وسعت من شأنه فأدمجت فيه الاجتهاد.

فتجديد الأصول عند الدكتور محمد عمارة يعنى «الكشف عن جوهرها وتجليتها إذ علاها غبار الابتداع فتطمس معالمها بالزيادة أو الانتقاص أو التحريف أو فاسد التأويل» وهذا هو التجديد.

ثم يستطرد الدكتور عمارة نافيا ما قد يرد من تصورات خاطئة على معنى التجديد معنيا فى الوقت ذاته بشموله وامتداده لما يستجد من أمور وذلك فى قوله «فليس التجديد نقيضا لاكتمال الدين وثباته بل إنه السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته إلى الميادين الجديدة والأمور المستحدثة والضمان لبقاء الأصول صالحة دائمة لكل زمان ومكان»(٦) وهذا هو الاجتهاد.

التجديد ليس نقيضا لاكتمال الدين وثباته ولكنه سبيل لامتداد تأثيرات الدين الجديدة وأموره المستحدثة

حكم التجديد

التجديد بالمفهوم السابق أمر مشروع بل إنه ليعد واجبا شرعيا على سبيل فرض الكفاية.

يؤخذ ذلك من النصوص الشرعية الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر.

إذ ليس هنا أوكد ولا أوجب من إزالة التراكمات والبدع التى شابت سماحة هذا الدين حتى كادت أن تحجبها.

التجديد بين الفردية والجماعية:

أثار قوله ﷺ: **«من يجدد لها دينها»** سؤالا فى الماضى والحاضر هو: هل المقصود بلفظة «من» الواردة فى الحديث فرد واحد من أفراد الأمة وأفذاذها يحيى الله به دينها، أم المراد بها ماهو أوسع من ذلك فيشمل الأفراد والجماعات؟

ذهب كثير من العلماء إلى أن المجدد فرد واحد، ونسب السيوطى هذا الرأى إلى الجمهور فقال فى أرجوزته عن المجددين:

وكونه فردا هو المشهور

قد نطق الحديث والجمهور(٧)

ولعل أصحاب هذا الرأى استندوا إلى إحدى روايات الحديث حيث عينت كون المجدد رجلا واحدا، وقد أخرجها البيهقى من طريق أحمد بن حنبل قال: «يروى فى الحديث عن النبى ﷺ **«إن الله يمن على أهل دينه فى رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتى يبين لهم أمر دينهم»**، وإنى نظرت فى مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله وهو عمر بن عبدالعزيز، وفى رأس المائة الثانية فإذا هو محمد ابن إدريس الشافعى»(٨).

وقد اشتغل أصحاب هذا الرأى بتعدد المجددين الأفراد وذكروا على رأس كل قرن واحد منهم، وربما اختلفوا فى تحديد مجدد بعض القرون.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن كلمة «من» فى الحديث للعموم كما هو فى أصل وضعها اللغوى(٩)، فتشمل الواحد والجماعة على حد سواء.

ومن هؤلاء العلماء: ابن حجر، وابن الأثير،

والذهبى، وابن كثير، والمناوى، والعظيم آبادى.

يقول ابن الأثير فى شرحه لحديث التجديد: «والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فإن قوله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»، لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا، وإنما قد يكون واحدا، وقد يكون أكثر منه، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث الفقهاء خاصة، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعا عاما فى أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضا كثير، مثل أولى الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر، وبعد أن ذكر وجه النفع الحاصل للأمة من أصحاب الفنون المختلفة. قال: فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجددون للناس دينهم».

وينقل ابن حجر العسقلانى عن النووى قوله: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه، ومحدث ومفسر وقائم بالمعروف والنهى عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد وافتراقهم فى أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا فى البلد الواحد وأن يكونوا فى بعض منه دون بعض ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضها أولا فأول، إلى أن ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله».

ثم يعلق ابن حجر على كلام النووى هذا فيقول: «ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، أنه لا يلزم أن يكون فى رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر فى الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر فى نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها فى شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك فى عمر بن عبدالعزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعى وإن كان متصفا بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفا بشىء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا»(١٠).

ويقول الذهبى: «من - هنا - للجمع لا للمفرد، فنقول مثلا: على رأس الثلاثمائة: ابن سريج فى الفقه، والأشعرى فى الأصول، النسائى فى الحديث..».

ويقول العظيم آبادى: «واعلم أنه لا يلزم أن

التجديد ليس وقفا على فئة بعينها بل يجوز أن يكون للفقهاء أو الأمراء أو الزهاد أو غيرهم

يكون على رأس كل مائة سنة مجدد واحد فقط، بل يمكن أن يكون أكثر من واحد»(١١).

ويقول الشيخ خليل أحمد السهانفورى: «المراد بمن يجدد: ليس شخصا واحدا، بل المراد به جماعة، يجدد كل واحد فى بلد فى فن أو فنون من العلوم الشرعية، ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سببا لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتى أمر الله»(١٢).

ثم ينقل عن شيخه حمله «لمن» فى الحديث على الجماعة أيضا دون الأفراد ويعلل ذلك بأنه: «لا ينطبق على كثير ممن شرف بالتجديد أن يكون جدد كل نوع من أنواع الدين، فكم من محدث ليس له من تجديد الفقه نصيب وكم من باعث على أعمال حسنة هو فى نشر أقسام العلوم غريب».

هكذا يتبين لنا أن حمل لفظة «من» فى الحديث على العموم أولى، لأن التاريخ والواقع يثبت وجود أكثر من مجدد على رأس كل قرن من القرون الخوالى، ولأن مهمة التجديد مهمة ضخمة واسعة لكونها لا تقتصر على جانب من جوانب الدين، ولأن رقعة الأمة الإسلامية تمتد على مساحة شاسعة يصعب معها على كل فرد بل مجموعة أفراد أن يقوموا بعملية التجديد الشامل المطلق.

مفهوم العدد فى الحديث:

تأتى الأعداد فى النصوص الشرعية على قسمين:

الأول: ما يكون مقصودا وهو ما يتعلق بالعبادات والكفارات وما إلى ذلك مما هو مقرر معروف.

الثاني: ما يعبر عنه الأصوليون بقولهم العدد لا مفهوم له وغالب ذلك ما يكون فى أمور الترغيب والترهيب بخاصة ما يجىء من العدد (سبعة) ومضاعفاتها.

من هنا اختلف العلماء فى الحاق العدد هنا (على رأس المائة) بأى القسمين ونشأ عن التمسك بالظاهر حرمان العديد من العلماء من اعتبارهم مجددين على الرغم من جهودهم الواضحة فى الذَّب عن الدين وتنقية مفاهيمه مما اختلط بها ودخول آخرين ربما كانوا أقل شأنا وأضعف أثرا لا لشىء إلا لكونهم توفوا على رأس المائة.

الأمر الذى يجعلنا نميل إلى القائلين بأن التجديد هنا بالمائة لا مفهوم له.

الهوامش:

١ ـ أخرجه عدد من أئمة الحديث ومن أشهرهم أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى معرفة السنن والآثار والطبرانى فى معجمه الأوسط والخطيب البغدادى فى تاريخه وغيرهم.

٢ ـ أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى كتاب الشهادات جـ١٠ ص٢٠٩ كما أخرجه كذلك الخطيب البغدادى فى كتاب شرف أصحاب الحديث وانظر فى بيان درجته من الصحة مفتاح السعادة لابن القيم جـ١ ص١٦٣ وقواعد التحديث للقاسمى.

٣ ـ انظر فيض القدير للمناوى عند شرحه لهذا الحديث وكذلك السراج المنير للعلقمى.

٤ ـ موجز تاريخ تجديد الدين.

٥ ـ معالم المنهج الإسلامى ص٩٦.

٦ ـ عون المعبود ٣٩٤/١١، وقد ذكره الأستاذ أمين الخولى فى كتابه المجددون فى الإسلام. حيث شرح أرجوزة السيوطى.

٧ ـ المرجع نفسه.

٨ ـ ابن قدامة.

٩ ـ ابن حجر، فتح البارى ٢٩٥/١٣، والنووى، شرح مسلم ٦٧/١٣.

١٠ ـ عون المعبود ٣٩٢/١١.

١١ ـ بذل المجهود فى حل ألفاظ أبى داود ٢٠٢/١٧ ـ ٢٠٣.

١٢ ـ المصدر نفسه.

مع البحترى فى شعر الطبيعة

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

أ. د/ طه مصطفى
أبو كريشة

فى مطلع القرن الثالث الهجرى استقبل الوليد بن عبيدالله بن يحيى بن عبيد البحترى الطائى الحياة فى قرية (منبج) إحدى قرى بلاد الشام، قريبا من مدينة حلب، وكانت قرية موفورة الثراء من جمال الطبيعة الذى أغدقه الله تعالى عليها، وهو جمال لم يفت الذين أرخوا لهذه القرية أن يذكروه، إذ كان هذا الجمال أبرز شىء يذكر فى وصفها، وفى الإشادة بها، ومن هنا فإن البحترى نشأ بين طيب الهواء، وصحة الأجواء، وعبق الطبيعة الخضراء، وخطا يتنسم عبير الحياة، ويملأ عينيه من هذا الجمال المبذول بين يديه فى كل مكان، حتى غدا له الإحساس بالجمال طبعا وفطرة، بل أصبح عاشقا للجمال، مشغوفا به أينما وقعت عليه عيناه..

والذى يقرأ شعر البحترى يتبين له من خلاله أنه كان مغرما بالجمال كلفا به، أيّا كان موضع هذا الجمال؛ فى المرأة والروضة، وفى الماء والبناء، وفى الآثار والأطلال، وفى الجماد والحيوان.. وإحساسه بالجمال وتذوقه له، هو الذى جعله يقف كثيرا واصفا راسما ما يصف، فإن لم يكن الموصوف أمامه تخيله، ثم قدمه من خلال الكلمات كأنه يراه بعينيه.

ويأتى وصف (الطبيعة) فى مقدمة الموضوعات التى وقف أمامها البحترى واصفا مدققا، من خلال عاطفة معجبة عاشقة، بينها وبين الطبيعة وشيجة وصلة وثيقة حميمة، ذلك لأن البحترى - وقد رزق موهبة الشعر - تشرّب جمال الطبيعة مع تفتح رؤيته الواعية لما حوله، فكان فى آن واحد يقرأ الطبيعة مع تفتح رؤيته الواعية لما حوله، فكان فى آن واحد يقرأ الطبيعة بعينه وخياله وشعوره وعاطفته، فينقل إلى غيره ما يقرأ فى كلمات تحكى هذا الذى وقف عليه من أسرار الجمال حكاية أقرب إلى الغناء.. ولعل ابن الأثير قصد الإشارة إلى هذا حين قال عن البحترى (إنه أراد أن يشعر فغنّى - المثل السائر ٢٢٧/٣) فما الغناء إلا هذه النشوة الطروب التى نلمسها ونحس بها فى شعر الطبيعة على وجه خاص.

ومن بين مظاهر الطبيعة التى فتن بها البحترى مظهر (الربيع) وما يصاحبه من زينة مبثوثة فى الكون، ومن تغير لوجه الحياة، حيثما تلفتت العيون، وتنقلت مع مشاهد لوحات الطبيعة فى كل مكان.

فما الذى رآه الشاعر فى الربيع؟ إن الشاعر كان يرى فى الربيع (بعْثا) للحياة بعد موت وركود وخمود على هذه الأرض، وكان يُعمل خياله النشط فى تتبع مظاهر هذا البعث فى كل شىء تغير مع مقدم الربيع.

ومن شعره الذى يمثل البعث والنشور لحال الكون فى الربيع، أبياته التى قالها بعد مجموعة من أبيات مدح بها أحد ممدوحيه، ثم تخلص فى صلة ذكية من المدح إلى الوصف فقال(١):

ومانوّر الروض الشآمىُّ بل فتًى
تبسّم من شرقيه فتبسّما
أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحُسْن حتى كاد أن يتكلّما
وقد نبّه النيروزُ فى غَلَس الدّجى
أوائل وردٍ كنَّ بالأمس نُوَّما
يُفَتِّقها برْد الندى فكأنه
يَبُثُّ حديثا كان قبل مكتَّما
ومن شجر ردَّ الربيع لباسَه
عليه كما نَشَّرتَ وَشْيًا مُنَمْنَمَا
أحل فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان مُحْرِما
وَرَقَّ نسيمُ الريح حتى حسبته
يجىء بأنفاس الأحبة نُعَّما
فما يحبس الراح التى أنت خِلُّها
وما يمنعِ الأوتار أن تترنما؟

إن الربيع حين أتى رد الشىء المفقود، وبعث الموات، وأيقظ الهاجع النائم، والخيال هنا يقدم لنا صور هذا التغير من النقيض إلى النقيض، فالورد المتثائب الذى يحاول أن يستيقظ بتفتحه «فى غلس الدجى» كان من قبل نائما «كن بالأمس نوما» وهذا الورد الذى ينطلق بأسرار الجمال هو حديث «كان قبل مكتما» وهذا الشجر الذى اكتسى بالأوراق «رد الربيع لباسه» بعد أن كان عاريا، وما أشبهه فى عريه من زينة الخضرة، بالمحرم الذى تجرد من كل زينة كان يتزين بها قبل إحرامه (أحل فأبدى للعيون بشاشة، وكان قذى للعين إذ كان محرما».

إن حركة الطبيعة المتغيرة هى أبرز شىء لفت خيال الشاعر فجسد لنا هذه الصور المتقابلة فى المنظر المشهود. لكن الشاعر لا يكتفى بذلك، وإنما يتمادى به الخيال حين يذكره بشىء غير حاضر لديه فى الواقع، لكنه يشتاق إليه حين يرى النظير بين يديه، هذا الشىء الغائب هو «أنفاس الأحبة» وأما الشىء الحاضر الذى استدعى الغائب فهو النسيم الذى رق رقة أنفاس الأحباب، فما هذا الشىء الذى جعل الشاعر يغيب عن واقعه، أو جعله يستدعى الغائب ليكون واقعا ملموسا حاضرا بين يديه؟ إنه الخيال الذى أعداه بالتنبه والتيقظ بعث الحياة بحلول الربيع.

وإذا كان جمال الربيع بهذه الصورة، وإذا كان قد قدم فى زهو وسرور، أملاه شعور بفيض الحسن الذى ازدان به، فهل يليق أن يقابل بالصمت والجمود والعزوف عن دواعى الطرب والسرور؟ لا إنه لا يوجد سبب «يمنع الأوتار أن تترنما».

ويردد خيال البحترى هذه الصور كلما تطرق الحديث إلى الربيع، فصورة الورد الذى تحول إلى حديث مسموع بعد أن كان من قبل خواطر مكتومة، نراه يعبر عنها فى صورة الزهور المتكلمة، بينما الثرى فى صمت وإصغاء أقرب إلى إصغاء الأخرس، وكأنما الزهر المتحدث البليغ الذى ينصت له الجميع كأن على رءوسهم الطير(٢).

خَرس الثرى وتكلم الزهر
وبكى السحاب وقهقه القطر

وكذلك فإن الأشجار التى يكسوها الربيع لباسا بديعا بهيج الألوان كأنه الوشى المنمنم «كما نشرت وشيا منمنما» نراها مرة أخرى والربيع هو الذى ينسج ويحوك لها هذا اللباس، ومن ذلك قوله:

نشر الربيع برود مكرمة
خُضْرا يقوم بنشرها الشّعر

وقوله:

ألم ترَ تفليس الربيع المبكر
وما حاك من وشى الرياض المنشر

لكن صورة الثياب الموشاة ليست الصورة الوحيدة التى يلتفت إليها الخيال عند الحديث عن الألوان فى الربيع، فهناك صور أخرى منها صورة الجواهر الثمينة وما تعكسه من ألوان براقة، ومنها صورة الجمر المحمر القانى الاحمرار.. وقد جمع خيال البحترى بين هاتين الصورتين فى قوله عن الزهور واختلاف ألوانها فى الربيع:

وكأن صفر بهارها ذهب
وكأن حمر شقيقها جمْر

ومن صور الطبيعة التى صورها البحترى صورة السحاب وما يصاحبه من رعد وبرق ومطر، ثم ما يعقب سقوط المطر من إنبات الأرض واخضرارها بالزروع اليانعة. وفى هذه الصورة يقف البحترى عند مقدمة سقوط المطر، ذلك حين ترعد السماء وتبرق وحين تمتلئ بسحاب كثيف ثقيل يملأ الآفاق، وحين يدوى الفضاء بزمجرة الرياح، وهنا يتحرك خيال البحترى، ويقدم لنا كل ذلك فى صورة تشبيهية مشخصة، نرى فيها السحاب يجرر أذياله وراءه، ونرى الرعد له حنين وارتجاز، وله بين الحين والحين صوت تتردد موجاته فى الفضاء تردد موجات زئير الأسود، ونرى البرق له لمعان مثل لمعان السيوف الماضية، أما المطر الذى يعقب هذه المظاهر عادة فهو الدمع المسفوح من غير حزن(٣):

ذات ارتجاز بحنين الرعد

مجرورة الذيل صدوق الوعد

مسفوحة الدمع لغير وجد

لها نسيم كنسيم الورد

ورنة مثل زئير الأسد

ولمع برق كسيوف الهند

وإذا كان الربيع قد أضفى الطرب والسرور على الكون بجماله الفتان، فإن هذا الغيث الذى روى ظمأ الأرض عاد عليها بالعيش الهنىء الرغيد، ذلك حين كسيت ببرد من وشى أنوار الربا:

جاءت بها ريح الصبا من نجد

فانتثرت مثل انتثار العقد

فراحت الأرض بعيش رغد

من وشى أنوار الربا فى برد

وهنا نرى أيضا استعانة الخيال بصورة البرود الموشاة، التى رأينا لها نظيرا فى الوشى المنمنم عند الحديث عن الربيع..

وصورة السحاب وما يصاحبه ويعقبه نراها أكثر تفصيلا فى أبيات أخرى، كان فيها البحترى مشبوب العاطفة، وهو يرى هذا المنظر البديع الذى جعله يدعو غيره ليشاركه فى رؤية هذا السحاب الممطر الذى ملأ الآفاق فقال(٤):

أما ترى العارض المنهل دانيه

قد طبق الأرض وانحلت عزاليه

فالريح تزجيه تارات وتحدره

والرعد ينجيه طورا أو يناجيه

وإذا كان سقوط المطر قد عاد على الأرض بالعيش الرغد، فإن هذه العاقبة نراها معادة هنا فى صورة الأرض التى ضحكت بأزهارها بعد أن بكى السحاب بدموعه.

يبكى فيضحك وجه الأرض عن زهر

كالوشى بل لا ترى وشيا يدانيه

وقد رأينا من قبل فى صورة الربيع كيف استدعى البحترى ذكرياته مع أحبائه حين رق نسيم الريح رقة أنفاس الأحباب فحسبه إياها، وهنا أيضا نرى فى هذه الصورة مثل هذا الاستدعاء، أو تداعى الذكريات، الذى جعل البحترى يغيب عن واقعه غيابا جعله يكثر من الحديث عن حاله مع هذا الذى ارتدت إليه خواطره، وهو يرى ما يراه أمامه، يقول البحترى متابعا ما سبق:

مازال يسكب سحا مسبلا غدقا

لا يستفيق ولى عين تباريه

سحًا بسح وإسبالا بمسبلة

دمع يبوح بشجو كنت أخفيه

ثمَّ انجلى ودموعى غير راقئة

والقلب فيه مِن الأشجان ما فيه

شوقا إلى رشأٍ لا الشمس تشبهه

ولا الهلال إذا تمت لياليه

لكنه فتنة فى الأرض عارضة

يبلى فؤادى بلا جرم ويضنيه

وقد تبين أنى مغرم كلفٌ

فاستشعر العجب فى ضنٍ وفى تيه

وإذا كان شعور البحترى مع تذكر أنفاس الأحبة هو شعور الارتياح والسعادة، فإن العاطفة هنا فى هذه الأبيات عاطفة حزينة باكية أوجدها الشوق

إلى هذه المحبوبة التى هى «فتنة فى الأرض عارضة» لا تشبه شيئا ولا يشبهها شىء من نماذج الجمال فى هذا الكون. وإذا كانت السماء تبكى وهو على هذا النحو من الشوق والحرمان، فإن «المصائب يجمعن المصابينا فليبادل السحاب دمعا بدمع، وليباريه فى السح والإسبال، وإذا كان السحاب بعد حين قد فرغ وسكن، فإن الشاعر لن يسكن، ولن يرقأ له دمع مادام «القلب فيه من الأشجان ما فيه».

ان اختلاف العاطفة هنا وهناك هو السبب الكامن وراء نوع استدعاء الخيال لكل من الصورتين، وإن كانت النظرة الأولى واحدة حين ألقى البحترى الخبر الظاهر «أتاك الربيع» والخبر المستتر فى الاستفهام «أما ترى» فكل منهما فيه دعوة عامة لكل من يتذوق الجمال أن يقف ويحتفى بهذين الأمرين فى الطبيعة الخلابة الساحرة.

والحديث عن الغيث وما يعقبه قد يأتى فى سياق حديث آخر يؤدى إليه، لكن البحترى لا يفوته - وقد جاء ذكره - أن يعرض آثاره، كأن الحديث فيه خاصة، ففى إحدى قصائد المدح نراه يبدؤها بمقدمة فيها حزن وبكاء على الديار التى فارقها الحبيب، وعلى عادة الشعراء نرى البحترى يدعو صاحبيه أن يبكيا معه على هذه الديار التى أطلق عليها «المغانى» ويجعل من هذا البكاء إسعادا وإعانة للغيث الذى نزل وجاد بنفسه فيها، وهنا يكون الاستطراد فى الحديث عن الغيث إلى ما أعقبه من أثر جميل بديع على هذه المغانى، يقول البحترى لصاحبيه(٥):

ابكيا هذه المغانى التى أخلقهـــ

ــا بعد أهلها المرزمان

أسعد الغيث إذ بكاها وإن كا

ن خليا من كل ما تجدان

ثم ينسى البكاء والدعوة إليه، ويستيقظ الخيال مع ذكر الغيث ومن ثم تكون هذه الصور التى نرى لها نظائر فى اللوحات السابقة. يقول البحترى:

جادَ فيها بنفسه فاستجدت

حللا منه جمة الألوان

فهى تهتز بين إفرنده الأخـ

ـضر حسنا ووشيه الأرجوانى

فى سماء من خضرة الروض فيها

أنجم من شقائق النعمان

واصفرار من لونه وابيضاض

كاجتماع اللجين والعقيان

فالمغانى التى اكتست بالخضرة، وتحلت بالزهور المختلفة الألوان قد لبست بذلك «حللا جمة الألوان»، وهى لأجل هذه الثياب الجديدة تزهو وتختال عجبا ومرحا «فهى تهتز بين إفرنده الأخضر» أما الأرض فقد تحولت إلى «سماء من خضرة الروض» وأما زهور شقائق النعمان فهى «الأنجم» فى هذه السماء، وأما اجتماع اللون الأصفر والأبيض فى هذه الزهور فهو «كاجتماع اللجين والعقيان».

وإلى جانب هذا فإننا نرى فكرة الاستدعاء أو تداعى الذكريات الحبيبة تطل علينا فى هذا التصوير للزهور والورود حين يقول البحترى عن تعانقها وتضامها بعضها إلى بعض:

وتريك الأحباب يوم تلاق

باعتناق الحوذان والإقحوان

إنه التذكر نفسه الذى رأيناه من قبل فى تذكر أنفاس الأحبة حين رق نسيم الريح، وهو التذكر الذى يجسم الواقع فيحيله إلى واقع آخر منظور مرئى من خلال هذا الشىء الذى رسب فى أعماق النفس واستحضره التخيل الذى يجمع ويقرن بين النظير والنظير، فيكون من وراء ذلك تلك السعادة الغامرة، والنشوة التى تملأ أقطار النفس.

وبعد: فمايزال الحديث موصولا مع مظاهر الطبيعة التى خلبت خيال البحترى.. ولنا عودة إن شاء الله تعالى.

الهوامش من ديوان البحترى فى:

(١) ـ ٢٠٩٠/٤ ـ (٢) ١٠٢٣/٢ ـ (٣) ٥٦٧/١ ـ (٤) ٢٤٤٤/٤ ـ (٥) ٢١٩٧/٤ والمرزمان: نجمان.

مروءة القاضى أحمد بن أبى دؤاد

د. محمد رجب البيومى

جلس إبراهيم بن العبّاس الصولى شارد اللّب، كاسف البال، حين بلغه أن المتوكل على الله قد عزل أحمد بن أبى دؤاد عن قضاء المظالم، وهى أرفع رتبة فى مجالس القضاء، وما كان حزنه المفاجئ إلا لما تذكره من أن القاضى الكبير كان صاحب همم عالية يضرب بها المثل فى الناس، وأنه ـ إبراهيم بن العباس ـ قد هجاه هجاء فاحشا دون أن يسلف ما يستأهل به الهجاء، إذ كان الصولى الشاعر مندفعا إلى ثلب الرجل تحت تأثير صديقه محمد بن عبدالملك الزيات وزير الدولة الكبير، حيث كانت بين قاضى القضاة ووزير الدولة عداوة خطيرة، جعلت الناس يتحزبون بشأنهما، ففريق يناصر الوزير، وفريق يناصر القاضى، وكان الشعر من أسلحة هذه العداوة، فشاء إبراهيم الصولى أن يرضى الوزير بهجاء عدوه!

ثم ماذا كسب الصولى من الوزير؟ إنه قلب له ظهر المجن، فضيق عليه فى عمله، وحاول أن يسجنه لأمور لا تستحق العقاب! مع أن ابن أبى دؤاد قد تلقى هجاء الصولى بنفس مترفعة، فما حاول أن يشعره أنه علم بما افتراه بل كان يذكره بالخير فى مجلسه، ويثنى على أدبه شعرا ونثرا، وكانت هذه الأنباء تصل إلى الصولى فتوخز قلبه وخزا، وتجعله يستشعر قضيض الأسى على ما فرط من ذنبه! ثم هاهو ذا المتوكل على الله ينقم على أحمد بن أبى دؤاد فيعزله، ويحرمه من جاهه المديد، وهو ظل البائسين يدفع عنهم سموم العيش وموئل المضطهدين ينافح دونهم أمام ولى الأمر، وكم كشف من غم، وبدد من ظلمات!

ظل إبراهيم الصولى يدور فى مثل هذه الخواطر مكتئبا حزينا، وهو بعد شاعر رقيق الإحساس، تمر به الخلجة اليسيرة فيستبطنها فاحصا مؤولا، وهو الآن لا يهدأ فى مستقره بعد أن سمع عن ابن أبى دؤاد ما سمع، ليته يستطيع أن يشغل فكره عنه فيرتاح! إنه ليحاول ذلك مندفعا إلى مسائل أخرى كانت تشغل باله، فما تمضى لحظة أو لحظات حتى يعود إلى حديث نفسه مع ابن أبى دؤاد، وهو حديث يذكره سالف جرمه، فأين المفر؟

لقد ترك مكانه متجها إلى منزل صديقه النديم أبى العيناء، وأبو العيناء أديب عالم، طبع على النادرة الفكهة والدعابة الضاحكة، وله خلال نوادره نقدات صائبة، ولذعات محرقة يتحاشاها جلساؤه، لأنها تظهر فى مظهر التورية ذات المعانى المتعددة بحيث لا يستطيع أحد أن يحاسبه على نقد أو هجاء، وكان يبادل القاضى الودّ، ويفد على مجالسه دون انقطاع، وطبيعى أن يكون عزل القاضى مؤثرا فى نفسه أسوأ التأثير، فلابد إذن من لقائه ليتحدث الصديقان عن شجونهما بما يخفف برح الألم، وقد يسلم إلى بعض العزاء.

فوجئ أبو العيناء بزيارة صاحبه على غير موعد، فاصطنع من بشاشة اللقاء وأنس المحضر مالم يغب تصنعه على الصولى، ثم انقطع الكلام فجأة، فبادر الزائر يقول: أعلم أنى شرفت بزيارتك على غير موعد، لأن شجونا تعتلج فى نفسى منذ سمعت عن القاضى ـ أعزه الله ـ ما وقع موقع الضجر من نفسى، فرأيت أن أفد

إليك لنتبادل الحديث.

قال أبو العيناء: عجيب أن أسمع هذا القول من الصولى، لأنه هجا القاضى أيام نفوذه، وعالنه بالقطيعة دون موجب، ولئن كان محمد بن عبدالملك الزيات خصم القاضى، وكل به الأذناب من محترفى الشعر، فما خطبك أنت؟ ولك عقلك المتزن، وفكرك الحر!؟

فزفر الصولى زفرة حارة وقال: وهل طرق علىّ البلاء إلا ابن عبدالملك إنه كان قبل أن يلى الوزارة من أعز أصدقائى، لا يقول شعرا إلا عرضه علىّ، ولا يكتب كتابا إلا كنت أول قارئ له، وكنت أصنع معه ما يصنع معى، وقد نقضى اليوم الأطول فى مسامرة أدبية تدل على اتحاد الأهواء، وتوافق الميول، فلما ولى الوزارة توهمت أن الدنيا قد أقبلت على، وعددت نفسى الوزير لما أحسه من عميق الود بينى وبينه، ولكنه بدأ يتحرش بى فجأة، ثم أخذ يطعن فى عملى الإدارى، ويرسل من يناقشنى الحساب العسير، وقد أبلغ الخليفة عنى ما كان مصدر الخطر المحقق، ولكننى استرضيته بعدة أبيات كانت محل تقدير المتوكل، فصفح وعفا، ومازال ابن الزيات يرهقنى بالمساءلة، وقد أرسلت فى استعطافه مقطوعات شعرية جعل يرويها مستخفا مستهزئا، حتى اسودت الدنيا فى وجهى، وما ارتحت إلا بمصرعه على يد المتوكل، ويعلم الله مابى من شماتة، ولكن وفاته قد وضعت حدا لآلامى وأنقذتنى مما كان يحوك ويدبر دون أن أسلف له أدنى ذنب!

فابتسم أبو العيناء وقال: لقد أسلفت له أكبر ذنب دون أن تدرى. فأنت شريكه فى النبوغ الأدبىّ، وقد خاف على نفسه أن يمتد حبلك بالمتوكل عن طريقه فيعرف مكانك وفضلك، فتكون منافسه الأول لديه، ولابد إذن أن يجفوك، ويبدع عنك الغرائب، ويتهمك بالإهمال والقصور، حتى لا تصبح شيئا لدى الخلافة! وبذلك يستريح!

قال الصولى: وأعظم ما كنت أبذله فى استرضائه بلاء على نفسى، أن دفعنى دفعا إلى عداوة ابن أبى دؤاد! وابن أبى دؤاد يشمل الغرباء بفضله السابغ كما يشمل الأقرباء، ويرعى حرمة العدو كأنه صديق وفى، فأين الأرض من السماء؟

فعض أبو العيناء على شفته وقال: تُحدثنى عن أبى دؤاد كأنى أجهل أمره، إن كتب الدنيا لا تتسع لتسجيل مروءات أحمد، فكم أنقذ من أرواح، وكم أعان على معروف! لقد كان يقدر كل فاضل، ويرعى حرمة النبوغ لدى النابغين، فهو على النقيض من ابن عبدالملك الذى كان يتمنى أن يكون وحده فى الميدان! والله إن موقفه يوم أبى دُلف العجلى من الأفشين مما يكتب فى صحيفته يوم الحساب! وقد أدركته بديهته فأنقذه من الموت وهو منه قاب قوسين أو أدنى!

قال إبراهيم مهتما: بربك حدثنى عما كان! فقد نقل إلىّ الخبر مجملا وأنا أرتقب التفصيل منك، قال أبو العيناء: أبو دُلف العجلى ليس بمنكور الموضع من المروءة والشجاعة والكرم، وكان الأفشين أكبر قواد المعتصم يحسده لمكانته بين الناس، لأن الأفشين على شجاعته الفائقة، وانتصاراته البارعة فى حروب الخلافة، لم يكن ليطيق أن يذكر أحد بجواره فى مضمار القيادة، والأفشين تركىّ وأبو دلف عربى، وفى وهمه أن المعتصم مهما أنشأ حرسه الخاص من الأتراك، لا تنس أن قادة العرب عرب مثله، وأنهم إذا لم يكونوا من العلويين أو بنى العباس فلا خطر منهم على الخلافة، فإذا عُرِفَتْ مروءة أبى دلف واشتهرت على هذا النحو الواسع فى آفاق العراق فإن شمسه لابد أن تحجب سواه، هذا السر الحقيقى فى اضطهاد الأفشين لأبى دلف، حين لفق عليه جريمة لم تحدث. واستدعى شهودا يشهدون زورا بأن أبا دلف قاتل لابد أن يجرى عليه حكم القصاص، وطار النبأ إلى القاضى أحمد بن أبى دؤاد، وقد تمت محاكمة أبى دلف، وشهد الآثمون زورا عليه، وصدر الحكم ولم يتبق غير التنفيذ، ولئن ذهب ابن أبى دؤاد إلى المعتصم كى يوقف تنفيذ الحكم فربما نفذ القضاء قبل أن يقابل الخليفة، فيقتل أبو دلف ظلما دون جريرة.

هنا تجلت بديهة ابن أبى دؤاد عن حل سريع، إذ اصطحب معه شاهدين من رجال الدولة، وهجم على مجلس الأفشين، والمتهم بين السيف والنطع، فقال له: أنا رسول الخليفة المعتصم إليك، يأمرك ألا تمس أبا

دلف بسوء، وهاهو ذا حيٌّ أمام الشاهدين، فلا يمكنك أن تعتل بأن القضاء قد سبق، وأمير المؤمنين ينذرك أن رأسك برأسه إن أقدمت على جرم ما، فالحذر الحذر، ثم توجه سريعا إلى المعتصم، فقال له: معذرة يا أمير المؤمنين إذا قمت بحديث على لسانك لم تنطق به، فقد أعجلني الوقت عن المجيء إليك وخفت أن يشفي الأفشين حقده على بطل عربي ذي مروءة ووجاهة بين الناس. وقد اتهمه ظالما، وأحضر شهود الزور، وأعد الحكم بالقتل، فقمت بأداء رسالة عنك أرجو أن يكون ثوابها عند الله مدخرا لديك.

فتبسم المعتصم فرحا، وقال له: ما فعلت غير الواجب يا أحمد، فجزاك الله خيرا، وأحضر من يدعو الأفشين لتوبيخه وتأنيبه، ونجا سيد العرب أبو دلف بما قام به سيد الناس أحمد ابن أبي دؤاد.

قال إبراهيم الصولي: لم يكن أحد يجرؤ على أن يؤدي رسالة عن الخليفة لم تصدر عنه غير أحمد بن أبي دؤاد، إذ وثق بمكانته منه!

فرد أبو العيناء: ليست المسألة ثقة في مكانته لدى الخليفة، إذ من يدري فلعل المعتصم وهو بشرٌ من الناس يغضب أن ينسب إليه مالم يأمر به، فيعاجل ابن أبي دؤاد بالمكروه، وهذا مالم يغب عن ابن أبي دؤاد، ولكنه اندفع وراء مروءته محتسبا صنيعه عند الله، وقد قدم على المعتصم بين الرجاء والخوف، وهذا ما يبرز شهامته التي لا حد لها!

قال الصولي: هذا صحيح، ولكني أعرف أن الله قد ألهم المعتصم حب القاضي فشجعه ذلك الحب على أن يذهب بمروءته فوق المستطاع.

سكت أبو العيناء قليلا، فصاح به إبراهيم الصولي: لِمَ لَمْ ترد؟

فقال في تؤدة: إذا كان ابن أبي دؤاد ذا حظوة لدى المعتصم يتكئ عليها في إسعاد البائسين، وإنقاذ الملهوفين، فإن الواثق لم يكن في أول عهده ينزله المنزلة التي احتلها عند المعتصم، ولكنه ثابر على نفع الناس بوساطته، حتى كاد يضجر منه، وعندي في ذلك شاهد لا يكذب!

قال الصولي: بربك أسعفني به.

فقال أبو العيناء: حضر ابن أبي دؤاد مستشفعا فيمن يسمى بعبدالله اليماني، فأكثر من الاستعطاف مبدئا ومعيدا، والواثق يظهر التضجر، ولا يستجيب، ولو كان أحدٌ غير ابن أبي دؤاد لراعى مقتضى الحال وأمسك، ولكن القاضي ألحّ وبالغ، فقال الواثق: يا أبا عبدالله، لقد أكثرت في غير طائل، فقال أحمد: إنه صديقي، فردّ الواثق: وما قدر هذا اليماني حتى يكون صديقك، فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، إن شهرني عند الناس بالاستشفاع لديك، فإن لم أقم بواجب الشفاعة فقد ضاع قدري، لدى من يعلم أنك تعطف على رجائي!

وما أظنك ترضى بهواني لديك! فتبسم الواثق بعد عبوس!

كما أذكر أن أحمد بن أبي دؤاد دخل على الواثق مع نفر من الناس، فعرف أنه جاء يسأل لهم ما يحتاجون، فصاح به: لقد أخليت بيوت المال بكثرة ما تطلب يا أحمد، فقال: يا أمير المؤمنين، نتائج ما أطلب متصلة بك، وذخائرها موصولة لك، وأنت المعطي، والناس يمدحون، والله يثيب! فتبسم الواثق، وقال: تقول مثل هذا الكلام، وأمنعك ما تريد، لا والله، وأمر، فشفع واستجيب!

ثم استدرك أبو العيناء يقول لصاحبه: لقد انتقلت بنا إلى الواثق قبل أن نذكر غررا أيما نعلم من أمره مع المعتصم، لقد ذكرنا قصة أبي دلف يوم تعمد الأفشين قتله وهي لا تقل عن قصة أحمد مع البطل الشيباني خالد بن الوليد. فقال الصولي: يالله!! خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فارس العرب وسيد بني شيبان، كان في حاجة إلى عون ابن أبي دؤاد.

فقال أبو العيناء: عجبا! كأنك لا تعلم! ألا فلتسمع!

غضب المعتصم على خالد بن يزيد الشيباني، وطلب حضوره لمناقشته الحساب في أموال تصرف فيها خالد بدافع الكرم الموروث عن أبيه، وكان المعتصم قد استمع لوشايات كثيرة، ضاعفت من الأثر السئ في نفسه نحو البطل الشيباني، وأحس أحمد بن أبي دؤاد بما ينتظر من الخطر الداهم. فتقدم إلى المعتصم شافعا ملحفا، فلم يجبه أمير المؤمنين مصرا على

تنفيذ عقوبة صارمة تلحق ابن يزيد، فقام أحمد من مجلسه بين يدى الخليفة، وجلس فى آخر مكان حيث لا يليق بقاضى القضاة أن يجلس، فتوجه إليه المعتصم قائلا: يا أبا عبدالله، جلست فى غير مجلسك المعتاد، فقال فى أسف: ما ينبغى ياأمير المؤمنين أن أتقدم عن مكانى هذا، لأنه مكان من لا يستطيع الشفاعة لدى أمير المؤمنين، قال المعتصم: وكيف؟

فقال أحمد: سيزعم الناس بعد أن خابت شفاعتى أنى أتقدم بين يديك دون استحقاق وأنى لست ممن يستطيع أن يرجو فيجاب، قال المعتصم: بل فارجع إلى مجلسك، فقال أحمد: شافعا أو غير مشفع، قال: بل تشفع إن شاء الله، فارتفع القاضى إلى مجلسه الأول، ثم قال للمعتصم: إن الناس لا يعلمون رضا أمير المؤمنين عن خالد بن يزيد حتى يخلع عليه، فأمر المعتصم فخلع عليه كسوة تقديرية، فقال أحمد: ولخالد وأصحابه رواتب ستة أشهر لابد أن يقبضوها، فإذا أمر بها أمير المؤمنين فى هذا الوقت قامت مقام الصلة، قال المعتصم: قد أمرت، بجميع الرواتب الآن، فخرج خالد من مجلس المعتصم، وعليه الخلعة، وبيده المال، وكان الناس ينتظرون خروجه إلى السجن مخفورا، فتعجبوا مما رأوا، وصاح أحد أتباعه: الحمد لله على خلاصك ياسيد العرب، فقال له: اسكت، فسيد العرب والله أحمد بن أبى دؤاد، ولا سيد لهم سواه.

قال إبراهيم: صه ياأبا العيناء، سيد العرب أمير المؤمنين، ولا يسمعك أحد!

فرد أبو العيناء: مولانا أمير المؤمنين سيّد العرب والعجم معا، ولن يغضب حين يعلم أن أحد أتباعه سيد قومه، إذ هو سيد السيد.

فصاح إبراهيم: ليت لى بهديتك ياأبا العيناء التى تخرج بها من أعسر المآزق!

فقال صاحبه: أهذا مأزق ياأخى، إن الناس جميعا يعلمون أن ابن أبى دؤاد المحامى الأول عن العرب فى مجلس الخليفة، وما اغتاظ أعداء العرب إلا من سطوته الحازمة، ومروءته النادرة!

بل ما مدحه شاعر إلا وذكر فخر العرب بأحمد!

ألم تسمع قول أبى تمام:

أخذت بأعضاء العُريْب وقد خوت
عيونٌ كليلاتٌ وذلّت جماجم

فأضحوا لو اسطاعوا لفرط محبةً
لقد عُلقت خوفا عليك التمائم

ولو علم الشيخان أُدٌّ ويعرب
لسُرّت إذن تلك العظام الرمائم

تلاقَى بك الحيّان فى كل محفل
جليل، وعاشت فى ذراك العمائم

قال الصولى: لقد جئت إلى زيارتك، وكلى حب وتقدير لقاضى القضاة، وقد تطوح بنا الحديث فى مآثره التى لا يمكن أن تقف عند مجلس واحد، ولكنى أتذكر قول بشار: ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها، أتذكرّه لأنى أعرف أننا بشر، ولا كمال لإنسان!

فأجاب أبو العيناء: ماذا تعنى ياأخى؟

فرد الصولى: أعنى أن الكمال لله وحده، إذ لو كان ابن أبى دؤاد ممن ترضى جميع سجاياه، ما قام مقامه العشير فى مشكلة خلق القرآن.

عضّ أبو العيناء على شفتيه متألما وقال: هو ما تقول ياأخى، لقد اندفع الرجل إلى تأييد المأمون، فكانت الكارثة.

قال الصولى: أخشى أن يكون قد اندفع إلى توجيه المأمون نحو الكارثة.

قال أبو العيناء: ولماذا تخشى، الحقّ حق، لقد شغف ابن أبى دؤاد بقضايا الاعتزال، وعدّ نفسه نصيرا لكل قول يسوقه المعتزلة، وله أن يعتنق ما يشاء.

فرد الصولى: له أن يعتنق ما يشاء متى اتضح له الدليل، ولكن ليس له أن يفرض على غيره مالم يقم عليه دليل فى منطقه، لأن لأهل السنة منطقا غير منطق الاعتزال.

لم يبد أبو العيناء اعتراضا، ولكن سحابة الألم قد غشيت وجهه، فقال له الصولى: هل آلمتك فى شىء؟

فقال أبو العيناء: ولماذا ترجئ إلى الغد، قم معى ياصاحبى الآن، وسنجده جلدا على النوائب، صلبا صلابة الجبال الراسيات!

الأسرة فى التشريع الإسلامى

- الأســــــــرة فى الإســــــــلام
- إنصاف الإسلام للمرأة وتجديد الخطاب الدينى
- تنظيم الأسرة فى الإسلام
- المؤتمر التحضيرى للجنة الإسلامية للمرأة والطفل

الإسلام اعتنى بالأسرة بهدف إقامة مجتمع قوى متماسك يسوده الإيمان والأمن والنظام

الأسرة فى الإسلام

د/ سالم محمود عبد الجليل

مكانة الأسرة فى الإسلام

مفهوم الأسرة:

الأسرة هى الجماعة يربطها أمر مشترك[1]، ولهذا يقولون أسرة المعلمين، أسرة الأدباء.. إلخ.

ونحن نقصد بالأسرة: تلك المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين ابتداء ثم من الأبناء والأحفاد والذرية.

الأساس الذي تبني عليه الأسرة:

أساس الأسرة: رجل وامرأة، والعلاقة بينهما: زواج شرعى غايته السكن، يسكن كل زوج إلى زوجه، قال تعالى: **﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾** الأعراف: آية ١٨٩، ولا يمكن أن يحصل السكن للنفس البشرية إلا من خلال الزواج الشرعى الذى يربط بين طرفيه المودة والرحمة ولذا جعلهما الله تعالى فى قلب كل من الزوجين، لتحصل السكينة، قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الروم: آية ٢١.

الرابط بين الأسرة موصول حتى بعد الموت:

والرابط بين الأسرة لا يفنى والعلاقة لا تنتهى حتى وإن انتهت الآجال وفرق الموت بين الأجساد، فإن الله تعالى يجمع بين أطرافها يوم القيامة، وتصبح الجنة مأوى جميع أبناء الأسرة المؤمنة، زوج وزوجة وأب وأم وأبناء وبنات، لتسعد الأسرة باجتماعها فى الجنة كما سعدت به فى الدنيا، بشرط أن يتوافر الإيمان والصلاح. قال تعالى: **﴿الذين يحملون**

عنى الإسلام بالأسرة عناية فائقة باعتبارها اللبنة الجوهرية التى يتأسس عليها المجتمع

****

الذى يعجز عن نفقات الزواج وتأسيس أسرة عليه بالصيام

العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم* ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ غافر: الآيتان ٧، ٨. حتى وإن كان أحدهم أقل فى درجته عنهم رفع إلى درجتهم وشفع الأصلح فى الصالح دون أن ينقص الله تعالى الأصلح شيئا، وهذا مفهوم قول الله عز وجل: **﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرئ بما كسب رهين﴾** الطور: آية ٢١.

الأسرة هي اللبنة التي يتكون منها المجتمع:

ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع، فالأسر هى لبناته، ولما كان الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع قوى متماسك يسوده الإيمان والأمن والنظام اعتنى بالأسرة عناية فائقة لأنها الحلقة الأولى واللبنة الجوهرية التى يتأسس عليها المجتمع، ولا يمكن أن يوجد مجتمع قوى متماسك يسوده الإيمان والأمن والنظام إلا إذا وجدت الأسرة المبنية على أساس سليم ومتين، أساس الود والألفة والمحبة والتعاون.

فإذا تلاحمت الأسر على أسس منهجية قويمة من التعاون والتكافل والتراحم والعدل وجد المجتمع القوى المتماسك الآمن المطمئن.

وعلى العكس فإن الأسرة إذ لم تبن على أساس سليم ومتين فلاشك أن المجتمع سيضطرب وستضعف قوته، ويسود فيه الظلم والجهل والتخلف والفسوق والعصيان.

هدم الأسرة أعظم فتنة:

إن تفكك الأسرة يعتبر أعظم فتنة وأشد خطرا على المجتمع ذلك لأن الأسرة هى القرار للرجل والمرأة على السواء، وهى السبيل لإشباع الغريزة فى الحلال، وهى المحضن الذى يتربى فيه الأبناء، فإذا تفككت الأسرة فلن تؤمن العاقبة على المجتمع بأسره لأن الأسرة نواته، ولعل هذا هو الذى جعل إبليس اللعين يدنى منه من يتسبب فى هدم الأسرة، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجىء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه، منه ويقول: نعم أنت**»(٢)، إذن يقرب إبليس اللعين من عرشه ذاك التلميذ النجيب والجندى المخلص من تلامذته وجنوده الذى ينجح فى هدم الأسرة بالتفريق بين طرفيها الرجل والمرأة، ويعتبر هذا الصنيع هو الأعظم فتنة لما يترتب عليه من آثار سيئة عظيمة على المجتمع بأسره.

التفكك الأسرى فتنة كبرى تفتك بالمجتمع

وجود الأسرة ضرورة فطرية :

خلق الله تعالى الرجل وخلق له زوجه (المرأة)، فلا يمكن للرجل أن يعيش حياة سعيدة بدون المرأة ولا يمكن للمرأة أن تعيش حياة سعيدة بدون الرجل، فالرجل والمرأة من نفس واحدة، وكان بوسع الله تعالى - وهو لا يعجزه شىء - أن يخلق حواء من طينة يصورها ثم ينفخ فيها من روحه كما فعل بآدم، لكنه سبحانه خلق حواء من نفس آدم لتعلم المرأة أنها ليست شيئا آخر غير الرجل بل هى جزء منه، والجزء بطبيعته يحن إلى أصله ولا يمكن لها أن تقر إلا فى جواره ومعيته، وليعلم الرجل أن المرأة ليست شيئا غريبا عنه بل هى جزء منه يجب عليه أن يحافظ عليها ويصونها بفطرته قبل أن يوجب عليه الشرع ذلك، فهى كقلبه أو عينه، لا سكنى له ولا استقرار إلا فى جوارها، ولا طمأنينة للمرأة إلا فى جوار رجلها، ﴿**هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾ الأعراف: آية ١٨٩، وجعل الحب فطريا بينهما، وكان النبى ﷺ يظهر هذا المعنى لأصحابه، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**حبب إلىَّ من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة**»(٣).

مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة :

اهتم الإسلام بالأسرة اهتماما لا مزيد عليه، ودعا إلى تكوينها على أساس متين دعائمه أربع:

١ - **القدرة والاستطاعة**: فعن عبدالرحمن بن يزيد قال: دخلت مع علقمة والأسود على عبدالله فقال عبدالله: كنا مع النبى ﷺ شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(٤)، وهذا نص صريح بأن العاجز عن نفقات الزواج وتكوين الأسرة لا يصح له أن يقدم عليه.

ومفهوم الباءة هنا أوسع من مجرد النفقة، بل يقصد بالباءة القدرة على متطلبات الزوجة والقيام بحقها كاملا حتى يتحقق الغرض من الزواج وهو العفة، ولعل هذا يفهم من هذا الحوار بين أصحاب رسول الله ﷺ، فعن علقمة قال: كنت أمشى مع عبدالله بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان: يأبا عبدالرحمن ألا نزوجك جارية شابة لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك؟ قال: فقال عبدالله: لئن قلت ذلك لقد قال لنا رسول الله ﷺ: «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(٥)، فكأن عبدالله يرد على عثمان - رضى الله عنهما - بأنه كشيخ لم يعد يستطيع القيام بحق المرأة خاصة إذا كانت شابة صغيرة.

٢ - **حسن الاختيار**: فيختار الرجل ذات الدين لقوله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت**

يداك»(٦)، ويختار ولى المرأة الرجل الصالح لقوله ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»**(٧).

٣ - **المعاشرة بالمعروف**: لقوله تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾** النساء: آية ١٩، ولقوله ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**(٨).

الإكـــراه فى الزواج مـــرفـــوض شـــرعـــًا

٤ - **الحرية التامة**: فلا يكره الرجل على الزواج بمن يكره، ولا تُكره المرأة على الزواج والارتباط بمن تكره، ولقد ذكرت كتب السنة قصة فتاة شكت أباها لرسول الله ﷺ حيث زوجها من غير مشورتها وأخذ رأيها فرد رسول الله ﷺ الزواج، فعن عبدالله بن بريدة عن عائشة أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا كارهة، قالت: اجلسى حتى يأتى النبى ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها، فقالت يارسول الله: قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء»(٩).

وبعد، فإن الإسلام وهو الدين الكامل فى هديه وتشريعه نظر إلى الأسرة نظرة شاملة دقيقة، فتناولها من حيث نشأتها ووجودها، ووضع الروابط الوثيقة التى تؤصل العلاقة بين طرفيها، وتضمن الرعاية الكاملة لثمرتها، وتنظم الحياة السعيدة المستقرة لأفرادها، ومعلوم أن ذلك لا يتحقق إلا إذا روعيت مبادئ الإسلام القويمة، وأسسه الكريمة، وقيام كل واحد بواجبه قبل أن يطالب بحقه.

الهوامش :

١ - المعجم الوجيز (أسر) ص١٦.

٢ - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم: ٥٠٣٢.

٣ - رواه النسائى فى سننه، باب عشرة النساء، حديث رقم: ٣٨٧٨، ورواه أحمد فى مسنده، باقى مسند المكثرين حديث رقم: ١١٨٤٥.

٤ - أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح، حديث رقم ٤٦٧٨.

٥ - أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب النكاح، حديث رقم: ٢٤٨٥.

٦ - متفق عليه، صحيح البخارى، كتاب النكاح، حديث رقم: ٤٧٠٠، صحيح مسلم، كتاب النكاح، حديث رقم ٢٦٦١.

٧ - رواه الترمذى فى سننه، كتاب النكاح، حديث رقم ١٠٠٤، وابن ماجة فى سننه كتاب النكاح، حديث رقم ١٩٥٧.

٨ - رواه الترمذى فى سننه كتاب المناقب، حديث رقم ٣٨٣٠، ورواه ابن ماجة فى سننه كتاب النكاح، حديث رقم ١٩٦٧، ورواه الدارمى فى مسنده كتاب النكاح، حديث رقم ٢١٦٠.

٩ - رواه النسائى فى سننه، كتاب النكاح، حديث رقم ٣٢١٧، وابن ماجه فى سننه كتاب النكاح، حديث رقم ١٨٦٤، وأحمد فى مسنده، باقى مسند الأنصار حديث رقم: ٢٣٨٩٢.

إنصاف الإسلام للمرأة وتجديد الخطاب الدينى

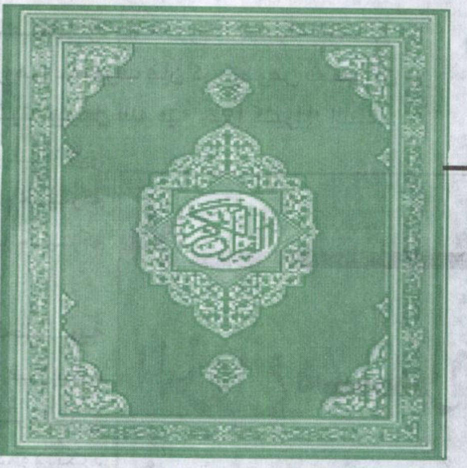

فضيلة الشيخ
محمد عبدالمجيد زيدان

• خلق الله النوع الإنسانى من ذكر وأنثى، وقدر بقاءه على التزاوج والتناسل، فكل من الرجل والمرأة مكمل لصاحبه لازم له لا غنى لأحدهما عن الآخر بحال، قال تعالى: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» الحجرات: آية ١٣.

• ولقد وضعت الشريعة الإسلامية المرأة مع الرجل فى إطار واحد فى إبداء الرأى وفى التكاليف وفى الثواب والعقاب، ففى الحديث الشريف: «إنما النساء شقائق الرجال» رواه أبو داود والترمذى والإمام أحمد فى مسنده.

• ولقد كانت المرأة مع الرجل قبل الإسلام مظلومة ومهانة، فجاء الإسلام وأعطى المرأة كل الحقوق التى أعطاها للرجل إلا ما اقتضته طبيعة المرأة مما يحفظ أنوثتها ويتفق مع وظيفتها فى بقاء النوع الإنسانى ويعترف لها بالحياة والخلود والجنة والنعيم حسب عملها وإخلاصها، وأوجب تعليمها وتربيتها حيث سوى فى العلم بينها وبين الرجل، فكما أن العلم فريضة على المسلم هو أيضا فريضة على المسلمة، فمن حقها أن تحصل على حقها فى العلم والأدب والثقافة والتهذيب.

• ففى الحديث الشريف: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى ـ ولقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثال فى الحرص على تعليم المرأة وتثقيفها، يحدثنا التاريخ أن الشفاء العدوية كانت كاتبة فى الجاهلية وكانت تعلم الفتيات، وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها برسول الله ﷺ فلما تزوجها الرسول ﷺ طلب من الشفاء أن تتابع تثقيفها وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه وأصول الرسم والكتابة، وكان لذلك أثره فى جمع صحف القرآن الكريم، فقد كانت ـ رضى الله عنها ـ تحتفظ بها فى منزلها مرتبة كما علمها الرسول ﷺ.

● كذلك تعلمت السيدة عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما - القراءة والكتابة، ويحفظ التاريخ لكثير من فضليات النساء المسلمات أنهن كن على جانب كبير من الثقافة والتعليم، وأنهن كن يقمن بتعليم الرجال والنساء.

● لقد نظر الإسلام إلى المرأة نظرة إنصاف ورعاية فى كل أدوار حياتها، فرعاها بنتا وزوجة وأما، ورعاها عضوا عاملا فى الهيئة الاجتماعية، وقرر قاعدة جليلة تبين قيمة المرأة ومكانتها، فيقول القرآن الكريم: **﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾** البقرة: آية ٢٢٨، تلك الدرجة التى للرجال على النساء هى درجة الولاية والإنفاق والرعاية والحياطة، لا درجة الاستبداد أو الظلم أو التحكم أو الإهانة، فقد بين الله هذه الدرجة بقوله: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾** النساء: آية ٣٤، وكثيرا ما كان يردد رسول الله ﷺ **«ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»**.

● والقرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ ونظامه فى بيوته حافلة بالمثل العليا فى تكريم المرأة وإعزازها وحفظ شخصيتها - حتى وهى زوجة فى عصمة الرجل - وحريتها التى لا تخدش عرضا ولا تلوث سمعة، وإقرار تصرفاتها المقبولة التى لا تورث عارا ولا ضعة.

● لقد جاء القرآن فوهبها حق الحياة التى حرمها منها الإنسان بل الوالد فقال: **﴿لقد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾** الأنعام: آية ١٤٠، وقال: **﴿وإذا الموءودة سئلت* بأى ذنب قتلت﴾** التكوير: الآيتان ٨، ٩، وقرر لها نصيبا فى التركة وحقا فى الإرث فقال: **﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾** النساء: آية ٧.

استبداد الآباء ببناتهم وسحق إرادتهن وإكراههن على الزواج بمن لا يرغبنه فيه نشر للفساد وارتداد للجاهلية الأولى

● وقرر للبنت حق اختيار شريكها بدون إكراه وأوجب إذنها فى التزوج، روى أبو هريرة فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: **«لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن، قالوا يارسول الله: وما إذنها، قال: أن تسكت»** وقال تعالى ينهى عن ظلم النساء ومنعهن من التزوج طمعا فى ميراثهن: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾** النساء: آية ١٩.

● **وهذا رسول الله ﷺ يطلب إلى ابنة عمه أم هانئ بنت أبى طالب أن يتزوجها فتعتذر فيقبل عذرها ولم يلزمها، وتزوجت الخنساء بنت خذام رجلا أكرهها عليه والدها فقال: أجيزى ما صنع أبوك، فقالت: مالى رغبة فيما صنع أبى، فقال النبى ﷺ اذهبى فلا نكاح له، أنكحى من شئت، فقالت: أجزت ما صنع أبى ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم من شىء.**

● وتزوجت جارية حبشية تدعى (بريرة) بعبد من عبيد المغيرة مرغمة، فأشفقت عليها السيدة عائشة أم المؤمنين واشترتها وأعتقتها، فقال رسول

الله ﷺ: «**ملكت نفسك فاختارى**»، وزوجها يبكى وهى تأباه والنبى ﷺ يقول لأصحابه: «**ألا تعجبون من حبه لها وبغضها له؟**»، ثم قال لها: «**اتق الله فإنه زوجك وأبو ولدك!!، فقالت: أتأمرنى؟ فقال: لا إنما أنا شافع، فقالت: إذا فلا حاجة لى إليه**»، فرسول الله ﷺ لا يستطيع أن يرغم ابنة عمه على التزوج به، ويعطى للجارية حرية فسخ عقد زواجها، والآباء فى عصرنا يكرهون البنت على الزواج من غنى متهدم أو فاجر متقدم، فينتشر الفساد بين العباد، فما ذنب الإسلام فى استبداد الآباء ببناتهم وسحق إرادتهن وشقاء الأسر وخراب البيوت ورجوع بعض الآباء للجاهلية الأولى؟ فاستبد بالمرأة أو أهملها أو اتخذ الزوجة تجارة وصنعة.

● لقد أجاز الإسلام للمرأة أن تتزوج من هو أكفأ منها، ولكنه نهى البنت أن تتزوج إلا من كفء يماثلها حسبا وعلما ومكانة، حتى لا تتضع العظيمة بالحقير ولاتفقد شخصيتها بالزواج، بل تزيد به كرامة وعزة وتتصرف فى مهرها ومالها كما تشاء بدون إذن زوجها.

● كما جعل الزوجة قطعة من نفس الرجل وجعل بينهما محبة تحلو بها الحياة ورحمة يطيب بها العيش، وجعل الزواج سكونا للنفس وراحة للقلب به إشباع العاطفة، وإمتاع النفس، وإنجاب الذرية، فقال سبحانه: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ الروم: آية ٢١.

● فإذا فتر الحب وبردت حرارة القلب فمعاشرة بمعروف أو ترك بإحسان، وقد يكون الخير فيمن نكرهها فقد تطغى العواطف فلا يرى العقل مافى المرأة من خير، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**﴾ النساء: آية ١٩، وسأل عمر رضي الله عنه رجلا لم طلق امرأته؟ فقال: لا أحبها، فقال عمر: وهل البيوت بنيت على الحب؟ أين الرعاية والذمم؟

● فإذا صارت المرأة أما فقد بلغت الذروة ولمست مواطن التكريم، فديننا جعل الجنة تحت أقدام الأمهات وأوصى رسول الله رجلا بأمه ثلاث مرات متواليات، وفى الرابعة أوصاه بأبيه، وبر الوالدين قرن فى القرآن بتوحيد الله وجعل للأبوين المشركين حق الاحترام والطاعة لا حق الاتباع فى الشرك، قال تعالى: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا**﴾ لقمان: آية ١٥.

المرأة والدعوة:

● وأما دور المرأة فى مسيرة الدعوة الإسلامية فلقد صرح القرآن الكريم بمسئولية المرأة فى جانب الدعوة وقرن بينها وبين الرجل فى تلك المسئولية - مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - قال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾ التوبة: آية ٧١.

● ومنذ فجر الإسلام تضطلع المرأة بتلك المسئولية مثلها مثل الرجل سواء بسواء، فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها، والحياة لا يمكن أن تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما.

● ولقد كان المسجد النبوى الشريف مركز إشعاع روحى وثقافى واجتماعى يتسع للرجال والنساء على السواء، ولقد كانت أمهات المؤمنين والصحابيات تلميذات نجيبات لرسول الله ﷺ.

● إن التاريخ الإسلامى حافل بالنماذج الفذة من النساء الداعيات منذ فجر الإسلام، ولا يمكن لأحد أن يغفل الدور الدعوى لأمهات المؤمنين، فكانت حجراتهن بمثابة مدارس أسسها الرسول ﷺ فانتشر من بين جدرانها العلم والمعرفة وتتلمذ عليهن

كبار الصحابة والتابعين فأخذوا عنهن الحديث والتفسير والفقه والفتوى، ولقد ظهر فضلهن بعد وفاته ﷺ فى حفظ السنة ونشرها للناس.

● كما يؤكد التاريخ مشاركة صحابيات وتابعيات متفردات بدور متميز وبارز فى حقل الدعوة، ولقد امتد هذا العطاء الدعوى النسائى منذ فجر التاريخ وحتى وقتنا الراهن.

المرأة الداعية فى مواجهة التحديات:

● إن التحديات الخطيرة تفرض على واقعنا المعاصر أن يستمر دور الداعيات وأن نعمل جاهدين على تطويره وتفعيله، ومن هنا كان ولابد أن يفسح المجال أمام النساء ليؤدين دورهن فى الدعوة إلى الله، وكانت وزارة الأوقاف سباقة فى تحقيق دور المرأة المسلمة فى الدعوة الإسلامية، وذلك بإنشاء المراكز الثقافية «معاهد إعداد الدعاة سابقا» لإتاحة الفرصة أمامها لدراسة العلوم الدينية والعربية والتزود بالثقافة الإسلامية، لتساهم مع الرجل فى حمل مسئولية الدعوة الإسلامية فى المساجد والمدارس والندوات والمحاضرات، وقد نجحت هذه التجربة نجاحا باهرا.

● وأما مشاركتهن فى الهجرة النبوية والإصرار على تحقيق الانتصار باعتبار أن الهجرة تعتمد على عنصرى المجتمع الذكر والأنثى، مما يعطى انطباعا أكيدا بأنه لا غنى للمرأة والرجل عن التكامل فى الحياة، لهذا لعبت المرأة المسلمة أثناء الهجرة النبوية دورا عظيما، حيث كتمت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى مازالت بنتا وغير متزوجة خبر مجىء الرسول ﷺ إلى بيت أبيها، وكان لهذا أثره فى نجاح الهجرة، وكذلك قامت السيدة أسماء بنت أبى بكر بدور لا يقل أهمية، فكانت تتحمل مشاق إعداد وتوصيل الطعام للرسول وصاحبه الصديق أبى بكر، ولم تكن السيدة أسماء وحدها التى تقوم بإعداد الطعام فكانت هى ونخبة من النساء من أهل بيتها.

● والمرأة اليوم هى سليلة امرأة الأمس، وهى صانعة الرجال وبانية الحضارة، ولا يصح التركيز على حصر دور المرأة فى الإثارة، وإنما يجب أن يبرز دورها فى نصرة الدين وفى الأعمال النافعة، ولا ينسى التاريخ عندما ثارت ثائرة القرشيين لهجرة النبى ﷺ وصاحبه، وجعلوا الجائزة مائة ناقة لمن يأتى بهما، وهرع أبو جهل إلى بيت أبى بكر وطفق يضرب على الباب فى غيظ فخرجت إليه السيدة أسماء فقال لها: أين أبوك، فقالت: لا أدرى، كتمت السر فى أمر الهجرة رغم الجائزة الكبرى، فرفع أبو جهل يده فلطم خدها لطمة قاسية طرح منها قرطها، ثم انصرف ولحق بجماعة من الفتيات يفتشون فى غار ثور، فمشاركة المرأة كبيرة فى رحلة الهجرة سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة، مما أدى إلى تكوين الدولة الإسلامية بعد ذلك.

عطاء الإسلام الحضارى

● إن تجديد الخطاب الدينى الذى أصبح ضرورة لها أهميتها الكبرى فى هذا العصر يجب أن يتناول مثل هذه الموضوعات بحيث لا يكتفى بجلاء الصدأ الذى أحدثته العزلة المعرفية عن ثقافة العصر وشئونه، بل على الداعية إبراز عطاء الإسلام الحضارى فى هذه الموضوعات لأن الأمر ليس مجرد حفظ لكتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ بل المشكلة هى القصور فى حسن فهمه للكتاب والسنة واستيعاب إيحاءاتهما وفقه مضامينهما والوقوف على سنن الله وقوانينه فى الناس والحياة لأن حاجتنا إلى الدين ماسة وملحة وعامة على اختلاف مواقعنا الفكرية والسياسية والاجتماعية، فإذا ما صلح فهمنا له صلحت حياتنا، وإذا ما فسد فهمنا له فسدت حياتنا لأن الدين ليس مجرد غيب، ولكنه غيب وشهادة وضمير ومعاملة ويدعونا دائما إلى السماحة والمحبة والمودة والرحمة والعمل والذوق الرفيع والبعد عن عوامل العدوان وتوظيف إرادة الخير بما يحقق سعادة الفرد والمجتمع والإنسانية.

تنظيم الأسرة فى الإسلام

إن النمو السكانى فى المجتمع يستلزم زيادة فى الخدمات، من إنشاء المستشفيات ودور العلم، ووسائل المواصلات، وإيجاد فرص العمل، فإذا لم يف النمو الاقتصادى بهذه الأغراض؛ كان المجتمع كثرة هزيلة، جاهلة عليلة، غثاء كغثاء السيل، فلا رقى، ولا تقدم، ولا رخاء، ولا قوة، ولا عزة، ولا رفاهية.

من هنا كان لزاما علينا أن نفكر فى مواجهة هذا الانفجار السكانى الذى يعوق مسيرة الأمة فى قافلة الحياة المنطلقة إلى أهدافها النبيلة وغاياتها الكريمة وأن نبحث عن الحلول الذاتية التى تحمى أمتنا، لكل هذا نقدم للقارئ كتابا يحوى بحوثا أعدها نخبة من العلماء قدموا من خلالها رأى الدين فى هذه القضية القومية، والكتاب الذى نعرض له صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن سلسلة قضايا إسلامية العدد (١٠٧) تحت عنوان: «تنظيم الأسرة فى الإسلام».

تـــأليف

نخبة من العلماء

عـــرض

حسن أحمد خليل

الفصل الأول من هذا الكتاب لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، قدم فضيلته من خلاله رأى الدين فى تنظيم الأسرة، مقدما بعض الحقائق التى تعين على حسن الاقتناع منها:

● إن الأديان السماوية أنزلها الله تعالى لسعادة البشر وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

● إن الخلاف فى الأمور التى تقبل الاجتهاد لا غبار عليه، ولا ضرر منه مادام القصد الوصول إلى الحق، وإلى ما تتحقق معه المصالح النافعة للأفراد والجماعات.

● الأولاد ثمرة القلب وإحدى زينتى الحياة الدنيا، ولكنهم فى الوقت نفسه أمانة فى أيدى الآباء يجب مراعاة هذه الأمانة وحسن تربيتها دينيا وجسميا وعلميا وخلقيا.

● هذا الكون أقامه الله تعالى على نظام دقيق، بديع، محكم، كل شىء فيه يسير وفق تدبير متقن، إذا فالإنسان العاقل هو الذى يتخذ النظام شعارا له فى كل شئون حياته، وسائر تصرفاته.

● التنافس بين الأمم بات يعتمد على التقدم العلمى والابتكارات والاختراعات ووفرة الإنتاج، ولم يعد التنافس بين الأمم بكثرة الأفراد خاصة وأن هناك أمما أقل عددا من غيرها، ولكنها أقوى وأغنى من ذلك الغير.

فضيلة الإمام الأكبر:

لم يعد التنافس بين الأمم بكثرة الأفراد وإنما بتقدم العلم ووفرة الإنتاج

● مما تمتاز به شريعتنا الإسلامية أنها تكل الحكم فى الأمور التى تخضع فيها المصلحة للظروف والأحوال إلى أرباب النظر والاجتهاد والخبرة فى إطار قواعدها العامة، ومن هذه الأمور مسألة تنظيم الأسرة أو النسل فهى تختلف باختلاف ظروف كل أسرة وكل دولة حسب إمكانياتها.

وبعد هذه الحقائق التى قدمها فضيلة الإمام الأكبر، طرح فضيلته بعض التساؤلات وإجاباتها حول قضية تنظيم الأسرة، عرف فضيلته من خلالها المقصود بتنظيم الأسرة، ومعناه ببساطة أن يتخذ الزوجان

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

تنظيم الأسرة فى الإسلام

(العدد ١٠٧)

القاهرة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

باختيارهما واقتناعهما الوسائل التى يريانها كفيلة بتباعد فترات الحمل أو إيقافه لمدة معينة من الزمان يتفقان عليها فيما بينهما بقصد القيام برعاية أبنائهما رعاية متكاملة، وبدون عسر أو حرج أو احتياج غير كريم موضحا فضيلته أن هناك فرقا شاسعا بين التنظيم وبين التحديد والتعقيم والإجهاض، إذ أن تحديد النسل بمعنى منعه منعا مطلقا دائما حرام شرعا ومثله التعقيم الذى يعنى القضاء على أسباب النسل نهائيا.

أما الإجهاض وهو قتل الجنين فى بطن أمه أو إنزاله فقد أجمع الفقهاء أيضا على حرمته، وأنه لا يجوز إلا إذا حكم طبيب ثقة بأن فى بقاء هذا الجنين هلاكا للأم أو ضررا بليغا سيصيبها بسبب بقائه فى بطنها.

ومن ثم يخلص فضيلته إلى أن تنظيم الأسرة أو النسل جائز شرعا وعقلا متى كانت هناك أسباب تدعو إليه، وهذه الأسباب يقدرها الزوجان حسب ظروفهما، وقد قدم فضيلته آراء لبعض الفقهاء القدامى والمحدثين الذين فصلوا الحديث فى هذه المسألة، فمن القدامى الإمام الغزالى (ت ٥٠٥هـ فى كتابه إحياء علوم الدين) ومن المحدثين فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ فى كتابه «تنظيم الأسرة»، والشيخ السيد سابق ـ رحمه الله ـ فى كتابه «فقه السنة»، موضحا فضيلته أن آراء هؤلاء الفقهاء أجازت تنظيم الأسرة، متى كان هناك داع إليه.

ويضيف فضيلته أن تنظيم النسل أو الأسرة هو إحدى الوسائل لحل مشكلة تزايد السكان، ولكنه ليس هو الوسيلة الوحيدة، فهناك وسائل أخرى كثيرة من أهمها أداء كل فرد من أفراد الأمة لواجبه قبل مطالبته لحقوقه، وحرص هذا الفرد على أن يكون لبنة نافعة فى بناء كيان مجتمعه.

وفى ختام هذا الفصل قدم فضيلة الإمام الأكبر طائفة من الفتاوى الشرعية الرسمية التى صدرت عن دار الإفتاء فى موضوع تنظيم النسل يعود بعضها إلى أكثر من خمسة وستين عاما حتى وقتنا الحاضر أجاب فيها السادة المفتون وكبار العلماء بما يفيد أن تنظيم الأسرة لا يتعارض إطلاقا مع الدين ومع الاعتقاد بأن الله تعالى هو الرازق لمخلوقاته، وإننا مع هذا الاعتقاد مطلوب منا أن نسعى لطلب الرزق من وجوهه المشروعة حتى نقدم لمن هم أمانة فى أعناقنا ما يغنيهم ويسترهم، ويكفل لهم حياة كريمة.

المشكلة السكانية ومصلحة المجتمع

أما الفصل الثانى من هذا الكتاب فهو لمعالى الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ـ وجاء هذا الفصل تحت عنوان «المشكلة السكانية ومصلحة المجتمع فى التصور الإسلامى»، وقد صدر هذا الفصل بثلاثة أحاديث صحيحة من أحاديث المصطفى ﷺ أولها: قوله ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»**، وثانيها قوله ﷺ:

«إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» وثالثها قوله ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصتها، قالوا: أمن قلة نحن حينئذ؟ قال: لا فأنتم حينئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل».**

وقد أوضح الأستاذ الدكتور زقزوق أن المشكلة السكانية اليوم أصبحت من أخطر القضايا المعقدة التى تواجه مصر؛ لأن الانفلات السكانى الراهن يبدد ويبتلع كل جهود التنمية من ناحية، ويعوق تقدم البلاد من ناحية أخرى، ومن ثم يجب أن تتضافر كل الجهود وتتعاون كل الأجهزة المختصة فى الدولة للحد من هذه الزيادة الرهيبة فى أعداد السكان حتى نضمن لبلادنا مستقبلا ينعم فيه المواطنون بالتقدم والازدهار.

د. محمود حمدى زقزوق:
المصلحة العامة للمجتمع تتفق تماما مع مقررات الدين

ونظرا لأن الدين له عمق عميق فى النفوس، ويؤثر على توجهات المواطنين وسلوكياتهم، فإن من الضرورى توضيح رأى الإسلام فى حل هذه المشكلة وبخاصة أن هناك تفسيرات خاطئة ومفاهيم مغلوطة تشيع بين المواطنين.

حفظ النسل فى الشريعة الإسلامية:

تحت هذا العنوان يؤكد د. زقزوق أن الإسلام حريص أشد الحرص على سلامة المجتمع وقوة أفراده لينهض كل فرد بمسئوليته الملقاة على عاتقه من أجل النهوض بالحياة والأحياء، فحفظ النسل أحد المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية من أجل المحافظة على النوع الإنسانى بصفة عامة والأسرة بوصفها الخلية الأولى فى تكوين مجتمع إنسانى سليم بصفة خاصة.

وهذا لا يعنى أن الدعوة إلى تنظيم النسل والحد من تكاثره كحل للمشكلة السكانية لا تعد تحديا سافرا لمقاصد الشريعة أو خروجا عليها، كما أنها لا تتعارض هذه الدعوة مع الحديث الشريف القائل: **«تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة»**، والذى ينفى هذا التعارض أن الكثرة التى يتحدث عنها الحديث لا يمكن أن تكون مجرد الكثرة العددية غير الفاعلة التى أطلق عليها الرسول ﷺ: غثاء السيل فى حديثه المعروف: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم..»** فهذه الكثرة لا أثر لها ولا تأثير؛ لأنها كثرة ضعيفة.

فالفئة القليلة عددا، القوية إيمانا واستعدادا هى الأفضل مصداقا لقوله تعالى: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾** البقرة: آية ٢٤٩.

فالمسلمون حينما أعجبتهم كثرتهم يوم حنين دارت عليهم الدائرة، يقول تعالى: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾** التوبة: آية ٢٥.

فالمباهاة التى تحدث عنها الحديث لا تعنى مجرد كثرة عددية، لأن المباهاة لا تكون بغثاء السيل ولكن بالقوة النوعية الفاعلة.

فالمسلمون اليوم يمثلون أكثر من خمس سكان العالم، ولكن الآخرين الأقل عددا يتحكمون فى مصائرهم، فهل يعقل أن يباهى الرسول ﷺ بهذه الكثرة العددية الضعيفة التى تنبأ بها ستكون كغثاء السيل؟!!

تنظيم النسل فى الإسلام:

وتحت هذا العنوان يوضح معالى الأستاذ الدكتور زقزوق أن الإسلام يرفض رفضا قاطعا تحديد النسل الذى يعنى إرغام كل أسرة على ألا يزيد الإنجاب فيها عن طفل واحد كما تفعل بعض الدول، كما يرفض التعقيم بهدف منع الإنجاب مطلقا، لأن الإسلام بوصفه دين الوسطية والاعتدال يجيز تنظيم النسل، وذلك بتباعد فترات الحمل حتى يأخذ كل طفل حقه

من الرضاعة الطبيعية والرعاية الأسرية، مصداقا لقوله تعالى: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾** فالتباعد بين الحملين يتطلب استخدام الوسائل المتاحة لمنع الحمل تنظيما للنسل وحرصا على مصحلة الأسرة، وقد كان العزل معروفا على عهد رسول الله ﷺ وكان هو الوسيلة المتاحة فى ذلك الزمان، أما الآن وقد تقدم العلم وقدم للإنسان وسائل وأساليب أخرى عديدة ومأمونة فإنه يمكن اللجوء إليها لتنظيم الأسرة وذلك لأن الانفلات السكانى الذى تشهده مصر فى ظل هذه الظروف التى تمر بها البلاد يضر بمصلحة مصر وأمنها أبلغ الضرر؛ لأن موارد البلاد لن تستطيع مستقبلا فى ظل هذا المعدل أن تواجه متطلبات هذه الزيادة الرهيبة.

توجيهات نبوية:

وتحت هذا العنوان يؤكد الأستاذ الدكتور زقزوق على ضرورة تحكيم العقل فى هذه القضية الحياتية؛ لأن فى أحاديث الرسول ﷺ ما يرشدنا ويلفت أنظارنا إلى ذلك منها الحديث الشريف: **«فرقوا بينهم فى المضاجع»**، فكيف يتأتى ذلك فى منزل صغير (غرفة أو اثنين؟!!) فالإسلام يسعى لتحقيق السعادة للإنسان فى دنياه وأخراه، لذا فإن المصلحة العامة للمجتمع تتفق تماما مع مقررات الدين والمأثور عن علمائنا الثقات فى هذا الصدد قولهم «حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله».

أما الفصل الثالث من هذا الكتاب فهو لفضيلة الشيخ عبدالعزيز عيسى - وزير شئون الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية - وجاء هذا الفصل تحت عنوان «الإسلام وتنظيم الأسرة»، تحدث فيه مؤلفه عن الزواج وحكمة مشروعيته ومقاصده الشرعية مبينا المراد بتنظيم الأسرة، وأنه يجب أن يكون هذا التنظيم صادرا عن تراض بين الزوجين وتشاور بينهما على حسب ظروفهما.

كما تحدث فضيلته عن نوعية النسل الذى تهدف إليه الشريعة الإسلامية حيث يحرص الإسلام على أن يكون شبابه الذى هو قوام مجتمعه وأمل قادته ورجال مستقبله قويا مهذبا تهذيبا يعينه على الفضيلة ويصرفه عن عوامل السوء ووساوس الشيطان، ثم عرض فضيلته لبعض الأحكام الشرعية التى تؤيد جواز تنظيم النسل من خلال عرضه لأقوال الفقهاء فى هذه القضية.

● أما الفصل الرابع فقد أعدته الإدارة العامة لبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف وقد حرص هذا الفصل على مناقشة بعض النقاط ذات الصلة بموضوع تنظيم الأسرة منها أن حب الأولاد طبيعة فى الإنسان وأن التضخم السكانى له آثاره التى باتت تشكل مشكلة شغلت أذهان المفكرين من أجل دراسة هذه القضية وإبراز ما فيها من مخاطر، ثم قدم هذا الفصل رأى الدين فى هذه القضية من خلال آراء الأئمة والفقهاء فى قضية تنظيم النسل مستعرضا رأى الإمام الغزالى والإمام أبى حنيفة والإمام القرطبى والكاسانى، ثم طرح بعض التساؤلات حول موضوع تنظيم الأسرة والإجابة عنها بشواهد من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء.

● أما الفصل الخامس فقد أعده فضيلة الشيخ محمد زيدان وفضيلة الشيخ سالم عبدالجليل وهو بعنوان «تنظيم الأسرة فى الإسلام» وتحدث هذا الفصل عن حتمية التنظيم وصور تنظيم الأسرة ما بين المباح منها وما يقره الشرع وبين المخالف للشرع كالتحديد وقطع النسل كليا وكذلك الضرورات التى تدعو إلى تنظيم النسل ومنها: صحة الرضيع وصحة الأم ووقاية المولود من الأمراض، ومن أجل الرعاية والقدرة على التربية والقيام بشأن الذرية على الوجه المطلوب شرعا، ولم يفت مؤلفا هذا الفصل إلى التنبيه إلى أمر مهم ألا وهو أن منع الحمل خوفا من الفقر أو خوفا من أن يكون المولود أنثى هو أمر نهى عنه الله عز وجل وهو من الأعراف الجاهلية الفاسدة التى ينبغى للمسلم أن يراجع نفسه ويصحح إيمانه، ثم تعرض هذا الفصل لوسائل تنظيم الأسرة وتنوعها والحكم الشرعى لهذه الوسائل، وكذا الحكم الشرعى للإجهاض وآراء الفقهاء فيه.

ختاما: يجب أن يكون لدى المواطنين اقتناع حقيقى بأن تنظيم الأسرة من مصلحتهم كأفراد ومن مصلحة المجتمع بصفة عامة، وأن يفكر كل مسلم فى أمر تنظيم أسرته والانتفاع بإرشادات الشريعة فى هذا الشأن حتى لا يسهم فى إضافة تزيد فى متاعب مجتمعه، بل يقدر مصلحة نفسه وأسرته ووطنه بأن ينظر فى تنظيم أسرته على أساس يحقق له السعادة والرخاء والإسهام فى رفاهية المجتمع.

فى إطار منظومة القيم الإسلامية

المؤتمر التحضيرى للجنة الإسلامية للمرأة والطفل

متابعة/ مصطفى إبراهيم خيان

تقف أمتنا الإسلامية اليوم على أعتاب مرحلة خطيرة من التطورات والتحولات العنيفة التى تضرب عالم اليوم فى غير رحمة ولا هوادة.

وفى الأفق القريب يعلو صوت نذير من التيارات الوافدة الكاسحة بما تحمله من منظومة فكرية هدامة وطوفان جارف من التغريب يتسلل فى غفلة منا ليضرب منظومتنا القيمية ويستلب هويتنا الثقافية وبات الأمر يستوجب تجميع قوانا وتحريك طاقاتنا وشحذ هممنا وإيقاظ الوعى فينا لنستعيد قيمنا الأصيلة النابعة من ثوابتنا ومناهج ديننا الحنيف.

وفى هذا الإطار تسعى اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل جاهدة كى تتصدى لكل الصور والمحاولات والممارسات الشاذة والغريبة التى تهدف إلى تغيير الشكل الاجتماعى للأسرة وتفتيت كيانها وهدم بنائها من خلال دعم الأفكار الهدامة التى تتعلق بإزالة كل فارق بين الذكر والأنثى بما يعرف بمساواة النوع وهو مالا يتفق مع الفطرة ويخالف كل الشرائع والعقائد الدينية، وفى هذا الصدد عقدت اللجنة مؤتمرها التحضيرى لتنسيق مشاركة ائتلاف المنظمات الإسلامية فى اجتماع لجنة مركز المرأة فى الأمم المتحدة ليكون بمثابة صوت مساند لجهود الأمة الإسلامية فى التصدى لتيارات التغريب..

إذابة القيم

فى الكلمة التى ألقاها المشير عبدالرحمن سوار الذهب - نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة - حذر من حالة التراخى التى أصابت عالمنا الإسلامى فى التصدى لمحاولات إذابة القيم وهدم الثوابت التى نتمسك بها، مشيرا إلى ضرورة الإتفاق حول القضايا العامة فى المجتمعات الإسلامية مع نبذ حالات الخلاف وتنحيتها جانبا كى تتوحد جهودنا للتصدى لمحاولات التغريب.

د. على جمعة:

مفاهيم مساواة «الجندر» دعوة مخالفة للفطرة يؤدى إلى اختلال غير مسبوق فى الأمن الاجتماعى

وقال إن هناك العديد من المخططات المريبة التى تصنعها منظمات دولية وتسعى لإيجاد تربة خصبة لها على أرضنا.

ومما يؤسف له أن كثيرا من المثقفين والمسئولين لدينا ليست لديهم رؤية واضحة أو معلومات مستفيضة حول هذه القضايا خاصة فيما يتعلق بالنظام الأسرى الذى يسعى البعض إلى تغييره بما لا يتفق مع قيمنا وثوابتنا الدينية ولو أدرك هؤلاء حجم الخطر لما ترددوا لحظة فى التصدى له بكل الأساليب والوسائل التى تحول دون استشرائه وشيوعه فى مجتمعنا الإسلامى.

ثوابت الدين والعقيدة :

ودعا الدكتور كامل الشريف - الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة - إلى ضرورة تجميع جهود

...طرح رؤية إسلامية لوثيقة الأمم المتحدة

الجمعيات الإسلامية المختلفة لتنصهر فى بوتقة واحدة ويصبح لها منهج واحد، ولتنطلق من منطلق واحد يقوم على أساس من ثوابت الدين والعقيدة وتضع فى حسبانها صالح الأمة ومصلحة أبنائها لتكون فوق كل اعتبار. وقال إن المجلس قد وجه الدعوة للتصدى للخطط المعادية التى تكسر العظام وتحطم القيم.

تيارات التغريب

وأكد الشريف على أن هذه المرحلة الدقيقة التى تمر بها أمتنا الإسلامية وما يحاك لها من أجل زحزحتها عن الثوابت الدينية والقيمية يجب أن نحتاط لها بكل ما أوتينا من إمكانات مادية ومعنوية لمواجهة تيار التغريب الجارف.

وقال إن على المسلم أن يكون له دور فاعل وصوت عال ليكون عنصرا فاعلا فى صياغة القوانين التى تمس قيمه وثوابته وليس مجرد مشاهد لما يدور على الساحة الدولية من محاولات لتمرير قوانين تضر بالمسلمين.

وحذر من خطورة ما يحاك للمنظمات الإسلامية من محاولات خبيثة لتغيير صفة الإسلامية عنها مقترحا خطة طويلة الأمد تسير المنظمات الإسلامية على هداها، وناشد المجتمعات الإسلامية أن تقدم يد العون لهذه المنظمات حتى تستطيع أن تؤدى دورها المنوط بها فى مواجهة منظمات دولية تملك إمكانات مادية ومعنوية غير محدودة.

المشير عبدالرحمن سوار الذهب:

الاتفاق حول القضايا العامة للأمة ضرورة مُلحة للتصدى لمحاولات إذابة القيم وهدم الثوابت

وثائق مرفوضة

وأشارت المهندسة كاميليا حلمى - رئيسة اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل - إلى حجم الضغوط الخطيرة التى تمارسها بعض المنظمات والجمعيات على هيئة الأمم المتحدة لحملها على تمرير قرارات وإشهار وثائق من شأنها الإخلال بالنظام الأسرى وإباحة ممارسات شاذة تتنافى وتعاليم الأديان السماوية والقيم الإنسانية وتتعارض مع الفطرة السليمة التى خلق الله عليها الإنسان.

وكشفت المهندسة كاميليا عن الدور الذى تلعبه لجنة المرأة التابعة للأمم المتحدة وعن مسئوليتها فى تبنى الوثائق الصادرة عن مؤتمرات المرأة العالمية بما فيها الوثائق التى تتعارض مع شريعتنا الإسلامية ومع الشرائع الدينية الأخرى، ومنها وثيقة بكين التى تدعو إلى الاعتراف بالشذوذ من خلال استبدال مصطلح الجنس Sex بالنوع Gender والمطالبة بما يعرف بمساواة النوع Gender Equlity والتى تطالب بالمساواة بين كل الأنواع الأسوياء والشواذ - فى نفس الحقوق الاجتماعية والمدنية والقانونية -

والمطالبة بالحريات الجنسية للمراهقين والبالغين، وإباحة الإجهاض، وتعليم الجنس للأطفال من خلال وسائل الإعلام والتعليم، وغيرها من المطالب الشاذة التى لا تحترم الدين أو الأسرة أو القيم الأخلاقية.

عمل غير مدفوع الأجر

وقالت رئيسة اللجنة الإسلامية أن لجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة ستعقد خلال مارس الحالى اجتماعها الثامن والأربعين والذى يتضمن محورين:

الأول: إشراك الرجال والصبية فى تفعيل مساواة النوع Gender Equlity وأكد التقرير على ضرورة إلغاء أى خصوصية فى طبيعة العمل لكل من الرجل والمرأة بحيث لا تصبح هناك أعمال خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء، وعلى سبيل المثال ألا تقتصر أعمال التعدين أو المهام الخطرة على الرجال فقط دون النساء، بل يجب دفع النساء للمشاركة دون أى قيود، واعتبر التقرير أن مشاركة المرأة بشئون المنزل نوع من أنواع التهميش لها بدعوى أنه عمل غير مدفوع الأجر.

بل إن التقرير قد طالب بإلغاء أى فوارق بين الرجال والنساء حتى فوارق الثياب وطريقة الحديث والمعاملة، معتبرا أن من الظلم اعتبار أن تربية الأبناء ورعايتهم مهمة المرأة الرئيسية، مطالبا بضرورة بناء المفاهيم الجندرية (مساواة النوع) فلا يتفتح إدراكه ليجد أمه هى التى ترعاه.

كما تبنى التقرير بوضوح مبادئ الجندر التى تدعو إلى الاعتراف وإعطاء الحقوق لممارسة الشذوذ بكافة أشكاله. مع إقرار حق الشخص فى تغيير هويته الجندرية أى حقه فى تغيير جنسه.

د. كامل الشريف:

نمر بمرحلة دقيقة تتطلب توحيد الجهود لصياغة قوانين تنطلق من ثوابتنا الدينية

الرؤية الإسلامية

وعن الدور الذى تقوم به اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل فى الارتقاء بأحوال المرأة والأسرة مع الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية لشعوبنا العربية الإسلامية قالت إن اللجنة قامت بتشكيل ائتلاف المنظمات الإسلامية لتقديم الرؤية الإسلامية لوثيقة الأمم المتحدة والتى منها:

- اعتبار المرأة كاملة الأهلية كالرجال.
- مشاركة المرأة للرجل فى جميع ميادين الحياة التى يأمرها الشرع بذلك.
- فرض الإسلام التعليم على المرأة والرجل.
- قيام الأسرة فى الإسلام على ارتباط شرعى بين الرجل والمرأة للمحافظة على الجنس البشرى.
- يهتم الإسلام بسلامة نسب الأطفال وعدم جمع المرأة بين زوجين وتحريم الزنا للرجال والنساء على السواء.
- يرفض الإسلام أن يكون التنافس والتصارع بين الزوجين هو أساس العلاقة الزوجية أو إعلان تفوق طرف على الآخر.
- التسليم بأن الله عز وجل ميز كل طرف بخصائص تختلف عن خصائص الطرف الآخر ليس تمييزا بينهما ولكن من أجل تحقيق التوافق والتكامل بينهما.

كذلك يرفض ائتلاف المنظمات الإسلامية سعى كثير من صناع القرار فى الأمم المتحدة إلى استغلال المؤسسة الدولية كوسيلة قانونية فى

الضغط على شعوب العالم لفرض المشروع المراد تنميط العالم على صورته.

وأضافت المهندسة كاميليا حلمى إلى أن اللجنة ترفض فرض نمط الحياة الغربية على واقعنا الإسلامى لما فيه من خطورة داهمة على الأسرة يؤدى إلى تفكيك نمط الحياة الأسرية.

أمة شاهدة على الناس

وقد تقدمت اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بطلب إلى دار الإفتاء المصرية للوقوف على رأى الشرع فى مساواة الجندر (مساواة النوع)، وقد جاء فى رد فضيلة المفتى الدكتور على جمعة: إن عقيدة المسلمين وشريعتهم التى اتفق عليها كافتهم أنهم يعبدون ربا واحدا وأنه سبحانه قد أرسل لكل قوم رسولهم وأنزل عليه الوحى وجعل لكل قوم شرعة ومنهاجا، ثم ختمهم بخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ الذى أنزل معه القرآن فكان هو العهد الأخير بين الله وبين البشر وألزم المسلمين بتشريع واضح وجعلهم أمة واحدة وجعلهم أمة وسطا للشهادة على الناس وجعلهم أمة خيرية، وتقرر فى شرعهم أن الزنا حرام، وأن اللواط والشذوذ حرام وأن الزواج بين الرجل والمرأة يكوّن الأسرة مراعاة لحقوق الأطفال، وأمر بكل شىء يوصل إلى هذه الحماية. كما نهى عن كل شىء حرام ليوفر هذه الحماية، فأمر بالعفاف والبعد عن الفاحشة وبمكارم الأخلاق، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، وربط هذا كله بالحساب فى يوم القيامة وبعمارة الأرض وبتزكية النفس، فاعتقد المسلمون اعتقادا جازما أن مخالفة هذه الأوامر والوقوع فى هذه المناهى يدمر الاجتماع البشرى ويؤذن بسوء العاقبة فى الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾.

وقال تعالى: ﴿**قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق**﴾ الأعراف: آية ٣٣.

م.كاميليا حلمى:

نرفض كل محاولة لاستغلال المنظمة الدولية كوسيلة قانونية للضغط على الشعوب

مساواة الجندر

وقال فضيلة المفتى: إن الدعوة إلى ما يطلق عليه «مفاهيم مساواة الجندر» تدعو البشرية إلى تجربة تخالف الفطرة وتخالف الموروث الحضارى للبشرية بأسرها وتخالف ما أجمعت عليه الأديان من قيم ومبادئ، وكل ذلك محض خيالات وتوقعات موهومة فى أذهان أولئك الداعين لم يرق إلى مستوى الخيال المبدع، لأنهم لم يذكروا مضاره وتداعياته التى تؤدى إلى قتل الإنسان أمام نفسه بعد أن قتلوه أمام ربه، وتؤدى إلى اختلال غير مسبوق فى الأمن الاجتماعى والسلام العالمى وتعود على حقوق الإنسان الأساسية بالبطلان على عكس ما أرادوه من أنها تحقق بعض هذه الحقوق وتؤدى عاجلا وآجلا إلى خلل الاجتماع البشرى بصورة يأباها العقلاء جميعا سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين.

وأهاب فضيلة المفتى بكل محبى الخير والسلام إلى الوقوف ضد هذا التيار المدمر.

عثمان بن مظعون (ت ٢هـ)

أ.د: محمد إبراهيم الجيوشى

أحد السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان إسلامه بعد ثلاثة عشر رجلا أسلموا قبله.

اسمه عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب قرشى يرتفع نسبه إلى لؤى بن غالب، وكنيته أبو السائب.

كان فيمن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ومعه ابنه السائب لأنه تعرض للأذى والاضطهاد من ابن عمه أمية بن خلف فى محاولة منه أن يصرفه عن دينه، وقال فى ذلك أبياتا تفيض بالأسى والحزن من موقف أمية، ويبين له فيها سوء العاقبة مما أقدم عليه من إيذاء من يجب عليه أن يحسن معاملتهم والانتصار بهم وكان فيما قاله فى هذا الصدد:

أألخرجتنى من بطن مكة آثما
وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها
وترى نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة
وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوما ملمّة
وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع(١)

لا أشرب شرابا يُذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على ارتكاب الفاحشة

«عثمان بن مظعون»

وخلال إقامته فى الحبشة مع من هاجر من المسلمين إليها بعد أن أشار عليهم النبى بالهجرة إليها تجنبا لأذى قريش وبحثا عن مكان آمن يعبدون الله فيه بمنجاة من اضطهاد قريش وعدوانها وذلك فى قوله ﷺ: «**إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد**» قد جاءتهم أنباء تقول بأن قريشا قد تابعوا رسول الله ﷺ فشدوا الرحال عائدين إلى مكة، لكنهم لم يلبثوا أن أدركوا أن هذه الأخبار لا نصيب لها من الصحة وكان من العسير عليهم أن يعودوا ثانية إلى الحبشة، ولم يمكن لهم الدخول إلى مكة إلا فى جوار رجل من أهلها، ودخل عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة، وكانت العادة المتبعة إذا أجار واحد من أهل مكة شخصا أن يعلن ذلك على الملأ فى المسجد، حتى يكون معروفا للدانى والقاصى أمر هذا الجوار، وبعد فترة قصيرة قضاها عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة ، وقد رأى ما يتعرض له أصحابه من الأذى

والاضطهاد والعذاب حتى أخذ يفكر فى الأمر، وكيف له أن ينعم بالأمن فى جوار رجل مشرك وإخوانه يلاقون من العنت والاضطهاد ما يلاقون، وظن أن ذلك قد يكون نقصا فى إيمانه، ويروى ابن هشام على لسان عثمان قوله: «والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى». وعقد العزم على أن يرد للوليد جواره ويعيش فى مكة يتعرض للإيذاء والاضطهاد كما يتعرض إخوانه المؤمنون وذهب إلى الوليد بن المغيرة فقال: ياأبا عبد شمس، وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك.

رفض عثمان أن ينعم بحماية الوليد بن المغيرة وفضل أن يواجه أذى المشركين مع إخوانه محتسبا أجره عند الله

سأله الوليد: لم ياابن أخى لعله آذاك أحد من قومى قال: لا، ولكنى أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال الوليد: فانطلق إلى المسجد فاردد علىّ جوارى علانية فانطلقا. فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: يا معشر قريش. هذاعثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى.

قال عثمان: صدق، وقد وجدته وفيا كريم الجوار، ولكنى قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره(٢)، وقد جاءت هذه الحادثة تختلف صيغتها من كتاب لآخر، ففى أسد الغابة يقول: «ياأبا عبد شمس، وفت ذمتك، فقد كنت فى جوارك، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ فلى به وأصحابه أسوة.

قال الوليد: فلعلك ياابن أخى أوذيت أو انتهكت؟

قال: لا، ولكن أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره(٣).

يرد على لبيد

وصادف أن كان هناك مجلس لبعض رجال قريش حول الكعبة، وكانوا يستمعون إلى لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور ينشدهم بعضا من شعره، فجلس إليهم عثمان بن مظعون يستمع إلى ما يقول فأنشد لبيد:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

فعقب عثمان قائلا صدقت.

فلما أنشد الشطر الثانى من البيت وهو قوله:

وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان: كذبت. نعيم الجنة لا يزول.

فاستاء لبيد، وقال مستنكرا: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال أحد الحضور: إنه سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن فى نفسك من قوله فرد عليه عثمان: وارتفعت الأصوات حتى تفاقم الأمر بينهما، وأقدم الرجل على لطم عثمان على عينه، حتى تأثرت عينه من تلك اللطمة.

وكان الوليد لايزال قريبا يرى ويسمع ما دار من جدال وما أعقبه من عدوان على عثمان حتى أصيبت عينه.

فقال موجها حديثه إلى عثمان أما والله ياابن أخى كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت فى

ذمة منيعة فأجاب عثمان: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله، وإنى والله لفى جوار من هو أعز منك، وأقدر ياأبا عبد شمس، وعرض عليه أن يعيد جواره، ولكنه أبى، وفضل أن يواجه أذى المشركين مع إخوان له محتسبا أجره عند الله، الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا(٣).

وعلق عثمان على هذا الحادث شعرا معبرا عن أمله فى أن ينال رضى الله وثوابه، ولا يبالى بعدوان المعتدين وتطاولهم، وحسبه أن يكون على دين محمد ﷺ يقول عثمان معبرا عن أحاسيسه ومشاعره وأمله فى رضى الله:

فإن تك عينى قد رحى الحرب نالها
يدا ملحد فى الدين ليس بمهتدى
فقد عوض الرحمن منها ثوابه
ومن يرضه الرحمن - ياقوم - يسعد
فإنى وإن قلتم غوى فمضلل
سفيه - على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله، والحق ديننا
على رغم من يبغى علينا ويعتدى(٤)

وقد كان لما أصاب عين عثمان من أذى رد فعل غاضب لدى المسلمين، الذين كانوا قلة مستضعفة، ولم يكن لهم من القوة آنذاك ما يمكنهم من الانتصاف لأخيهم ممن اعتدى عليه، وقد عبر عن هذا الإحساس الغاضب على بن أبى طالب رضي الله عنه فى أبيات يقول فيها:

أمن تذكر دهر غير مأمون
أصبحت مكتئبا تبكى كمحزون؟
أمن تذكر أقوام ذوى سفه
يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا
والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون - أقل الله خيرهم -
أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ولا يخشون - مقلته
طعنا دراكا وضربا غير مأمون
فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلا
كيلا بكيل جزاء غير مغبون(٥)

تحريمه للخمر

كان عثمان حريصا على ألا يؤخذ عليه شىء ينال من وقاره أو يحط من مكانته، ولأجل ذلك لما رأى ما تفعل الخمر بشاربها من فقدان للوعى، وتغييب للعقل، وقد يؤدى الأمر إلى أن يظهر أمام الآخرين بمظهر يخدش كرامته أو ينال من مكانته فقد حرمها على نفسه - وكان ذلك قبل الإسلام صيانة لنفسه، وحفاظا عليها، ومما يؤثر عنه فى ذلك قوله: لا أشرب شرابا يذهب عقلى، ويضحك بى من هو أدنى(٦) منى، ويحملنى على أن أنكح كريمتى.

ميله إلى التبتل

كان عثمان تغلب عليه نزعة التبتل والنسك وحدث أن جلس رسول الله ﷺ يوما مجلسا يذكر فيه أصحابه ويحذرهم ولم يزد على ذلك، وكان فى مجلسه جماعة حرموا على أنفسهم ما أحل الله خشية أن يكونوا قد تخطوا ما يريد الله ورسوله، فحرم بعضهم اللحم، وحرم آخر النوم، وحرم بعض الأكل فى النهار، وكان من بينهم عثمان بن مظعون الذى حرم على نفسه النساء وتفرغ للعبادة فكان لا يقرب أهله، وحدث أن ذهبت زوجته إلى زيارة عائشة - رضى الله عنها - وكان عندها بعض زوجات النبى ﷺ فلمحت السيدة عائشة أن زوجة عثمان فى هيئة غير منسقة، لا تهتم بملابسها، ولا بشعرها، ولا بمظهرها العام، وكانت تسمى الحولاء، فسألتها السيدة عائشة: ما بالك يا حولاء متغيرة اللون، لا تمتشطين ولا تتطيبين؟

فقالت: وكيف أمتشط وزوجى يصوم النهار ولا ينام الليل، وفى رواية ابن سعد تقول: مالك؟ فما فى قريش أغنى من بعلك؟

قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم(٧).

وفى رواية للطبرى: وكيف أتطيب وأمتشط، وما وقع علىّ زوجى ولا رفع عنى ثوبا منذ كذا وكذا، فأثار ذلك ضحكهن لما سمعن كلامها، ودخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن فسألهن عن سبب ضحكهن، فقالت السيدة عائشة: يارسول الله، سألت الحولاء عن أمرها، فقالت: ما رفع عنى زوجى ثوبا منذ كذا وكذا.

وكان ذلك تشددا لا يرضاه الإسلام ولا يقره، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ فى مواقف عدة كلما رأى نزعة من نزعات أصحابه فيها تضييق وتشدد، ذلك لأن الإسلام دين الحياة، وليس دين انعزال وترك للحياة، ولذلك ورد عنه ما يحذر من هذه الاتجاهات التى تعتزل الحياة كما فعل مع الثلاثة الذين سألوا زوجاته - صلوات الله عليه - عن عمله، فكأنهم استقلوها، وقال أحدهم أما أنا فأصوم ولا أفطر وقال الثانى: وأما أنا فأصلى ولا أرقد، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، فلما بلغت مقولتهم النبى ﷺ قال: **ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى.**

وكذلك ورد عنه ما يحذر من الانقطاع للعبادة وترك الدنيا أو الانغماس فى الدنيا وترك أمور الآخرة فى قوله - صلوات الله عليه - «**ليس خيركم من ترك دنياه لدينه، ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن خيركم من أخذ من هذه وتلك**»، وهذا هو المنهج الوسط الذى جاء به الإسلام لتعمر الدنيا وتمضى الحياة بأصحابها سهلة رخية رضية تنمو وتحقق الرخاء لأصحابها والاستقامة لسلوكهم ومنهجهم، وذلك كله مأخوذ من توجيه القرآن الكريم فى قوله سبحانه: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** القصص: آية ٧٧، وهذا الميزان ينطبق عليه القول المأثور: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»، ومن أجل أن يرسى رسول الله ﷺ هذا المنهج، ويواجه نزعات التشدد والتضييق منذ البداية لم يكد يسمع ما قالته زوجة عثمان بن مظعون حتى أرسل إليه فدعاه وقال له: ما بالك يا عثمان؟

قال: إنى تركته لله لكى أتخلى للعبادة، وقص عليه أمره، فأمره رسول الله ﷺ أن يترك هذا التشدد، وقال: أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك، فقال: يارسول الله إنى صائم.

فقال: أفطر فأفطر، واستأنف حياته مع زوجه وحدث أن ذهبت زوجة عثمان بعد ذلك لزيارة السيدة عائشة - رضى الله عنها - فإذا بها فى هيئة أخرى، قد امتشطت واكتحلت وتطيبت، فضحكت السيدة عائشة وسألتها: ما بالك ياحولاء، فأخبرتها بما كان من تغيير فى علاقة زوجها بها.

وتقول رواية الطبقات حول لقاء رسول الله ﷺ بعثمان أنه قال له: أما لك بى أسوة؟

فقال: بأبى وأمى، وما ذاك؟

قال: تصوم النهار، وتقوم الليل.

قال: إنى لأفعل.

قال: لا تفعل، إن لعينيك عليك حقا، وإن لجسدك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فصل ونم، وصم وافطر(٨).

وأما الطبرى فجاء فى هذا الأمر بتفصيلات أخرى نزل على إثرها قول الله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** المائدة: آية ٧٨.

ويتابع الطبرى قائلا: إن رسول الله ﷺ بعث إليهم، وقال: إن لأنفسكم حقا، وإن لأعينكم حقا، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من

ترك سنتنا، فقالوا: اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلت(٩).

فى المدينة: كان عثمان بن مظعون ممن هاجر إلى المدينة هو وأهله جميعا وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى الهيثم بن التيهان، وكان ممن شهد بدرا، ومات فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة، وكان أول المهاجرين وفاة بالمدينة وأول من دفن بالبقيع.

وكان زاهدا فى الدنيا، فقد دخل المسجد يوما، وعليه نمرة قد تخللت (تقطعت) فرقعها بقطعة من فروة، فرق له رسول الله ﷺ، ورق أصحابه لرقته، فقال: كيف أنتم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أخرى، وتوضع بين يديه قصعة وترفع أخرى، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة.

قالوا: وددنا أن ذلك قد كان يارسول الله، فأصبنا الرخاء والعيش، قال: فإن ذلك لكائن، وأنتم اليوم خير من أولئك(١٠).

وكان لموت ابن مظعون وقع مؤثر على رسول الله ﷺ فقد دخل عليه حين مات، فانكب عليه فرفع رأسه، ثم حنى الثانية فرفع رأسه ثم حنى الثالثة فرفع رأسه وله شهيق، فعرفوا أنه يبكى، فبكى القوم، فقال النبى ﷺ: مه، إنما هذا من الشيطان، ثم قال: استغفروا الله، اذهب أبا السائب، فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشىء(١١) وفى رواية أسد الغابة: رحمك الله يابن مظعون ما أصبت منها وما أصابت منك.

ولما مات عثمان رضي الله عنه قالت امرأته، وأخرى: هنيئا لك الجنة عثمان بن مظعون، فنظر إليها رسول الله نظر المغضب وقال ما يدريك فقالت يارسول الله حارسك وصاحبك، فقال رسول الله ﷺ: إنى رسول الله وما أدرى ما يفعل بى، فأشفق الناس على عثمان(١٢) فلما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال: الحقى بسلفنا الخير عثمان ابن مظعون، فبكى النساء، فأخذ عمر رضي الله عنه يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «مهلا يا عمر، ثم قال: إياكن ونعيق الشيطان، فما كان من العين(١٣) فمن الله تعالى ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان . وقالت أم العلاء لما مات عثمان رأيت له عينا تجرى، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ذاك عمله.

وقالت امرأته أم السائب ترثيه:

ياعين جودى بدمع غير ممنون

على رزيّة عثمان بن مظعون

على امرئ كان فى رضوان خالقه

طوبى له من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى وغرقده

وأشرقت أرضه من بعد تفتين

وأورث القلب حزنا لا انقطاع له

حتى الممات. وما ترقى له شونى(١٤)

رحم الله ابن مظعون وأحسن مثواه.

الهوامش:

١ ـ تاريخ الإسلام جـ٢ ص١١٢ تحقيق حسام القدسى.
٢ ـ راجع سيرة النبى لابن هشام جـ١ ص٣٩٢.
٣ ـ أسد الغابة جـ٣ ص٥٩٨.
٤ ـ سيرة النبى ﷺ لابن هشام جـ١ ص٣٩٢، ٣٩٣.
٥ ـ راجع حلية الأولياء جـ١ ص١٠٤.
٦ ـ نفس المرجع.
٧ ـ سير أعلام النبلاء جـ١ ص١٥٥.
٨ ـ الطبقات الكبرى جـ٢ ص٣٩٥.
٩ ـ تفسير الطبرى جـ١٠ ص٥١٩ تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر.
١٠ ـ حلية الأولياء جـ١ ص١٠٥.
١١ ـ أسد الغابة جـ٣ ص٦٠٠.
١٢ ـ الاستيعاب جـ٨ ص٦٦، وأسد الغابة جـ٣ ص٦٠٠.
١٣ ـ المصدر السابق.
١٤ ـ أسد الغابة جـ٣ ص٦٠٠، والاستيعاب جـ٨ ص٦٧، ٦٨.

الدكتور محمود عبده سلام

رائد صناعة الدواء فى مصر

أ.د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة

ولد فى الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩١٦م بالمنصورة وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة القاهرة عام ١٩٣٩م، وعمل طبيب امتياز ثم نائب الهلال الأحمر حتى عام ١٩٤١م، فمديرا لمستعمرة الناقهين بالمرج حتى عام ١٩٤٤م فمديرا للمصح البحرى للعظام بسان استفانو بالإسكندرية من ٤٥ ـ ١٩٥٤م وخلال هذه الفترة حصل على ماجستير جراحة العظام من جامعة ليفربول عام ١٩٥٠م.

ولم يكن يسترعى عبده سلام خلال مراحل دراسته الطبية سوى تكوين العظام الآدمية وكانت أكبر الدوافع لكى يظل على حاله من ذكر الله.. إيمانا بهذا التركيب الفريد فى خلق الإنسان.. وكيف أن العظم هو النسيج الصلب الذى يكون الجزء الأكبر من الهيكل البشرى والمكون من ٢٣٦ قطعة عظام يربط بعضها إلى بعض عند المفاصل أربطة ويدفعها إلى الحركة عضلات تثبتها فى العظام أوتار.. وكيف أن العظام والأربطة والعضلات والأوتار هى أنسجة الجسم المسئولة عن ثباته وحركته.

وطالما وقف مشدوها عندما يعرف أن لبعض العظام وظيفة رئيسية هى حماية ما تحتها ومثال ذلك الجمجمة التى تحتوى الدماغ والعينين والأذن الداخلية، وبعضها الآخر مثل الحوض بنيان دعامى فى أساسه، وعظام أخرى، كالفك وعظام الأصابع تختص أصلا بالحركة.

وكانت دموعه تنساب عند مروره على بعض الحالات المصابة بدرن العظام وحيث يضعف نخاع العظام ويقل إنتاجه لكريات الدم.. وهو مرض ذو أثر فى إتلاف العظم وقد يسبب عاهة أو عجزا إذا لم يشخص ويعالج فى وقت مبكر.

ولقد مرت عليه خلال فترة عمله بالمصح البحرى للعظام آلاف الحالات من هشاشة العظام المعروفة باسم «تخلخل العظام الشيخوخى» وهى تظهر فى كبار السن حيث تصبح العظام هشة وكثيرة المسام وتتكسر من أقل إجهاد أو اصطدام طفيف أو وقوع كبار السن من سلالم محدودة أو فى الحمامات، وتحدث كسور مضاعفة يصعب علاجها على المدى الطويل.

وأشد ساعات الانفعال عند عبده سلام هى عند فحص الأطفال مرضى لين العظام، والذين لا يملكون إمكانية شرب

اللبن الذى يحتوى على كمية كبيرة من فوسفات الكالسيوم.. وهو أهم عناصر تغذية الأطفال فى أدوار نموهم، وتلزم الفيتامينات لاسيما فيتامين (د) لضمان صحة عملية ترسب الكالسيوم فى العظم.. يقول: كم شعرت بالعجز أمام مئات الحالات التى لا تملك شراء اللبن وإمكانيات المستشفيات والجمعيات الأهلية وذوى اليسار محدودة.. فما هو السبيل.. لا يملك إلا أن يقول الدعاء إلى الخالق جل وعلا.. أن يعفيه من هذه المستشفى.. خاصة وأن مرضاه زبائن دائمة مدى الحياة.

فى مجلس الشعب

وتمنى عبده سلام أن يدخل مجلس الشعب لكى يطالب بميزانيات تعالج هذه الحالات ورشح نفسه فعلا عام ١٩٥٦م وأخيرا أصبح عضوا بمجلس الشعب عام ١٩٥٧م، وعضو لجنة التخطيط القومى عام ١٩٥٩م، وكان قد عين رئيسا لمجلس الإدارة والعضو المنتدب بشركة سيد للأدوية ٥٦ - ١٩٦١، ورئيسا لمجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة النصر للكيماويات الدوائية ٦١ - ١٩٦٢، فرئيسا لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للأدوية ٦٢ - ١٩٦٩م.

وعين وزيرا للصحة فى فبراير ٦٩ وحتى أواخر ١٩٧١م، فرئيسا للهيئة العامة للتأمين الصحى ٧١ - ١٩٧٤م، ثم عين رئيسا لمجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للمستحضرات الحيوية واللقاحات من نوفمبر ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٦/٨/٣١م، وكانت آخر مناصبه الإدارية العليا رئيسا لمجلس إدارة الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (أكديما) وحتى تاريخ وفاته.

وقد شارك د. عبده سلام فى كثير من المؤتمرات منها: مؤتمر الخريجين العرب فى القدس ١٩٥٥م، مؤتمر اللجنة الاجتماعية لجامعة الدول العربية فى عمان عام ١٩٥٦م، مؤتمر الشعوب الأفريقية لتحرير أفريقيا فى غانا ١٩٥٨م، وفى القاهرة ١٩٦٠م، اللجنة القومية لمؤتمر الشعوب الآسيوية بباندونج ٦١م، المؤتمر الدولى للإدارة فى أمريكا ١٩٦٣، مؤتمر الأكاديمية الأمريكية للعلوم عن توفير الدواء للدول النامية ١٩٧٨م، مؤتمر الأمم المتحدة فى العلوم والتكنولوجيا والتنمية فى فيينا عام ١٩٧٩م.

وكان الراحل الكريم قد شارك وأجرى بحوثا ودراسات عديدة فى مجال تنظيم الأسرة والسكان، ومثل مصر وشارك ورأس العديد من المؤتمرات القومية والعالمية فى مجال تنظيم الأسرة، وذلك بصفته عضو المجلس القومى للسكان ورئيس اللجنة. كما ساهم فى أنشطة أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا، حيث رأس شعبة بحوث الأدوية، وكان عضوا بمجلس الأكاديمية وبالعديد من لجانها، ومثل مصر فى مؤتمر رؤساء الهيئات الدولية بالدول النامية بالهند عام ١٩٨١م، ومن اهتماماته الأخرى مساهمته مع أول من حاولوا إرساء قواعد التأمين الصحى عام ١٩٤١م، وأول من بدأ نظاما للرعاية الاجتماعية الطبية فى دراسات معهد الخدمة الاجتماعية بالإسكندرية.

كما أدخل الأساليب المطورة لعلاج المرضى وتحسين نتائج العلاج والإسراع به بكثير من أنواع التدخل الجراحى.

النهوض بالصناعات الدوائية

واهتم بتوفير العلاج لذوى الدخول المحدودة بافتتاح وإدارة مستشفى المبرة بالإسكندرية عام ١٩٥١م، وشارك فى الخدمة العمالية برئاسته وإدارته لوحدة الإسعاف العلاجية، وتعتبر إسهاماته فى تنمية الصناعات الدوائية مع بعض زملائه خير الإسهامات التى حققت لمصر مالم تكن تصبو إليه فى هذا المجال، فقد نهض بالصناعات الدوائية وجعلها تتبوأ مكانتها اللائقة، وتقف موقف الصدارة من الصناعات الكيميائية الأخرى.

ورغم أن صناعة الدواء قد بدأت فى مصر فى نهاية الثلاثينيات على يدى الاقتصادى المصرى الشهيد طلعت حرب من خلال مشروعه الوطنى بنك وإنشاء شركة مصر للمستحضرات الطبية بالمطرية وتعاون الجيل الأول من صيادلة وأطباء مصر المهتمين بصناعة الدواء أمثال على الكردانى بك رئيس الشركة ورياض زين الدين وعبدالله

عدلى وحسن الإبراشى ونصر بدران، وأحمد أبو العينين، وعلى سينا، وحجازى وغيرهم.. فإن هذه الصناعة لم تصبح ذات بعد عربى إلا بعد ذلك بأربعة عقود عندما شهدت الستينيات والسبعينيات مولد نمو وصناعة الدواء فى شركات بعينها مثل سيد والنيل وممفيس ومصر للمستحضرات والعربية والإسكندرية.. رغم أن هذه الشركات كان اهتمامها موجها لسياسة الإحلال محل الواردات للمساهمة فى تخفيف الضغط على الدخل القومى وقد نجحت فعلا فى سداد احتياجات ٩٣٪ من الأدوية المطلوبة ونجحت مصر أيضا فى إنماء صناعة الدواء فى سوريا والأردن واليمن والإمارات وتونس والسعودية والمغرب والعراق ولبنان والسودان.

نظرة مستقبلية

ومشهود له بالجهود الخارقة للعادة والنظرة المستقبلية والانتقال من الفكر إلى التطبيق والمتابعة والتطوير الدائم، ولذا كانت تدعوه منظمة التنمية الصناعية فى الدول النامية (اليونيدو) مرارا منذ عام ١٩٧٨م كخبير فى شئون صناعة الدواء، لتدارس ووضع تقارير عن التطور العلمى المعاصر لصناعات الأدوية والخامات الدوائية والمستلزمات الطبية. على الجهد والعطاء وألا نستعين بالكبار إلا للضرورة وتعلمنا منه كيف نحتفظ بالعلاقات الطيبة مع الجامعات التى درسنا فيهاوأن يظل الاتصال دائما وعلمنا كيف نركز على الجانب الإيجابى فيمن هم حولنا وعليه كيف نختار القيادات وخير الأدوار التى تعلمتها من أستاذى رحمه الله جرأة القرار والعطف على جميع الناس

أساليب جديدة لمكافحة الأمراض

يقول عنه الدكتور حسن عباس حلمى: إن عبده سلام يشبه الخديو إسماعيل الخديو يرغب فى صناعة مصر الحديثة وسلام يرغب فى صناعة الدواء الحديث .. وقد نجح فى ذلك حيث نقل صناعة الدواء من جزر معزولة إلى مؤسسة قوية تقود صناعة الدواء تخطيطا وإنتاجا وتسويقا وتوزيعا ويستطرد الدكتور حسن عباس قائلا: تعلمنا من الدكتور سلام أن نستعين بالشباب.. لأن الشباب لديه القدرة.

ولعب الدكتور عبده سلام دورا هاما فى التخطيط والتنفيذ لمشروعات استكشاف وعلاج مرضى السل وأساليب كفاح الأمراض المتوطنة وإنشاء الوحدات الطبية المجمعة حيث كان التخطيط مرتبطا بسياسة الدولة، كما أنه جزء لا غنى عنه لعمليات التنمية والتغيير وكان يرتبط بكثير من القرارات السياسية والاقتصادية التى تهتم بصحة الفرد والمجتمع والتى لا يمكن الدخول إليها دون ذكر التخطيط.

كما أن مشروعات إنشاء وتوسيع الطاقة الاستيعابية للمستشفيات غير ممكنة دون الأخذ بمبدأ التخطيط وعملياته المختلفة. ومن أقوال الدكتور عبده سلام المأثورة فى الاجتماعات التمهيدية والتحضيرية أن التخطيط أضحى ضرورة لا غنى عنها كأسلوب ومنهج لرفع مستوى الأداء فى الخدمات الصحية والعلاجية. وإذا كانت الدول المتقدمة قد سبقت فى الأخذ بمنهج التخطيط الوقائى والعلاجى فى مختلف صوره، فإن اتباع الدول النامية ومنها مصر.. لهذا المنهج ألزم ما يكون لها حتى يمكنها الوفاء بحاجات المجتمع فى العلاج والدواء.. والغاية من خطط التنمية فى هذه الحالات هو تحديد نسبة النمو فى الاقتصاد خلال فترة معينة وبأهداف محددة. وأيضا لتعيين مستويات المساهمات المالية التى تشارك بها الحكومة وتقدمها لمختلف قطاعات الخدمات الصحية. ولوضع الأولوية فى الإنفاق فى المشروعات المدرجة فى الخطة.

كما كان للدكتور عبده سلام الدور البارز فى إنشاء معهد السرطان وكلية طب الأسنان والمعهدالعالى للصحة العامة ومعهد البحوث الطبية وغيرها.

كما رأس وشارك فى مؤتمرات وندوات كثيرة محلية ودولية عن مختلف الموضوعات التى تحقق التكامل التام للدراسات الصحية والطبية والدوائية والاجتماعية.. كما كان العضو الدائم فى وفد مصر لمؤتمرات الأمم المتحدة فى العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية، والتى كانت تعقد فى فيينا وكان

عضوا بهيئة الصحة العالمية للتعاون فيما بين الدول فى مجال مكافحة الأمراض الوبائية، لأن مكافحة الأوبئة لن يتم إلا إذا تضافرت فى شأنه جهود العالم أجمع، فالأوبئة لا تعرف الحدود، الأمر الذى يفرض ضرورة مكافحة جراثيمها أينما تفشت.

ولكى تتضح للقارئ الكريم نظرة عبده سلام المستقبلية عمل مرجعا للصناعة الدوائية فى مصر.. حاضرها ومستقبلها، وأنشأ الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (أكديما) عام ١٩٧٦م كى تساهم فى تأسيس وإدارة مجموعة متكاملة من الشركات الدوائية التى تحقق أبعاد التنمية الصحية الاجتماعية والتى توفر احتياجات البلاد من الخدمات الدوائية، وظل رئيسا لها حتى وفاته.

وأكديما أول شركة عربية مشتركة قامت لتحقيق التكامل فى مجال صناعة الدواء بالوطن العربى وقد تأسست عن مجلس الوحدة الاقتصادية العربية فى ٦ مارس سنة ١٩٧٦م وشاركت فى تأسيسها ١٤ دولة عربية.. ومنذ إنشاء أكديما، حققت الكثير من الإنجازات التى تتمثل فى الشركات العديدة التى أنشأتها وساهمت فى تأسيسها، كما خططت أكاديما للمستقبل لتنفيذ العديد من المشروعات التى تعمل فى مجالات صناعة الأدوية، والكيماويات والمستلزمات الطبية، وقد ساهمت أكاديما بما يلى:

١ ـ الشركة العربية للزجاج الدوائى ١,٧٥ مليون جنيه وهى بقناة السويس.

٢ـ الشركة المصرية الدولية للصناعات الدوائية ٢٠ مليون جنيه.. العاشر من رمضان.

٣ ـ الشركة العربية للعبوات الدوائية ١٥,٥ مليون جنيه الوايلى القاهرة.

٤ ـ شركة الوجه القبلى للصناعات الدوائية ١٨,٥ مليون جنيه.

٥ ـ الشركة العربية لتجهيز المستشفيات ١٥,٠ مليون جنيه.

٦ ـ الشركة العربية للأغذية الطبية ٦,٠ مليون جنيه، أبو سلطان.

٧ ـ الشركة العربية للمستلزمات الطبية ١٢,٠ مليون جنيه.

٨ ـ الشركة العربية للمنتجات الجيلاتينية ١٥,٠ مليون جنيه.

٩ ـ الشركة العربية للنباتات الطبية ٩,٥ مليون جنيه إنشاجى.

١٠ ـ الشركة العربية للخامات الدوائية ١٤,٠ مليون جنيه أبو زعبل.

وساهمت أكاديما فى شركة المهن للأدوية بمبلغ ٢٠,٠ مليون جنيه، وفى شركة المهن الطبية للمنتجات البيطرية بمبلغ ٤,٠ مليون جنيه وهما بأبو سلطان بالاسماعيلية.

وقد نشر العديد من الموضوعات المتعلقة بالصحة العامة والعلاج والصناعة الدوائية والكيماويات الدوائية وصناعة مواد التعبئة والتغليف اللازمة لصناعة الدواء. كما رأس وشارك فى ندوات ومؤتمرات وحلقات دراسية كثيرة محلية وعربية وأفريقية ودولية لاسيما المرتبطة بالموضوعات الصحية والطبية والدوائية والاجتماعية ورأس المؤسسة الصحية العمالية لتوفير خدمات طبية علاجية ومعملية متميزة وقليلة التكاليف كمشاركة أهلية دون أعباء على الدولة.

وقد منح الراحل الكريم وسام الجمهورية من الطبقة الأولى (١٩٥٥) ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ١٩٦٤،ووسام التجارة والصناعة ١٩٦٥، ووسام الشرف السوفييتى ١٩٦٥، ونوط الجدارة فى الخدمة الاجتماعية ١٩٧٧، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٧٩، وجائزة الدولة التقديرية فى العلوم ١٩٨٣م، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى للمرة الثانية.

وقد توفى عام ١٩٩٢ بعد حياة حافلة بالعطاء لمصر والوطن العربى.. رحمه الله رحمة واسعة.

أهم المراجع

عمل كاتب السيرة مع المرحوم الدكتور عبده سلام فى مؤسسة الأدوية كما كان عضوا فى لجان دراسة الجدوى لشركات أكديما تحت رئاسة الراحل عبده سلام.

الحضارة والعلوم

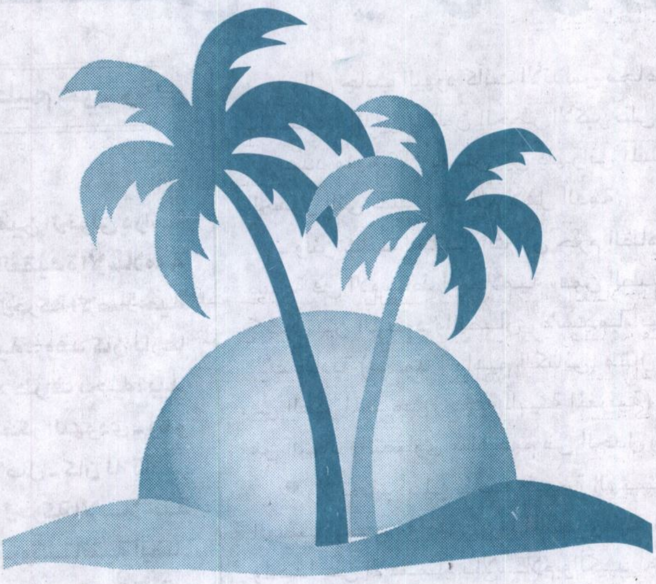

- أثر الفكر الإسلامى فى مناهج الإصلاح الدينى فى أوروبا
- الإحكام والثبات فى أجسام المخلوقات
- ويسألونك عن المحيض
- إعجاز الكتاب فى وصف السحاب

أثر الفكر الإسلامى فى مناهج الإصلاح الدينى فى أوروبا

د/ عبدالحليم عويس

• للأستاذ أمين الخولى دراسة قيمة حول أثر العقيدة الإسلامية فى الحركة الإصلاحية البروتستانتية.. وقد كان بارعا فيها مستجمعا لأطراف بحثه، بيد أننا نرى أن الفكر اليهودى ـ وهو توحيدى الأصل ـ كان له تأثير قوى على الحركة الإصلاحية البروتستانتية أيضا.

ـ هذا الفكر اليهودى كان قد نضج فى الأندلس مستفيدا من مناهج الإسلام لدرجة أن اليهودى الوزير ابن النغريلة كتب كتابا يهاجم فيه الإسلام (وهو وزير فى الأندلس الإسلامية) ورد عليه ابن حزم بكتابه المعروف (الرد على ابن النغريلة اليهودى)!!

• وليس بخاف أن الأندلس كانت تضم طائفة يهودية نشطة استطاعت أن تصل إلى المناصب الكبرى.

ـ وإلى جانب اليهود كانت الأندلس محاطة من جهات ثلاث بالنصارى، الذين يمثلون الخطر الأكبر على الإسلام بالإضافة إلى عدد منهم كان يعيش بين ظهرانى المسلمين، ويتمتع بكل الحقوق التى كفلها الإسلام لأهل الذمة.

ـ ولئن كانت اجتهادات ابن حزم الظاهرية ـ قد أحدثت ضجة فى الأوساط الإسلامية «فمن الطبيعى أن تثير ضجة كبرى بين اليهود والنصارى لاسيما أنها تتعلق بالأصول الاعتقادية (محمد إبراهيم الكتانى: مقال: «هل أثر ابن حزم فى الفكر المسيحى» مجلة البيئة المغربية) ومنها اقتبس كثير من اليهود والنصارى مناهجهم فى الجدل والإصلاح الفكرى.

• ولا تخفى على باحث طبيعة الهيمنة الدينية على هذا العصر وخاصة على أوروبا النصرانية التى لم تتوان يوما واحدا عن الاهتمام بالإسلام والكيد له وللمسلمين حتى أخرجتهم من اسبانيا، وأرغمت الباقين منهم على التنصر وعقدت لهم محاكم التفتيش ـ فمن غير المستساغ عقليا أن تتجاهل الكنيسة فكر ابن حزم الذى يدمر الثقة فى كتابها المقدس، ويرميه بالانتحال والتناقض والسذاجة الفكرية. كما أنه ليس من المستساغ أن تتجاهل أفكار المسلمين الدينية بصفة عامة، وأن تتعلم منهم!!

• وليس من المقبول عقليا أن تنجح الكنيسة ـ لو أرادت ـ فى فرض حظر على فكر ابن حزم، فإن أبا محمد كان قد بلغ شهرة كبرى عن طريق فكره الجديد ومخالفته لتيارات التقليد فى عصره ولمكانته، ومكانة أسرته السياسية والاجتماعية التى تمتعت بها، ولاسيما أن الاتصال ـ كما ذكرنا ـ كان قويا جدا بين أصحاب الأديان الثلاثة فى شبه الجزيرة، عن طريق التجاور والتجارة والرحلات وطلب العلم، والأسارى، والمستعربين والسفراء والتصاهر، والمدجنين والمرتدين (لطفى عبدالبديع: الإسلام فى أسبانيا ص٩٠ ـ ٩١) ومن المعروف أن

الفيلسوف الفقيه ابن رشد كان له تأثيره الحاسم فى تاريخ الفكر الأوروبى لدرجة أنه لم يكد ينتصف القرن السابع الهجرى حتى كانت كتبه كلها قد ترجمت إلى اللغة اللاتينية، فنفذت بذلك إلى أوروبا، ولقيت مقاومة من رجال الأكليروس، وعلى رأسهم القديس توماس الأكوينى الذى اعتبر - مع ذلك - التلميذ الأول لفلسفة ابن رشد، ولم تلبث فلسفة ابن رشد بعد ذلك إلا قليلا حتى أصبحت ذات سيادة مطلقة فى كلية «بادو» بإيطاليا، وأصبح ابن رشد المعلم الأكبر (لطفى عبدالبديع: الإسلام فى اسبانيا ص٥٥)، أو المعلم الثانى.

***

● وليس لدينا شك فى أن ابن رشد كان متأثرا فى بعض جوانب تفكيره بتفكير ابن حزم كما يظهر ذلك من كتابه فى الفقه المقارن «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وهو كتاب فى الفقه المالكى له سماته التأصيلية والتجريدية.

- ويحكى لنا عبدالملك المراكشى قصة غريبة لا نستطيع أن نجزم بصحتها لكنها تثبت مدى تأثر ابن رشد بابن حزم، فيقول: نقلت من خط التاريخى المقيد أبى العباس بن على بن هارون ما نصه: أخبرنى محمد بن أبى الحسين بن زرقون أن القاضى أبا الوليد بن رشد استعار منه كتابا ضمنه أسباب الخلاف الواقع بين أئمة الأمصار من وضع بعض فقهاء خراسان فلم يرده إليه وزاد فيه شيئا من كلام الإمامين أبى عمر بن عبدالبر أبى محمد بن حزم ونسبه إلى نفسه، وهو الكتاب المسمى ببداية المجتهد ونهاية المقتصد. قال أبو العباس بن هارون: والرجل غير معروف بالفقه وإن كان مقدما فى غير ذلك من المعارف. (الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة).

- وهو أمر قد يكون صحيحا، لكنه لا يقدح أحدا فطبيعة الأمور اعتماد الخلف على السلف.

● لكن الذى يهمنا هو أن نذكر أنه من غير المعقول أن تهتم أوروبا هذا الاهتمام الكبير بفلسفة ابن رشد التى لم تكن حادة فى الحوار مع فلسفتها المنبثقة من النصرانية وتتجاهل فى الوقت نفسه أفكار ابن حزم التى مستها مسا حادا وقويا ومباشرا.

وإنما التفسير المعقول هو أن الكنيسة قد قامت على دراسة ابن حزم دراسة جادة وواسعة كما تفعل عادة الأكاديميات العلمية والدينية والفلسفية لكنها رأت أن من الخطر على معتقداتها ومكانتها أن تسمح لأفكار ابن حزم بالنزول إلى مستوى الدراسة الرسمية أو العامة أو الشعبية.

ولعله مما يقرب لنا هذا أن الكنيسة مازالت فى أوروبا إلى اليوم، وعلى الرغم من تخصص كثير من أبنائها فى الإسلاميات على نحو رفيع، تصر على اتباع منهج تشويه الإسلام، وتقديمه لأتباعها بصورة مغايرة تماما لحقيقته التى تعلمها - اعتقادا منها بأن تقديم الإسلام الحقيقى إنما يمثل خطرا كبيرا على مركزها فى المجتمع المسيحى - مع أن الحق هو الأولى فى التعامل مع الأديان.. بل مع كل الأفكار الهادية والقائدة. ولكن للأسف.

- شتان بين ما تعلمه الكنيسة عن الإسلام، وبين ما تقدمه عن الإسلام للأوروبيين. وما يقال عن أفكار ابن رشد يقال عن أفكار تلميذ آخر لابن حزم هو (محيى الدين بن عربى الحاتمى الظاهرى فى الفروع) الباطنى فى الاعتقاد، والذى كان له تأثيره فى الفكر الأوروبى، وبخاصة على علمين من أعلام الأدب الأوروبى، وهما (دانتى ولوليو)، فقد دل أولهما فى الكوميديا الإلهية وفى الحياة الجديدة على أنه كان مهتما بآراء الصوفى ابن عربى (....) ثم إن الصور التى رسمها فى الكوميديا الإلهية لتمثيل الجنة والنار وما إليها تتفق وما رسمه ابن عربى فى الفتوحات المكية (......) أما (لوليو) فإن تأثير الإسلام فيه يتجلى فى كتبه واعترافاته مثل أسماء الله المائة أو كتاب الحيوان (لطفى عبدالبديع: الإسلام فى اسبانيا ص١٥٨)

إلى غير ذلك من التشابهات الجلية التى تؤكد الإفادة بين اللاحق والسابق.

- وقد عرض آسين بالسيوث فى كتابه «آثار الإسلام» لبعض النظريات التى رددها المفكرون المسلمون وتبعهم فيها المدرسيون، من ذلك النظرية التى تؤمن بضرورة الوحى، ونظرية التوفيق بين العقل والإيمان، فكلتاهما مما ردده ابن حزم وابن رشد وموسى بن ميمون وعن هؤلاء أخذها القديس توماس الأكوينى والديمنكى القطالانى رامون مارتى (لطفى عبدالبديع: الإسلام فى اسبانيا ص١٥٩). ومع ذلك فثمة محاولات مستميتة لإخفاء هذا التأثير الإسلامى فى كل أقطار الأكوينى!!

- ويوافق بلا سيوث فى رأيه - بيقين تام - المستشرق ليفى بروفنسال، ويرى أن معرفة أوروبا المسيحية لآراء ابن حزم ضد التوراة والإنجيل لا تحتاج إلى نص تاريخى يثبت ذلك، وهذا نفسه ما أكده المستشرق سالفرانك (محمد إبراهيم الكتانى: مقال عجلة البيئة المغربية عدد ٢).

***

- وأما دلالة الناحية التاريخية على تأثير ابن حزم فى الفكر الأوروبى فيدل لذلك بالدرجة الأولى تلك النصوص المتشابهة، بين الطوق وغيره من الكتب الأوروبية التى اعتمدت عليه، مما ذكرنا قبل - كما يدل عليه الاتفاق فى المنهج، الذى ظهر فجأة بعد ابن حزم فى مجال الجدل الدينى عند المدرسين شبه الأكاديميين!!

وقد عقد أسين بلاسيوث فى الفصل (١٣) من مجلده الضخم عن ابن حزم مقارنة بين نصوص من كلام ابن حزم وأخرى من كلام توما الأكوينى (وهو من أهل القرن الثالث عشر). يتجلى فيه تأثر الثانى بالأول (الكتانى: مقال بمجلة البينة ٢).

- وقد ظهر بعد وفاة ابن حزم بسبعين عاما كتاب لبطرس الفيزايلى - وهو رئيس دير - ينقد فيه الإسلام واليهودية، لم يؤلفه صاحبه إلا عقب زيارة له للأندلس، مما يجعل من اليسير استنتاج أن يكون عمله رد فعل لمنهج ابن حزم. (أمين الخولى: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية).

ولسنا نذكر بطرس هذا إلا على سبيل المثال، وإلا فليس ببعيد أن كثيرين مثل بطرس قد ترددوا على اسبانيا (أمين الخولى: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية) وعرفوا ابن حزم الذى كان فيها منذ عصر الموحدين ملء السمع.

***

ومن الغريب الذى يدعو للتأمل أن كثيرا من الأفكار الإصلاحية فى المسيحية، قد حذت حذو نفس الخطوات التى تشكل معالم منهج ابن حزم الإصلاحى، فمنهج ابن حزم فى الاعتماد على النقل والظاهرية فى الفهم هو نفسه فكرة العودة للكتاب المقدس وحده ونبذ كل ما عداه من آراء المجامع والآباء والتقاليد، وهى الفكرة التى تبناها «القالديون» فى القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) الذين كانوا على صلة بأسبانيا الإسلامية (أمين الخولى: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية) وفكرة الحركة التحريرية التشريعية التى قاومت التقليد، واعتمدت على السلطة التنفيذية للحكومة الإسلامية - وهى الحركة التى نادى بها ابن حزم - ونفذها المنصور أبو يوسف يعقوب الموحدى، حيث أمر برفض فروع الفقه وإلزام الفقهاء بعدم تقليد أحد من الأئمة المجتهدين وإحراق كتب الفروع.. وبالتالى الأخذ بمنهاج ابن حزم الأندلسى الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦هـ.

- هذه الفكرة هى نفسها الفكرة التى تبناها رجال الإصلاح فى المغرب المسيحى وأحرقوا - باسمها - كثيرا من الآراء والمفكرين سواء على يد الرجال المقاومين للإصلاح أو على يد الداعين إليه (بلانثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢٢٤، ٢٢٧).

- وعندما نتتبع مجالات الإبداع الفكرى المتعددة لدى علماء الإسلام فإننا نجد أن أكثرها قدتسرب تأثيرها من الحضارة الإسلامية إلى الحضار الأوروبية.

من آيات الحق فى دقة الخلق:

الإحكام والثبات فى أجسام المخلوقات

أ.د: محمد فتحى فرج بيومى

فى القرآن الكريم دعوة صريحة للنظر والتأمل فى بديع خلق الله وعظيم صنعه وخاصة فى أنفسنا، فالله تعالى يقول: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ يونس: آية ١٠١، ويقول عز من قائل: ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات: آية ٢١.

فالمتأمل فى بنية الكائن الحى، وخاصة الإنسان يجد أن ما يحتوى عليه من خلايا متنوعة، وأنسجة متباينة، تنتظم وتتلاحم لتكون فى مجملها الأعضاء والأجهزة المختلفة ليقوم كل منها بوظيفته بدقة متناهية وضبط مُحكم طبقا لما قرره الحق فى قرآنه الكريم: ﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾ الرعد: آية ٨.

إن المتأمل فى كل ذلك لابد وأن يسجد إيمانا بعظمة الخالق جل وعلا، ويزيد عمق هذا الإيمان كلما عرفنا المزيد حول دقة هذا الخلق والتكوين، إذ لا يكفى أن أولد مسلما ثم لا ألقى بالا لأوامر الله عز وجل من مثل: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم**﴾ العلق: الآيات ١ ـ ٥.

ومن المعروف أن العلم ليس له نهاية، فكلما عرفنا أكثر ازددنا يقينا بأن ما نجهله أكبر وأكثر مما نعلمه، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ الإسراء: آية ٨٥.

ولعل فى ذلك حث على تحصيل معرفة أكثر عمقا، وأرحب مساحة، وأكثر دقة وإحكاما، وهذه المعرفة هى الطريق لخشية الله وعبادته وتقواه، فالله تعالى يقول: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فاطر: آية ٢٨.

وكل مسلم يستطيع أن يصل إلى ذلك من خلال ما تخصص فيه، وتوفر عليه من علم أو حرفة أو صناعة، فكل ما تيسر للإنسان من معارف فى هذه الروافد إنما هى بعض من فيض الله العليم وتجلياته على البشر فهو سبحانه ﴿**عالم الغيب لا**

يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين﴾ سبأ: آية ٣.

الإحكام الدقيق قانون إلهى:

يبدو هذا الإحكام الدقيق واضحا جليا فى كتاب الله المقروء: القرآن، وأيضا فى كتابه المنظور: الكون. أما القرآن فيصفه الرحمن بقوله عز وجل: **﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾** هود: آية ١.

ومادة الحاء والكاف والميم، كما يقول اللغويون، تدل على أمر مُحسن وهو إتقان البناء، بحيث يمنع عنه الفساد، فلا خلل فيه، ولا تناقض ولا تعارض ولا انهيار.

وأما بعض مفردات الكون فيشملها قول الله تعالى: **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون* والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم* لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾** يس: الآيات ٣٨ ـ ٤٠، وهذا الإحكام فى تدبير ظواهر الكون وضبطها ووصفها بهذا التعبير الإلهى لا يحتاج لمزيد إيضاح وبيان ولعلنا بهذا ندرك طرفا من صفة القدرة التى تصرّف هذا الوجود عن قوة وعن علم **﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾** يس: آية ٣٨.

الاستقرار والثبات فى أجسام المخلوقات:

اقتضت حكمة الله، الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه، أن يكفل لمخلوقاته كل ما يعينها على أداء وظائفها ورسالتها فى هذا الكون، ولكى يتم ذلك فقد زودها الله تعالى بالآليات التى تحميها من أذى المتغيرات الداخلية التى تتم فى أجسامها نتيجة لأنشطة الجسم المختلفة كالأنشطة الأيضية(١) التى تتطلب مددا ثابتا من المواد الغذائية فالأكسجين والأملاح المعدنية التى يتلقاها الجسم وتستهلكها خلاياه من الأوساط المحيطة بها والتى لابد من تعويضها وتجديدها باستمرار حتى تظل تقريبا فى المستوى الثابت الذى يضمن استمرار العمليات الوظيفية فى الجسم. كما أنه ينتج عن هذه الأنشطة الخلوية نواتج ونفايات يجب التخلص منها بإقصائها وطرحها من الجسم، وبذا تظل البيئة الداخلية للجسم نظيفة باستمرار.

أما التغيرات التى تتم فى البيئة الخارجية المحيطة بالكائن الحى فتؤثر هى الأخرى فى حالة الاستقرار والثبات الداخلى للجسم، وعلى ذلك فإنه من الأهمية بمكان، من الناحية الصحية والوظيفية، أن تنشط الفعاليات التى من شأنها ضبط حالة الجسم الداخلية ليعود إلى حالة الاستقرار والثبات، التى تعمل على صيانة الكائن من التلف والإيذاء، وذلك فى حالة اضطراب وخلل حالته الداخلية.

وفى صور الحياة الأكثر تعقيدا، كما فى حالة الإنسان، على سبيل المثال، فإن ثبات الوسط الداخلى للجسم إنما يستتب ويتدعم بواسطة أنشطة أجهزة وأعضاء مختلفة، تتآزر وتتعاون فيما بينها، لتقوم بهذه العملية المهمة، كالجهاز الدورى والجهاز العصبى وجهاز الغدد الصماء والكبد وغيرها من الأجهزة والأعضاء، ولاسيما تلك الأعضاء التى تعمل كمراكز للتبادل مع الوسط الخارجى وتشمل: الكليتين والرئتين أو الخياشيم فى حالة الأسماك، والقناة الهضمية والجلد. فعن طريق هذه الأعضاء يتم الحصول على الأكسيجين (أكسير الحياة) والعناصر الغذائية، والأملاح المعدنية ومكونات سوائل الجسم الأخرى، كما يتم عن طريقها أيضا التبادل المائى والتخلص من الحرارة الزائدة والنفايات الأيضية فى الجسم(٢).

أمثلة لضبط البيئة الداخلية:

إن مفهوم استتباب واستقرار البيئة الداخلية (Homeostasis) لجسم الكائن الحىّ قد شاع وانتشر فى الفكر

الحالة	النسبة المئوية فى جرذ الكنغر	النسبة المئوية فى جرذ الكنغر
الماء المكتسب:		
ماء الشرب	٥٠٪	صفر٪
ماء الغذاء	٣٦٪	١٠٪
الماء الأيضى (المنتج بالجسم)	١٤٪	٩٠٪
الماء المفقود:		
في البول	٦٠٪	٢٥٪
فى (الرئتين والجلد)	٣٥٪	٧٠٪
فى البراز	٥٪	٥٪

الفسيولوجى منذ فترة قصيرة نسبيا وذلك من خلال كتابات عالم الفسيولوجية الفرنسى كلود برنار بعد قيامه بالعديد من التجارب والدراسات التى تمت على الحيوانات الثديية، تلك التى تلد وترضع صغارها، إلا أن هذا المفهوم ينطبق على جميع الحيوانات بدءا من الكائنات ذات الخلية الواحدة إلى أعقد وأكمل صور الحياة ممثلة فى الإنسان الذى كرمه ربه حيث قال تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم**﴾ التين: آية ٤.

وهناك الكثير من الأمثلة الواضحة لضبط التغيرات الحادثة فى البيئة الداخلية لجسم الكائن الحىّ، نتعرض فيما يلى لبعضها لتوضيح ذلك.

التوازن المائى

تتضاءل مشاكل الحياة فى البيئة المائية بالمقارنة إلى الحياة على اليابسة، ولأن معظم أجسام الكائنات الحية يتكون من الماء، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شىء حى**﴾ الأنبياء: آية ٣٠، فإن جميع الأنشطة الإيضية (الخاصة بالتحولات الغذائية وغيرها) تتم فى الماء، كما أن الحياة ذاتها قد نشأت فى الماء، والحيوانات التى تعيش على اليابسة تفقد الماء عن طريق (أ) تبخيره من الأسطح التنفسية (الرئتين).

ب - تبخيره من سطح الجسد (الجلد).

جـ - طرحه وإخراجه عن طريق البول.

د - التخلص منه ضمن المواد البرازية (أنظر الجدول المصاحب).

هذا ويتم تعويض هذه المقادير المفقودة عن طريق:

١ - الماء الموجود فى الطعام. ٢ - شرب الماء فى حالة تواجده.

٣ - عن طريق الماء الأيضى (الذى يتم تكوينه فى خلايا الجسم نتيجة أكسدة المواد الغذائية خاصة الدهنيات والنشويات).

وهناك بعض الحشرات الصحراوية كالصراصير والقراد وسوسة الدقيق تستطيع امتصاص بخار الماء مباشرة من الهواء الجوى. أما فى بعض الأمثلة الأخرى من الحيوانات كالقوارض الصحراوية، فإن الماء الأيضى يمثل معظم الماء المكتسب فى الحيوان.

فالمقارنة بين الإنسان الذى يتناول الماء بشكل طبيعى وبين حيوان صحراوى مثل جرذ الكنغر(٣) الذى لا يتناول الماء مطلقا يوضح بشكل خاص أهمية الماء الأيضى بالنسبة للحيوانات الصحراوية (انظر الجدول السابق ذكره).

فجرذ الكنغر يوفر ماءه ويحصل عليه من أكسدة طعامه (٩٠٪ من هذا الماء يتم تكوينه فى جسم الحيوان من أكسدة المواد الغذائية، أما بقية الماء وهى نسبة الـ١٠٪ المتبقية فيحصل عليها من الرطوبة الموجودة بالطعام)(٤).

وعلى ذلك فحتى لو تناول الإنسان طعاما يحتوى على نسبة كبيرة من الماء بالمقارنة إلى البذور الجافة التى تؤلف القدر الأعظم من طعام جرذ الكنغر، فإن الإنسان لابد وأن يحصل على نصف متطلباته المائية فى صورة ماء الشرب، حتى ولو تواجد فى الصحراء، ومن الجدير بالذكر أن الإنسان يستطيع أن يتحمل العيش فى درجات الحرارة العالية جدا فقط عند تناوله كمية كبيرة من الماء حتى يتمكن من التغلب على ارتفاع درجة حرارة جسمه. فقدرتنا على إبقاء درجة حرارة أجسامنا ثابتة فى حدودها الطبيعية إنما يتم عن طريق تبخير العرق، وقد تم إثبات ذلك منذ ما يزيد عن ٢٠٠ سنة عن طريق عالم بريطانى ظل لمدة ٤٥ دقيقة فى حجرة ساخنة جدا عند درجة حرارة ١٢٦°م، وقد أنضجت هذه الحرارة خلال هذه المدة شريحة من اللحم حملها معه فى هذه الحجرة بينما ظل هو دون إيذاء ودون زيادة فى درجة حرارة جسمه. فقد زاد معدل تعرقه تحت هذه الظروف عن ثلاث لترات فى الساعة، ولم يكن فى مقدوره أن يواصل ذلك إذا لم يتم تعويض ما فقده من ماء عن طريق الشرب. فعند الحرمان من الماء يمكن للإنسان أن يواصل التعرق دون أى خلل أو ضعف حتى تزيد نسبة فقدانه للماء عن ١٠٪ من وزن الجسم وعندها يحدث انهيار للجسم. فعند فقدان ١٢٪ من الماء يفقد الإنسان القدرة على البلع حتى لو قُدم له الماء، ثم يفقد المرء حياته إذا كانت نسبة الماء المفقودة من ١٥ إلى ٢٠٪ من وزن الجسم.

إن عددا قليلا جدا من الناس يمكن أن يبقى على قيد الحياة لمدة يوم أو اثنين فى الصحراء بدون ماء، وعلى ذلك فالإنسان ليس مؤهلا من الناحية الفسيولوجية للعيش فى الأجواء الصحراوية بدون المقومات الحضارية التكنولوجية، وصدق الله تعالى إذ يقول: **﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾** الأنبياء: آية ٣٠.

ثبات كمية ومواصفات الدم فى الجسم:

تبلغ كمية الدم فى أجسامنا حوالى ٨٪ من وزن الجسم، وفى حالة الإنسان البالغ يصل هذا القدر إلى ٥ ليترات، وهذه الكمية طبقا لآليات استقرار حالة الجسم ينبغى أن تظل ثابتة حتى على الرغم من حدوث بعض التغيرات كشرب السوائل أو النزف أو الحقن، فعندما يتناول شخص ما كمية كبيرة من الماء فإن هذا الماء يتسرب من الدم إلى الأنسجة بمعدل كبير أو يتم التخلص منه نهائيا عن طريق الكلى، إذ أن بقاء كمية الدم فى جسم الإنسان ثابتة ذات أهمية بالغة فى استمرار الدورة الدموية بشكل طبيعى لتأدية الدم لوظائفه الهامة حتى تستمر الحياة.

كذلك فإن الضغط الأسموزى لدم الإنسان يصل إلى حوالى ٥١٠٠ ملليمتر زئبق أو ٦,٧ جو أى ما يعادل ٠,٩٪ محلول كلوريد الصوديوم. وهذا الضغط الأسموزى هو نتيجة لوجود الأملاح المختلفة فى الدم إضافة إلى نواتج الفضلات والمواد السكرية والبللورية الأخرى المذابة فى بلازما الدم، كما أن لبروتينات البلازما أيضا دورا ولو قليلا فى هذا الضغط(٥). ونتيجة للتغيرات الدائبة التى تتم فى الدم نتيجة الحركية العالية لمحتوياته، فإن هذا الضغط قد يتعرض لبعض التغيرات الطفيفة التى لا تلبث أن تتعدل بوسائل خاصة أهمها: تدخل الكليتين اللتين تساعدان على الإبقاء على كمية ثابتة من الماء والأملاح داخل الجسم.

أرأيت إلى هذه الموازين الدقيقة والمعايير المضبوطة التى تسرى بضبط وإحكام كبيرين؟ فسبحان الله: **﴿الذى خلق فسوى* والذى قدر فهدى﴾** الأعلى: الآيتان ٢، ٣. وهو القائل سبحانه: **﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾** الرعد: آية ٨.

ثبات درجة حرارة الجسم:

فى خلايا الجسم تفاعلات كيميائية تهيمن عليها أنظمة إنزيمية معقدة لا تعمل إلا فى درجات حرارة ذات مجال ضيق، وهى بهذه المثابة شبه ثابتة، حيث ينبغى ألا تزيد التغيرات عن

درجة واحدة أو درجة مئوية ونصف، ومع ذلك فإن هذا يعتبر مؤشر لوجود خلل تنهض آليات كثيرة فى الجسم لمحاولة تصحيحه والعودة به مرة أخرى للحدود الطبيعية حيث الاستقرار والثبات، ذلك حتى تستطيع الخلايا، تحت هذه الظروف، أن تقوم بأنشطتها ووظائفها الحيوية فتستقيم حياة الكائن وتستمر، بل إن نجاح ذلك يبعث على القول بأنه لازال فى عمره بقية، أما بقاء هذا الخلل وعدم المقدرة على إصلاحه فيؤذن بانتهاء حياة الكائن وهلاكه بقدرة الله تعالى، وكل ذلك مقدر فى علم الله سلفا.

وهناك آليات لضبط درجة الحرارة، بغض النظر عن درجة حرارة البيئة أو الوسط الذى يعيش فيه الإنسان (والتى قد تتراوح من أقل من الصفر المئوى إلى أكثر من ٤٥ أو ٥٠ درجة مئوية، بينما تظل درجة حرارة الإنسان فى حدودها الثابتة عند ٣٧,٥ درجة مئوية).

وعلى ذلك فإن أجسام الكائنات الحية ذات درجة الحرارة الثابتة (والتى كان يطلق عليها سابقا ذوات الدم الحار ومنها الإنسان) يمكنها أن تعمل بصورة طبيعية تحت ظروف تختلف فيها اختلافا كبيرا ويرجع ذلك إلى أن خالقهم زودها بآليات ووسائل تمكنها من ضبط درجة حرارة أجسامها فى ظل هذه الظروف فإذا انخفضت درجة حرارة البيئة يزيد جسم الحيوان من إنتاج الحرارة بوسائل عديدة وكذلك يعمل على تقليل فقدانه للحرارة بوسائل أخرى كثيرة حتى تظل درجة حرارة الجسم ثابتة.

الحفاظ على مستوى جلوكوز الدم ثابتا:

تتميز خلايا الجسم بوجه عام والخلايا العصبية بوجه خاص بدرجة عالية من الحساسية للتغير فى مستوى السكر (الجلوكوز) فى الدم حيث تعتمد عليه هذه الخلايا بشكل أساسى فى الحصول على الطاقة اللازمة لوظائفها المختلفة، ومن ثم فإن بقاء مستوى السكر فى الدم ثابتا هو أمر هام جدا لحصول الخلايا عليه وأكسدته لإنتاج الطاقة الضرورية لعملياتها الحيوية.

فبعد تناول الطعام وارتفاع جلوكوز الدم يتم تخزينه عن طريق خلايا الكبد والعضلات على هيئة نشا حيوانى (جليكوجين)، بيد أنه نتيجة لاستهلاك حزيئات السكر، بين الوجبات الغذائية. فإن ذلك يؤثر على مستوى سكر الكلوجوز فى الدم، ولذلك فإنه عند انخفاضه يقوم الكبد بتعويضه عن طريق تحلل الجليكوجين المخزن بخلاياه إلى سكر الجلوكوز فيؤدى ذلك إلى إعادة التوازن مرة أخرى، ويتدخل فى ذلك هرمونان: أحدهما يعرف بالإنسولين والآخر يسمى الجلوكاجون.

إن ثبات التركيب الكيميائى والخواص الفيزيقية الكيميائية لبيئة الجسم الداخلية هى من أهم الخصائص التى تميز أجسام الحيوانات الراقية والإنسان بقدرة خالقها جل وعلا، وصدق الله تعالى القائل فى كتابه العزيز: **﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾** الفرقان: آية ٢٠.

المراجع والهوامش:

١ ـ الأنشطة الأيضية: تشمل جميع التغيرات والتفاعلات الكيميائية التى تتم على كل المواد التى تدخل الجسم سواء كانت مواد غذائية أو حتى مواد غريبة، وتشمل تفاعلات الأكسدة والاختزال والهدم والبناء إلى غير ذلك من تفاعلات.

٢ ـ Hickman, Jr., C.P.; Roberts, L.S. & Larson, A. (1993): Integrated Principles of Zoology. Mosby St. Louis, P. 796.

٣ ـ جرذ الكنغر الضئيل لا يمت لحيوان الكنغر بصلة، وإن كان يشبهه إلى حد بعيد، فهو يقفز مثله متنقلا على قدميه الخلفيتين الطويلتين، وله ذيل طويل قوى يعتمد عليه فى جلسته ويستخدمه فى توجيه حركته، وهو يأوى إلى جحر فى الأرض فى أثناء النهار ويسعى للاغتذاء آناء الليل، وهو يكثر وينتعش فى أكثر البقاع جفافا، حتى فى الكثبان الرملية القاحلة.

4- Schmidt- Nielsem. K. (1972) How Animals Work? Cambridge Univ. Press NewYork. P.2.

٥ ـ شوتيليوس، ب.. أ، شوتيليوس. د. د (١٩٨٧م): علم الفسلجة. وزارة التعليم العالى والبحث العلمى. جامعة الموصل. العراق.

ويسألونك عن المحيض؟

أ. د: عبدالمعبود عمارة

الإسلام دين الفطرة، حرص كل الحرص على سلامة وطهارة المسلم فى الدنيا والآخرة، فأحل كل الطيبات وحرم كل الخبائث، وأرسل لنا رسولا من أنفسنا ليعلمنا ويرشدنا إلى ما فيه الخير كله، ومبادئ الإسلام فى كل المجالات جعلت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. ومن تلك الشعائر العظيمة التى أوضحها الإسلام هى تحريم اللقاء الجنسى للمرأة أثناء الحيض، وفى ذلك من الطهارة ما فيه، فوق أن ذلك يصون للمرأة حقوقها وكرامتها فى ألا تُرى وهى فى حالة تنفر منها النفوس الأبية وتنأى عنها الطبائع الإسلامية الفطرية. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ البقرة: آية ٢٢٢.

ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى تفسيره الوسيط: روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت أى لا يسكنون معهن - فسأل الصحابة النبى ﷺ فأنزل الله تعالى **﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى..﴾** الآية، فقال الرسول ﷺ: «**اصنعوا كل شىء إلا النكاح**».

> **اعتزال النساء فى المحيض منعا للأذى بالنسبة للرجل والمرأة معا**

والمحيض: الحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحاضا ومحيضا فهى حائض. وأصله السيلان. يقال حاض الوادى إذا سال، ومنه الحوض لسيلان الماء فيه.. ثم أطلق الحيض على ما يقذفه رحم المرأة من دم فى أوقات مخصوصة على وجه مخصوص.

والأذى: الشىء الذى يتأذى منه الإنسان ويصيبه الضرر بسببه.

ثم قال فضيلته: والمعنى: يسألك أصحابك يا محمد عن حكم مباشرة النساء فى حال الحيض فقل لهم معلما وموجها: إن الحيض أى الدم الذى يلفظه رحم المرأة فى وقت معين أذى يتأذى به الإنسان تأذيا حسيا جسيما، فرائحته يتأذى من يشمها وهو فى حد ذاته شىء متقذر تعافه النفوس وتنفر منه الطباع.

وقوله: **﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾** بيان الحكم المتفرع على تلك الحال التى يتأذى

فيها وهى حالة الحيض. والاعتزال: التباعد وهو هنا كناية عن ترك الجماع والمباشرة كما أن النهى عن قربهن كناية عن النهى عن جماعهن.

يقال: قرب الرجل امرأته إذا جامعها.

والمعنى: عليكم أيها المؤمنون أن تمتنعوا عن مباشرة النساء فى زمن حيضهن ولا تجامعوهن حتى يطهرن من ذلك لأن غشيانهن فى هذه الحالة يؤذيكم بسبب عدم نقاء المحل الذى يكون فيه الغشيان للمرأة، والمرأة أيضا تتأذى من مباشرتها فى زمن الحيض لأنها لا تكون فى حالة تستسيغ معها المعاشرة فجهازها التناسلى فى حالة اضطراب وهيئتها العامة فى حالة تجعلها من شأنها ان تنفر من الجماع».

معنى اعتزال النساء فى الفقه:

بعض العلماء يرى اعتزال جميع بدن المرأة وحجتهم أن الله أمر باعتزال النساء ولم يخصص من ذلك شيئا دون شىء، وبعضهم يرى اعتزال موضع الأذى - أى مكان خروج الدم - يقول النبى ﷺ **«اصنعوا كل شىء إلا النكاح»**.

وبعضم يرى اعتزال ما بين السرة إلى الركبة من المرأة وله ما سوى ذلك.

تركيب دم الحيض:

المعروف طبيا أن دم الحيض يتكون من قطع وأجزاء من الغشاء المخاطى المبطن للرحم بالإضافة إلى كريات دم حمراء وبيضاء ويكون الجدار الداخلى للرحم متقرحا وتقل مقاومة الرحم لغزو البكتريا ويشبه الجلد المسلوخ، ووسط هذا التقرح يسهل غزو البكتريا والتى قد تدخل إلى الرحم عن طريق المهبل والذى تقل فيه الإفرازات الحامضية القاتلة للبكتريا ويتحول إلى وسط متعادل أو قلوى يسهل غزوه بالبكتريا.

أذى المحيض:

نتيجة لوجود النزيف الرحمى الدموى (والدم يكون وسطا مناسبا لنمو البكتريا) بالإضافة إلى وجود التقرحات بجدار الرحم الداخلى فإن الرحم قد يصاب بالتهاب حاد أو مزمن يؤدى إلى العقم (Endometritis).

الدورة الشهرية المعتادة ٢٨ يوما تزيد أو تنقص بسبب ظروف نفسية وصحية متعددة

وقد تمتد الالتهابات إلى قناتى الرحم ويسبب التهابهما أو انسدادهما العقم أو الحمل خارج الرحم.

وقد تمتد الالتهابات إلى قناة مجرى البول والمثانة والحالبين والكلى فى المرأة وقد تسبب التهابات بها.

إن الزوجة تعانى من آلام متعددة أثناء الحيض فى أسفل الظهر أو تصاب بما يسمى بعسر الطمس وتصاب بالصداع وأحيانا بالقىء وبعض النساء يكن فى حالة توتر عصبى وحالتها النفسية والعضوية لا تستطيع اللقاء الجنسى أيضا.

وقد يصاب الرجل بالتهابات فى قناة مجرى البول والبروستاتا والمثانة أو الكلى مما يسبب التهابا مزمنا قد يؤدى إلى الوفاة وقد تصاب

الأنيميا الحادة والأمراض المزمنة والسمنة المفرطة تؤدى إلى انقطاع الطمث

الأجهزة التناسلية للرجل بالتهابات قد تؤدى إلى العقم.

وتصاب الغدد الصماء بالتغير أثناء الحيض فتقل إفرازاتها الحيوية الهامة للجسم إلى أدنى مستوى لها أثناء الحيض حيث يحدث انخفاض شديد فى مستوى هرمون (الأنوثة) الإستروجين وهو المسئول عن الرغبة الجنسية.

وقد ينخفض ضغط الدم وتصاب المرأة بالفتور والكسل وتشعر بالدوخة وتنأى بعض النساء إلى العزلة والميل إلى الراحة والبعد عن التوتر.

الدورة الرحمية وعلاقتها بالحمل

الدورة الرحمية تعنى التغيرات الدورية التى تحدث فى الغشاء المخاطى للرحم بتأثير هرمونى الأستروجين والبروجسترون واللذين يفرزان بواسطة المبيض وفى دورة الطمث يحدث نزيف دموى يخرج من المهبل نتيجة لنزول الجزء السطحى من الغشاء المخاطى المبطن للرحم فيما يعرف بالحيض.

ويمر الغشاء المخاطى المبطن للرحم خلال هذه الدورة والتى تستمر لمدة ٢٨ يوما بأربعة مراحل:

١ - **مرحلة الطمث:** وتمكث لمدة من ثلاثة إلى خمسة أيام وفيها ينزل دم الحيض أو المحيض أو الطمث نتيجة لتحلل الجسم الأصفر فى المبيض والنقص المفاجئ فى هرمونى الإستروجين والبروجتيرون ويحدث تحلل للجزء السطحى من الغشاء المخاطى الرحمى وكأنه فى حالة حزن لعدم حدوث حمل.

٢ - **مرحلة البناء (مرحلة ما بعد الطمث):** وتمكث هذه الفترة من ثلاثة إلى خمسة أيام وفيها تبدأ الخلايا المبطنة للرحم فى النمو والبناء لتبدأ دورة جديدة مصحوبة بإفراز هرمون الإستروجين من المبيض.

٣ - **مرحلة التكاثر:** وهى ما قبل التبويض مباشرة وتستمر من ٧ - ١٠ أيام وفيها يزداد نمو الغشاء المخاطى المبطن للرحم ويزداد سمكا ليكون على استعداد لاستقبال الحمل - إن وجد - فى يوم التبويض والذى يكون عادة فى وسط أيام الدورة الشهرية.

فالتبويض يحدث عادة من أيام ١٣ إلى ١٧ من أيام الدورة واليوم الأول هو اليوم الذى ترى فيه الأنثى الدم.

٤ - **مرحلة الإفراز:** ما قبل الإدماء وتكون من ١٠ إلى ١٤ يوما وفيها ينمو الغشاء المخاطى للرحم أكثر وأكثر وتزداد الغدد طولا وتزداد الأوعية الدموية فيه والتى - إن حدث حمل - فإنها تكون صالحة لاندغام البويضة الملقحة وتغذيتها وتكوين المشيمة.

ويحدث ذلك تحت تأثير هرمون البروجستيرون المفرز من الجسم الأصفر من المبيض. فسبحان الله القائل: **﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء**

عنده بمقدار﴾ الرعد: آية ٨.

ومدة الدورة الشهرية فى العادة ٢٨ يوما وقد تزيد أو تنقص قليلا باختلاف السيدات وتختلف من سيدة إلى أخرى بل تختلف فى السيدة الواحدة نظرا لظروف صحية ونفسية متعددة.

انقطاع الطمث

انقطاع الطمث عرضا وليس مرضا، فقد يكون الانقطاع فسيولوجيا فى مثل حالات ما قبل البلوغ أو بعد سن اليأس أو أثناء الحمل وأحيانا مع الرضاعة وقد يكون الانقطاع عرضا لمرض.

أنواع انقطاع الطمث:

أولا: انقطاع الطمث الأولى: وهو الحالة التى لم تشاهد الأنثى طمثا مطلقا وهى فوق سن البلوغ، وهو عادة يرجع إلى أمراض خلقية فى أعضاء التناسل الداخلية كالرحم والمبيض.

ثانيا: انقطاع الطمث الثانوى: وهو توقف الدورة فى السيدات اللاتى حضن قبل ذلك لبعض الأمراض أو الأسباب.

أما الطمث المستور أو المحبوس أو غير المرئى فإنه لا يعتبر انقطاعا للطمث، لأن الطمث يحدث لهن ولكن الدم لا يخرج من الرحم نظرا لانسداد عنق الرحم أو انسداد المهبل أو انسداد غشاء البكارة غير المثقوب.

أسباب انقطاع الطمث:

ينقطع الطمث لأسباب كثيرة. منها أسباب ترجع إلى خلل فى وظائف الغدد الصماء. فمثلا هناك أسباب ترجع إلى فشل فى وظائف المبيض الخلقية كاختفاء المبيضين، أو أورام المبيض أو تلف المبيضين بالأورام كالسرطان المتقدم أو الدرن أو الأدوية الكيماوية أو استئصال المبيضين أو الرحم.

وهناك أسباب ترجع إلى أمراض الغدة النخامية وبالتالى لا يوجد هورمونات تنشط المبيض، وقد تؤدى إلى العقم وضمور الأعضاء التناسلية.

وهناك أسباب ترجع إلى الرحم مثل عدم وجود رحم أصلا أو وجود ضمور فى الرحم أو استئصال الرحم أو وجود أمراض فى الغشاء المبطن للرحم مثل الدرن أو حمى النفاس.

وهناك أسباب أخرى فى الغدة الدرقية أو الغدة الفوق كلوية أو فى غدة تحت المهاد (Hypothalamus).

الأسباب العامة لانقطاع الطمث:

هناك أسباب قد تؤدى إلى انقطاع الطمث غير أعضاء التناسل مثل الأنيميا الشديدة، والحمى الطويلة الحادة الشديدة، أو الأمراض المزمنة التى تؤدى إلى الضعف العام والهزال مثل الإلتهاب الرئوى الدرنى أو مرض السكر الشديد أو التهاب الكلى المزمن، أو التسمم المزمن مثل التسمم بالرصاص والكحولات، والإجهاد العضوى والنفسى أو السمنة المفرطة المرتبطة بالغدد الصماء أو نقص الغذاء أو فى المجاعات أو فقد الشهية. وعلى السيدات استشارة الطبيب المختص لتحديد السبب ووصف العلاج المناسب فى كل هذه الأحوال.

المراجع:

١ ـ أ. د. محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ التفسير الوسيط ١٩٧٧م.

٢ ـ أ. د. محمد على البار «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» الدار السعودية للنشر والتوزيع السعودية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣ ـ كتب علم الأجنة المصرية للأستاذ الدكتور محمد نور الدين ـ طب الأزهر ـ ١٩٩٥م.

٤ ـ كتب أمراض النساء والتوليد للأستاذ الدكتور محمد الصادق ـ طب الأزهر ـ ١٩٩٦م.

إعجاز الكتاب

أ. د./كارم السيد غنيم

يقول الله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ النور: آية ٤٣.

وورد فى (غرائب القرآن) أن قول الله تعالى ﴿يزجى سحابا﴾ يعنى يسوقه بالرياح، ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يعنى يجمع قطع السحاب، فيجعلها سحابا واحدا متراكما سادا للأفق، ﴿الودق﴾ يعنى المطر، أو القطْر، ﴿يخرج من خلاله﴾ يعنى من فتوقه ومخارجه، لأن الخلال جمع خلل، كما أن الجبال جمع جبل، ﴿من جبال فيها من بَرَد﴾ يعنى أنه ينزل بعض البَرَد من جبال فى السماء، وقال عامة المفسرين: إن فى السماء جبالا من بَرَد خلقها الله فيها كما خلق فى الأرض جبالا من حجر.

وقال أهل المعنى: السماء هنا الغيم (السحاب) المرتفع فوق رؤوس الناس، والمراد بالجبال كثرتها .. وقبل أن ندخل فى جولة بين التفاسير المشهورة، وهى عديدة، لنتعرف على السحاب، وكيف يتكون، وما أنوعه، ومحاولات علماء الفيزياء والأرصاد الجوية لاستزراع السحب.

ماهو السحاب؟

يعرف العلماء السحاب (Cloud) بأنه بخار ماء متكاثف، يتألف من جسيمات (Particles) متكونة من قطيرات (Drapltes) صغيرة الحجم من الماء السائل، أو بللورات (Crystals) صغيرة من الثلج، قطر الواحدة منها لا يتجاوز عشرة أجزاء من الألف من الملليمتر، ولو صف ألف جسيم منها لم يتعد طوله ١,٥ سنتيمتر. يقوم الهواء بحمل هذه الجسيمات الدقيقة، فتظل متعلقة فى الجو، ويمدها غالبا بتيارات صاعدة (مندفعة من الأسفل إلى الأعلى). ويحتوى الهواء مواد عديدة كالبكتيريا، وأملاح البحار، والأتربة، والدخان، والهباب، والغبار، وحتى حبوب لقاح الأزهار، وهى ما يطلق عليها العلماء اسم (نوى التكاثف Condensation nuclei) وهى مواد يتوفر وجودها فى طبقات الجو السفلى. وتتكثف عليها قطرات الماء الصغيرة جدا فى السحب فتزداد أحجامها، ويتألف منها المطر بعد أن تصعد الرياح الحارة المشبعة ببخار الماء إلى طبقات الجو العليا وتتكون منها السحب. وأما المصدر الطبيعى للملح فى الجو، فالرياح

فى وصف السحاب

حين تلطم سطح البحر صباح مساء تحمل رذاذه المحمل بجزيئات الملح إلى الجو، وترتفع فى طبقاته، وتعمل كنوى تكاثف فى السحب، إضافة إلى الشوائب الأخرى التى أشرنا إلى أهمها من قبل. ومما يذكر فى هذا المقام أن جميع السحب التى تغطى سطح الأرض فى وقت واحد، لا تحتوى سوى واحد بالألف من ماء الكرة الأرضية..!

كيف يتكون السحاب، وكيف يتساقط منه البرَد؟؟:

لقد أفاض القرآن الكريم فى وصف العوامل والأسباب التى تتدخل فى تكوين السحب، وهطول المطر، وذلك قبل أن يتوصل العلماء حاليا إلى معرفتها، أوضح القرآن الكريم أن الرياح هى التى تثير السحب وتوزعها، وتوزع حملها من الأمطار: **﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾** الروم آية ٤٨، كما فرق القرآن العظيم بين أنواع السحب، وأوضح كيف يخرج الودق (أى المطر أو القطر) من خلال هذا الركام (الذى يشبه الركام) وكيف ينهمر البرد من هذا النوع من السحب: **﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار﴾** النور: آية ٤٣، وكيف يحدث البرق والرعد؟ وكيف تقوم الرياح بتلقيح السحب؟ **﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾** الحجر: آية ٢٢.

وأصبح من المعلوم الآن أن السحاب يتكون حينما يبرد الهواء، ويصل إلى نقطة الندى (Dew point)، أو درجة التشبع (Saturation)، فتقل قدرته على حمل بخار الماء (Water vapour) فيتحول إلى نقط ماء، أو إلى بللورات ثلج، حسب درجة حرارة تلك المنطقة من الجو. هذا، وقد أشرنا إلى أن القطيرات المائية، التى تتصاعد محمولة على متن الريح الصاعدة، صغيرة جدا بحيث لا ترى إلا بالمجهر (الميكروسكوب)، وخفيفة جدا لدرجة أنها تصعد مع أهدأ تيار هوائى.. وتزداد أحجام هذه القطيرات شيئا فشيئا - كما أوضحنا من قبل - فتكون السحابة فى النهاية مشكلة من قطيرات ماء وهواء، ويمثل الهواء النقى أكثر من ٩٩٪ من مكونات أية سحابة.

وينزل الماء الطهور العذب بهطول السحابة، وهو ما أشار إليه القرآن العظيم فى قول الله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهورا**﴾ الفرقان: آية ٤٨، ﴿**وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا**﴾ المرسلات: آية ٢٧.. نعم، وذلك لأن أشعة الشمس بما فيها من أشعة فوق بنفسجية (Ultraviolet) وأشعة تحت الحمراء (Infrared) وغاز الأوزون (Ozon)، ولأن البرق، ولأن المركبات الكيميائية المختلفة الموجودة فى طبقات الجو العليا، تقوم هذه وتلك بقتل الميكروبات، وإعدام الأحياء الدقيقة الضارة التى تحملها الرياح عادة وتدخل بها فى السحب، وبالتالى ينزل المطر بماء طاهر نظيف خال من الجراثيم والميكروبات، وهى الكائنات التى لم يعرفها الإنسان إلا بعد أن اكتشفها العالم الفرنسى (باستير) فى القرن التاسع عشر الميلادى (أى بعد نزول القرآن العظيم بنحو اثنى عشر قرنا ميلاديا). وماء المطر عذب (فرات)، فبالرغم من أن ما صعدت به الرياح وكونت به السحب، إنما هو ماء مالح من البحار والمحيطات، فإن الله سبحانه هيأ الأسباب لإزالة ملوحته أثناء عمليات البخر الطبيعى..!!

أما تكوُّن البرد وتساقطه، فإنه يرجع إلى تكون بللورات من الثلج داخل معظم السحب ولكن توجد فى بعض السحب العميقة تيارات هوائية عمودية تحمل بللورات الثلج إلى الأعلى، لتصل قمة السحابة حيث البرودة التى تؤدى إلى تكثيف بخار الماء بكميات أكبر على أسطح البللورات، وتنمو هذه البللورات، وتزداد أحجامها وأوزانها، وتبدأ فى الهبوط مرة أخرى، فإذا صادفتها تيارات هوائية صاعدة قادرة على حملها، قامت بحملها والصعود بها إلى قمة السحابة مرة أخرى، لكى تزداد أوزان هذه الحبات من جديد.. وقد تتكرر عمليات الهبوط والصعود عدة مرات، بينما تزداد أحجام البللورات فى كل مرة، حتى تصل إلى حجم ووزن لا تقوى عندهما التيارات الهوائية داخل السحابة على حملها، ولذلك تتساقط هذه الحبات على هيئة كرات برد فوق سطح الأرض. ولا يصل كل البرد إلى سطح الأرض، فى حالته الصلبة، لأن بعضه يذوب خلال طبقات الهواء الدافئ متحولا إلى مطر..

ومن الظواهر الجوية اللافتة للنظر والمتعلقة بموضوع السحب وجود «الضباب» (Fog)، سواء فى القرى أم فى المدن، وهو تجمع قطيرات مائية دقيقة الأحجام فى جو درجة حرارته لا تزيد على ٢٠ درجة مئوية، ويتراوح حجم القطيرة الواحدة بين ٠,٥ ـ ١٠٠ ميكرون، أو تجمع بللورات الثلج فى جو درجة حرارته أكثر انخفاضا. ويوجد الضباب فى المنخفضات وفوق سطح البحر، ويشكل طبقة يتراوح سمكها بين ١ ـ ١٠ أمتار، والضباب نوعان: ١ ـ ضباب التبرد، وهو يتكون على الأسطح الباردة خلال الشتاء، أو نتيجة صعود الهواء الحار الرطب إلى طبقات الجو العليا فيبرد. ٢ ـ ضباب التبخر: وهو يتكون نتيجة تبخر ماء مكشوف دافئ بتأثير مرور تيارات هوائية باردة عليه.!

التلقيح الصناعى للسحاب (أو علم استزراع السحب):

محاولات العلماء لزيادة كمية الأمطار المتساقطة من السحاب الحامل للمطر، وذلك ببذر أو استزراع أو ترسيب جزيئات يوديد الفضة (وهو ملح) فى السحاب، لتكوين قطرات الماء داخل طبقات السحاب فيزداد المطر، ويقل البرد، ولكن هذه المحاولات لاتزال فى أول الطريق حتى الآن، ولقد قام نفر من المتخصصين فى علم الطقس بإنجاز سلسلة من التجارب الحقلية المكلفة، وبذروا سحبا عاصفة هائلة الأحجام على فترات امتدت لعدة فصول فى مناطق مختلفة من الولايات المتحدة الأمريكية، وحتى نهاية عام ١٩٧٢م لم

يجزم المتخصصون إن كانت تجارب البذر (أو الاستزراع) هذه ناجحة أم لا. وحسبما ورد فى إحصائية لمنظمة الأرصاد الجوية العالمية، فإن أكثر من (١١٨) مشروعا لتحوير الطقس تم تنفيذها فى (٣٢) دولة، خلال عام ١٩٨٩م فقط. ولقد سجل الدكتور جوزيف واربرتون (من معهد بحوث الصحراء بجامعة نيفادا فى رينو) عام ١٩٨٥م أن كمية يوديد الفضة (Silver iodide) الموجودة فى عينات الثلج تزيد بعشرة أضعاف على كمية أوكسيد الأنديوم (Indiume oxide)، مما يعنى أن يوديد الفضة قام بدور أساسى فى تصنيع الثلج يفوق الدور الذى قام به أوكسيد الأنديوم بكثير.

وبعد ذلك قام ويليام وودلى (فيزيائى بولاية تكساس) باستخدام برنامج كمبيوتر متطور لتحليل صور رادارية للسحب، ليثبت بالدليل القاطع أن بذر السحابة بيوديد الفضة تجعلها تمطر. وقد استخدم وودلى الرادار الأرضى لتتبع السحب المزروعة والسحب غير المزروعة، فوجد أن الأجسام الأكثر كثافة تعطى أصداء رادارية أقوى، كما اكتشف أن السحب المزروعة تمتزج بسرعة أكبر وتنتج أكثر من ضعف كمية المطر التى تولدها السحب غير المزروعة.

ومن الطريف أن هذه التجارب تؤدى إلى حدوث فيضانات أحيانا من شدة وكثرة المطر الهاطل خلالها، وقد حدث بالفعل فيضان محلى فى بلاك هيلز بولاية داكوتا الجنوبية فى عام ١٩٧٢م، نتيجة زرع سحابتين فى إحدى هذه التجارب، وارتفع مستوى المطر ٣٠ سم فوق سطح الأرض.. وهكذا، فإن (علم استزراع السحب) لايزال علما حديثا جدا، ويتطلب تقنيات مكلفة جدا، وخبرة علمية عالية جدا، ومثابرة واستمرارا وأملا فى تحقيق الآمال منه..

كان الناس (حتى القرن السابع عشر الميلادى يعتقدون بأن السحب عبارة عن هواء بارد سميك، إلى أن ظهر (ديكارت) وقال بأن الهواء وبخار الماء شيئان مختلفان، ولكن القرآن العظيم منذ نزل (فى القرن السابع الميلادى فرق بين الرياح والسحب وبين الدور الذى تقوم به الرياح فى تكوين السحب وإنزال المطر والبرد منها.. وكلما اكتشف العلماء حقيقة علمية أو توصلوا إلى معرفة أسرار حدث كونى أو أمر طبيعى، ثم طالعنا آيات القرآن العظيم، وجدناها قد أشارت إليه، أو ذكرته، أو شرحته، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة. وهكذا يظهر القرآن العظيم على غيره مما يحاول الحاقدون أن يتشبثوا به، وهكذا يظل هذا الكتاب المجيد متجددا ومستمر العطاء ودائم الإبهار لجميع الدارسين له.

ومنذ مدة لا تزيد على ٢٠٠ سنة فقط قام (لوك هوارد) بوضع تقسيم للسحب، لايزال يعمل به المتخصصون إلى الآن، وذلك حسب الشكل والسمك والارتفاع، ويتضمن ثلاثة أنواع: السحب العالية، والسحب المتوسطة، والسحب المنخفضة.

١ ـ أما السحب العالية فيتراوح ارتفاعها بين ٨ ـ ١٤ كيلو متر، حيث الجو شديد البرودة ويسمى السحاب الموجود على هذه الارتفاعات (سمحاق) وتقابله اللفظة الأجنبية (سيرس Cirrus) أى: ريشية الشكل كذيول الخيل. ويظهر السحاب فى السماء كالشعر الأبيض فى مساحات واسعة، ويظهر مع الشمس فى شكل هالة، ويتألف من بللورات ثلج صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، ولونه أبيض نهارا، وردى صباحا وعند الغسق (Dusk)، ويعقبه حدوث تقلبات جوية وأعاصير، ومنه: سمحاق طبقى، وسمحاق ركامى.

٢ ـ وأما السحب المتوسطة، فيتراوح ارتفاعها بين ٢ ـ ٥ كيلومترات، وتسمى (السحب الركامية) وهى تقابل اللفظة الأجنبية (كيوميولس Cumulus)، ويبدأ تكون هذه السحب فى فترة الضحى أو قبيل العصر، ويزداد نموها رأسيا مع اقتراب المساء، وترتفع حتى

يصل سمكها إلى ٥ كيلو مترات، ويصحب هذه السحب حدوث عواصف واضطرابات جوية كالرعد والبرق، وخصوصا مع بداية هطول المطر منها، وقد يصحب هذا المطر سقوط (برد).. وتتنوع السحب الركامية إلى: سحب بيضاء، وسحب ممطرة، وغيرهما.

ويتألف السحاب الركامى من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض هى:

أ ـ منطقة عليا، وتحتوى بللورات ثلجية ناصعة البياض.

ب ـ منطقة وسطى، وتحتوى خليطا من نقط الماء زائد البرودة، وبللورات الثلج المتساقطة من أعلى (إلى الجاذبية Gravity).

جـ ـ منطقة سفلى، وتحتوى نقطا من الماء أو بللورات من الثلج على أهبة الاستعداد للسقوط إلى الأرض ولونها معتم غير منفذ للضوء.

٣ ـ وأما السحب المنخفضة، فلا يزيد ارتفاعها على ٦٠٠ متر فوق سطح الأرض، وتسمى (السحب الطبقية) أو (السحب البساطية)، وتقابل بالأجنبية (Staratiforn clouds). تتكون هذه السحب فى الجو المستقر، ولا يصاحبها حدوث عواصف رعدية، أو سقوط برد، ولذلك يرحب بها الناس عادة.

والسحب الممطرة (المزن) فى جو الأرض قليلة إذا قوبلت بالسحب غير الممطرة، وهى كثيفة قاتمة، وليس لها شكل معين، وحوافها مهلهلة، وينهمر منها المطر أو الثلج بصفة مستمرة. والسحاب الثقال ذكره القرآن العظيم بقول الله تعالى: **﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال﴾** الرعد: آية ١٢، وبقوله تعالى: **﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾** الأعراف: آية ٥٧، وهذا السحاب الثقال نمط من السحب، يرتفع إلى ٢٠ كيلو مترا عن سطح الأرض، ويصل قطره إلى ٤٠٠ كيلو مترا، وحمولته ٥٠٠ طن من الماء، ومحتواه الحرارى ما يكفى لسد حاجيات دولة كبرى كالولايات المتحدة من الكهرباء لثلث ساعة تقريبا.

ويسقط المطر على سطح الأرض وسطح البحار والمحيطات، فيعيد ما سبق أن أخذته الرياح منهما، من ماء وطاقة حرارية، تم امتصاصهما بالتبخير إلى طبقات الجو العليا، ثم يمتص الماء والطاقة الحرارية مرة أخرى، ثم يعيدهما المطر مرة أخرى، وهكذا فى دورة مستمرة، عبر عنها القرآن الكريم بقول الله تعالى: **﴿والسماء ذات الرجع﴾** الطارق: آية ١١.

وفيما يلى نعرض لأربعة نصوص قرآنية شرحت بالتفصيل جوانب مهمة من السحب والمطر، وقد أشرنا إلى بعضها إشارات سريعة فيما مضى:

١ ـ **﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾** النور: آية ٤٣.

٢ ـ **﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾** الروم: آية ٤٨.

٣ ـ **﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون* لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾** الواقعة: الآيات ٦٨ ـ ٧٠.

٤ ـ **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض**

لآيات لقوم يعقلون﴾ البقرة: آية ١٦٤.

يوضح النص الأول أن الله سبحانه يزجى (أى: يسوق) قطع السحاب برفق نحو بعضها البعض ثم «يؤلف بينه» أى: يتم التجاذب فيما بينها نظرا لاختلاف شحناتها الكهربية. وهكذا فإن الفعل «يؤلف» يشير إلى التجاذب الكهربى بين السحب المختلفة الشحنة فيؤدى هذا إلى تكوين السحابة الركامية. وأما كيف تتراكم الشحنات المتشابهة مع بعضها البعض فى مكان واحد، فغير معلوم على وجه الدقة حتى الآن، فقد تكون السحابة الركامية مثلا موجبة الشحنة عند القمة، ثم سالبة الشحنة فى وسطه، ثم موجبة الشحنة عند قاعدتها، ثم تولد هذه الشحنة شحنة أخرى سالبة تحتها.. وبذلك فإن الفعل «يؤلف» المذكور فى الآية القرآنية يفيد التأليف بين السحاب ـ ضمن إفاداته الأخرى ـ من حيث الشحنات الكهربية، أى: تجميع الشحنات المتشابهة والمختلفة داخل السحابة الركامية الواحدة. والجملة القرآنية «ثم يجعله ركاما» تعنى أن الله يهيئ الظروف لتراكم قطع السحب فوق بعضها البعض، فتصبح (ركاما)، ويشبه ذلك الجبال، ولذلك جاء فى نفس الآية القرآنية قول الله سبحانه: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾، فالسحب الركامية ضخمة وعالية ومتراكبة، أى: متركمات فى أحجام الجبال. ومعنى ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾، أى: المطر ذو القطرات الكبيرة الحجم تهبط من الفتوق التى تحدث بالتراكم من هذه الجبال، أى: الجبال السحبية، وأما (البرد) الذى جاء ذكره فى قول الله تعالى: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾، فقد تكلمنا عن نشأته، والآن علينا أن نعلم بآثاره المدمرة، إذ يسقط فى شكل حبيبات ثلجية كروية، تتكون من طبقات شفافة ومعتمة، تشبه البصلة، ويصل وزن الواحدة (واحد وثلث رطل) وقد حدث أن سقط البرد فى نبراسكا فى يوليو ١٩٢٨، وسقط فى كانساس فى سبتمبر ١٩٧٠م، وكانت حبات البرد حين تسقط تسبب خسائر اقتصادية خطيرة أحيانا، فلقد خسرت الولايات المتحدة فى فترة من الفترات ما قيمته ٣٠٠ مليون دولار بسبب سقوط البرد على البلاد.

وهكذا يتبين من هذه الجزئية ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ كيف سبق القرآن العظيم العلم الحديث بإشارته إلى أن السحاب الركامى هو النوع الوحيد من السحب الذى ينزل منه (البرد).

أما الجزئية التى أعقبت تلك الجزئية فى نفس النص القرآنى الكريم، ﴿يصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء﴾، تفيد بأن الله يصيب بالبرد أناسا، ويقى آخرين منه، أى أن تأثيره محلى وليس عالميا، بل وقد يكون فى البلد الواحد حقل يسقط عليه البرد وحقل آخر لا يسقط عليه، ومن نافلة القول إن التنبؤ بموعد سقوط البرد أمر غير متاح بدقة حتى الآن.

وأما الجزئية الأخيرة فى هذا النص الكريم، فتتحدث عن (البرق)، وهو حدث فيزيائى ينشأ كشرارة فى الجو نتيجة التفريغ الكهربى السريع بين سحابتين مشحونتين مختلفتين، فإذا تم هذا التفريغ بين سحابة وبين جسم موجود على سطح الأرض (كجبل، أو شجرة، مثلا) سمى الناتج عن هذا التماس (صاعقة)، وعند حدوث التفريغ الكهربى يرتفع فرق الجهد لدرجة تجعل الهواء موصلا للكهرباء، لأن ذراته قد تأينت، فتمر الشرارة ويحدث البرق فى زمن قليل قد لا يتعدى جزءا من الثانية.

ويصاحب (الرعد) (البرق)، وذلك لأن درجة حرارة شرارة البرق تصل إلى أكثر من ١٠٠٠ درجة مئوية، فيسخن الهواء ويتمدد وتحدث الفرقعة المدوية. وإذا نظر إنسان فى وجه البرق الشديد الضياء فإنه لابد وأن يصاب بالعمى المؤقت، لذلك

قال الله فى نفس الآية القرآنية ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾.

ويشير النص القرآنى الثانى إلى تكوين السحب البساطية، وكيف أنها تكون (كسفا) أى: طبقة رقيقة فوق طبقة رقيقة، أى: كتلة أفقية تنمو دائما أفقيا وليست رأسيا (كما هو الحال فى السحب الركامية).

وأما النص الثالث فيشير إلى السحب الممطرة باللفظ (المزن)، وكيف أن الله أنزل الماء الصالح للشرب (للمخلوقات الحية) من هذه السحب الممطرة، وأنه قادر على جعله ملحا أجاجا بدل أن جعله عذبا فراتا.

ونصل سريعا إلى النص القرآنى الأخير، وهو كبير جامع شامل للعديد من الأمور الكونية والأحداث الطبيعية، ثم يختم المولى عز وجل هذا النص بإظهار الحكمة من إيراده وهى أن الله خلق وصنع وقدر وأحكم كل الظواهر والأشياء لكى يتفكر الإنسان فيها ويتدبر عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

ونمر مع هذا النص الكريم سريعا لنفهم بعض ما ورد فيه:

١ ـ ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾، أى: فى إبداعهما وإبداع الدقة والإحكام فيهما. والسموات والأرض هما الكون كله ـ عموما ـ بما فيه من أجرام فلكية، وليس المدلول اللفظى للكلمات فقط، وذكرهما يدل أيضا على ما بينهما من مخلوقات.

٢ ـ ﴿واختلاف الليل والنهار﴾، أى: حدوثهما وتعاقبهما وعدم تساوى مدتيهما يوميا. ويدل هذا ضمنا على دوران الأرض حول محورها أمام الشمس. ولاشك أن طول كل منهما يختلف فى المكان الواحد من فصل إلى آخر، كما يختلف طول كل منهما فى الفصل الواحد حسب خط عرض المكان.

٣ ـ ﴿والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾، وفى هذا إنعام من الله على الإنسان، أن خلق لخدمته ظاهرة الطفو على سطح الماء، ليركب الإنسان السفن، ويتنقل هنا وهناك، ويدير حركة التجارة البحرية وغير ذلك من شئون الحياة.

٤ ـ ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾، هو المطر، والمطر هو المصدر الأساسى لماء الأرض، وهو ـ فى الأحوال الطبيعية العادية ـ عذب فرات صالح للشرب.

٥ ـ ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾، وإحياء التربة هو إنباتها للنبات، فيظهر لها رونق وجمال ونضرة، وتدب الحياة فيها وعليها.

٦ ـ ﴿وبث فيها من كل دابة﴾، لفظة «بث» تعنى فرَّق ونشر ووزع، والدابة هى كل ما يدب على الأرض، وأغلب استعمالها فى اللغة لحيوانات الركوب والأحمال..

٧ ـ ﴿وتصريف الرياح﴾، يعنى توجيهها وتسييرها وتوزيعها بقدرة الله، وقد شرحنا هذا فى موضع سابق من مقالنا.

٨ ـ ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾، أى: السحب التى تسير وفق إرادة الله، فهى مسخرة فى نشأتها وفى حركتها وفى وجهتها تبعا لإرادة الله، إذ لو بقى السحاب معلقا فى الهواء لكثر وتعاظم وزادت أحجامه واتسعت مساحاته وحجب ضوء الشمس عن المخلوقات، وفى هذا ضرر شديد. وإذا تكاثر السحاب ودام لاستمر هطول الأمطار وغرقت الأرض، وفى هذا أيضا ضرر شديد.. لكن الله يسوق الرياح فتحرك السحاب وتقوده إلى حيث يشاء الله، وينزل منه المطر فى الوقت والمكان اللذين تحددهما المشيئة الإلهية.

وفى الختام يأتى قول الله تعالى: ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾، ليكون النهاية التى أرادها الله من إيراد كل هذه الأعمال والظواهر والإنعامات التى أنعم بهاعلى البصر، وهى الأعمال والظواهر والموجودات التى لم تكن موجودة من قبل، فدلت على وجود الخالق القادر، وهى حين توجد أو تحدث تكون فى أكمل صورة وعلى أدق وجه، فدلت بذلك على حكمة الله وإرادته ووحدانيته، سبحانه وتعالى.

نور البصيرة

شعر الدكتور/ عبدالحميد إبراهيم بركات أبو سعدة

نور البصيرة هدى الله والأمل ... وكل عبد له حل ومرتحل
يا نفس توبى عن العصيان فى ندم ... واستغفرى الله حتى ينتهى الأجل
أدعوك يا خالقى سرا وفى علن ... أن تنصر الحق والأرحام تتصل
مازال للظلم قلب نابض أبدا ... يحيا على الحقد دوما وهو منشغل
إن شئت فاسلك طريق الخير فى سعة ... وكن عزيزا بتقوى الله يارجل
من يعرف الحق لا يرضى به بدلا ... بل يبتغى الخير لا ضيق ولا ملل
إنى إلى الخير أسعى لا أجانبه ... فالشر يسعى إليه الخاسر الهمل
إنى إلى الله أسعى راجيا فرجا ... حتى يعم التقى أو تنتهى العلل
قلبى مع الله فى ذكر وفى رغب ... رب البرايا إليه الوجه والعمل
العقل والسمع والإحساس فى ألم ... إذا تمادى عدوى وانمحى الخجل
قل لى بربك ماذا يبتغى شرسٌ؟ ... يحارب الأهل قطعا إن همو وصلوا
يخادع الله فى لؤم وفى سفهٍ!! ... وينقض العهد فى غدر ويقتتل
إنا بلينا بأخلاط محاربةٍ ... للشر تسعى وللشيطان تمتثل
أخزاهم الله إذ أعمى بصائرهم ... فى المشرقين وإذ ضلوا وما عدلوا
والله جاهى وحسبى فى مواجهةٍ ... مع العدو إذا ما ضاقت السبل
والله فى عوننا دوما وناصرنا ... عند التأسى بما جاءت به الرسل
جحافل البغى قد عاثت بمفسدة ... والأرض من ظلمهم تحمى وتشتعلُ
الناهبون لحق ظاهر طمعا ... والغاصبون دواما بئس ما عملوا
الله ربى وعونى دائما أبدا ... نعم النصير فلا يأس ولا مللُ
نعم المعين لنا مادام منهجنا ... أن يصدق الحق والإيمان والعملُ

سيف الدين قطز..

كمال عبدالوهاب

تدور الأيام متتابعة مسرعة.. ماضية مولية، فتصنع مع غيرها من الأحداث والتجارب والبشر «تاريخا»، يمتلئ - بطبيعته التراكمية - ويزخر بألوان من الدروس والعظات والعبر!

لذلك، فإن «العودة» إلى التاريخ - قراءة وتحليلا وفهما - تعدّ مطلبا عربيا وإسلاميا.. واستجابة وطنية وقومية!.. فما «تستمده» أمة بأسرها من هذه الزيارة التاريخية و«تسترده» يمثل زادا معنويا جبارا:

- تستمد من معين أمجادها «عزما» يشدّ أزرها للخروج من مأزق واقع راهن!

- وتسترد من رصيد انتصاراتها «ثقة بالنفس» تقويها على مواجهة أزمة موقف واهن!

إن الشعوب الحية هى التى تُقبل - فى شغف - على قراءة التاريخ وتتلهف، ليس من قبيل الرجوع إلى الماضى حنينا، أو تسلية فى الحاضر فراغا.. فتلك الشعوب ليس لديها من وقت تهدره فى اجترار الذكريات، فضلا عن كونها أداة تعزف عن اللهو وتبديد الطاقات!

إن سمة هذه الشعوب الواعية هى إدراكها لقيمة «التاريخ» وضرورة الالتفات إليه. ومن هنا، فإنها تُقلّب صفحاته، وتتأمل سطوره، بل وتدقق النظر أكثر فى مفردات حوادثه.. لشخصيات بذاتها ووقائع بعينها، لهما عند الفاحص معانٍ ذات إشارات ودلالات!

إنها أممٌ تقف مأخوذة بأبطالها العظام ومبهورة.. وتسترجع مشاهد معاركها الكبرى وصورها مشدودة ومشدوهة، متمثلة - فى الوقت نفسه - ما آلت إليه مجريات أمورها.. وتداعيات أحوالها!

إن قيمة «التاريخ» تكمن فى أهميته للحاضر والمستقبل معا!

إنا نعيش حكاية لو صاغها
التاريخُ عن أيامنا لا تفهمُ
ماذا يقولُ إذا انطوت صفحاتنا
وتتابعت أجيالُنا تَستَفْهِمُ؟
أيقولُ: كنا نستسيغُ حياتنا
والعيشُ فى فمنا هنالك علقمُ؟
أيقولُ: كنا لا نُحرِّكُ ساكنا
والحقُ فى يدنا يُسامُ ويُهْضَمُ؟
أيقولُ: كنا فى الحشود كثيرة
وأمام أجْبَنِ كُلِّ خَلْقٍ نُهزَمُ؟(١)

والآن.. عزيزى القارئ - نفتح معا صفحة من صفحات تاريخنا الإسلامى العظيم، خُطّت سطورها بحروف من نور وضياء ودماء، علينا أن نقرأها - بعناية - كل كلمة، ونقف - فى إجلال - أمام معانى البطولة فيها ومواقف الفداء، فما أحوجنا اليوم إليها نصرة لدين الله ورسوله ﷺ، ولتظل راية الإسلام خفاقة أبدا.

• من هو الفارس العربى المقدام؟

ولد سيف الدين قطز فى البيت الملكى ببلاد خوارزم (شمال إيران)، وتروى المصادر التاريخية أن اسمه الأصلى «محمود بن

فارسٌ من زمن الفوارس!

مودود» وأنه ينتسب إلى بيت جلال الدين سلطان خوارزم الذى قضى التتار على مملكته، ويقال: إنه ابن أخت هذا السلطان، ولما قضى المغول على هذه الأسرة كان «قطز»(٢) من بين الأطفال الذين حملهم التتار إلى دمشق وباعوهم إلى تجار الرقيق، ثم باعه التجار إلى سلطان مصر الملك الصالح أيوب.

وبعد زوال الدولة الأيوبية قامت الدولة المملوكية عام ١٢٥٠م، وكان السلطان سيف الدين قطز من أشهر سلاطين هذه الدولة، وقد تولى «قطز» السلطة عام ١٢٥٩م، بعد خلع السلطان المملوكى الصغير «نور الدين على» بن «عز الدين أيبك».

وصف المؤرخون السلطان سيف الدين قطز بأنه كان: «.... **بطلا شجاعا مقداما حازما، حسن التدبير، يرجع إلى دين وإسلام وخير، وله اليد البيضاء فى جهاد المغول....**».

• ومن هم المغول (التتار)؟

المغول هم قبائل غير متحضرة سكنت وسط آسيا، وكانت لا تعرف الأديان السماوية. وقد برعت فى فنون القتال والحرب، حيث توحدت زعامة «جنكيز خان»، الذى نجح فى تكوين دولة مغولية قوية.

• زحف المغول على العالم الإسلامى(٣)

شهدت سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م حدثا زلزل أركان العالم الإسلامى، إذ نتجت عنه تغيرات كبرى فى موازين القوى فى المنطقة العربية. ففى أول صفر من تلك السنة أمر هولاكو بالهجوم الشامل على بغداد، وفى اليوم الرابع من الهجوم سلّم الخليفة العباسى المستعصم بالله نفسه وعاصمته دون شروط.. وبعد التسليم بعشرة أيام قُتل الخليفة، وأعمل التتار سيوفهم فى المسلمين. ويحكى المؤرخون أن دماء الضحايا كانت تجرى فى طرقات المدينة التى كان اسمها يوما مرادفا للحضارة والعلم والمعرفة والفن الراقى. وظلت بغداد الجريحة نهبا لكل الرغبات الوحشية والتدميرية على مدى أربعين يوما، صارت بعدها أطلالا تشهد على عنف هذه الجموع الظالمة. وخرّب التتار الجوامع والمشاهد وأحرقوا مبانى بغداد الجميلة، ودمروا مكتبتها الثرية، بل وألقوا كتب مكتبتها فى نهر الفرات لتعبر عليها الخيل إلى الضفة الأخرى، وبذلك قضوا على الكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية فى بغداد.. وكانت تلك هى المرة الأولى التى تقع الخلافة العباسية أسيرة لغير المسلمين(٤).

كان وقع الصدمة أليما فى نفوس المسلمين الذين وجدوا أنفسهم بدون خليفة للمرة الولى فى تاريخهم. وعبّر المعاصرون عن مدى فداحة الصدمة حين ذكروا أنه خيّل للمسلمين: «.... أن العالم على وشك الانحلال، وأن الساعة آتية عن قريب..».

وصل الزحف التتارى إلى أطراف بلاد الشام. وفى تلك الأثناء كان أمراء الأيوبيين فى الشام فريسة للعجز والذعر. وسارع الناصر يوسف حاكم دمشق وحلب بإرسال ابنه فى سفارة ودية إلى هولاكو معلنا خضوعه مصحوبا بالهدايا والتحف الفاخرة دليلا على هذا الخضوع. وفى الوقت نفسه طلب مساعدة هولاكو فى استرداد مصر من أيدى المماليك. أما هولاكو فقد أغضبته السفارة التى اعتبرها غير لائقة بمقامه، وطلب من الناصر يوسف الخضوع دونما قيد أو شرط.

استنجد الناصر يوسف بالمماليك، ووعده قطز (الذى كان قد اعتلى عرش السلطنة آنذاك) بالمساعدة، وفى شهر صفر ٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م استولى هولاكو على حلب بعد سبعة أيام من الهول والتخريب وسفك الدماء(٥). أما الناصر يوسف فقد خرج من دمشق ومعه عدد من المماليك البحرية، وسار الناصر صوب الحدود المصرية حتى غزة أملا أن تصله النجدة فى وقت مناسب. وفى تلك الأثناء سقطت دمشق فى أيدى المغول فى شهر ربيع الأول ٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م.

• حال العالم الإسلامى فى ضوء الظروف السياسية التى أحاطت ـ آنذاك ـ بنشأة سيف الدين قطز

بينما كانت الأحداث العنيفة تلهب المشهد فى المنطقة العربية مات «منكو خان» الخان الأعظم، وكان لابد لهولاكو من العودة إلى بلاده للمشاركة فى انتخابات الخان الأعظم الجديد، وتولى قيادة جيوشه التى تركها فى بلاد الشام قائد تترى مسيحى هو «كتبغانُوين».

على الجانب الآخر، كانت قوات الناصر يوسف الأيوبى المعسكرة عند غزة قد آثرت الانضمام إلى الجيش المصرى بقيادة سيف الدين قطز، السلطان المملوكى، وهرب الناصر فى قلة أتباعه بحثا عن ملجأ يحميه بعد أن خسر جيشه وعرشه.

فى تلك الأثناء، كان الهيكل السياسى لدولة سلاطين المماليك مايزال فى طور التكوين، إذ لم يكن هناك نظام مستقر لولاية العرش، كما أن المؤسسات كانت ماتزال هى مؤسسات الأيوبيين، وكانت القوة العسكرية والدهاء السبيل الوحيد للوصول إلى عرش تفوح منه رائحة الدم. فقد مات المعز أيبك مقتولا، وتبعته زوجته وقاتلته شجرة الدر. وعلى العرش كان الصبى الملقب بـ«المنصور على» تحت وصاية قطز الذى كان هو الحاكم الفعلى للبلاد. وهكذا كان الوضع السياسى يتسم بقدر من السيولة وعدم الاستقرار.

• سيف الدين قطز يتهيأ لدوره التاريخى

عندما استولى التتار على حلب ودمشق وأنطاكية، ولاح خطرهم قريبا من مصر، استغل قطز الفرصة، وخلع السلطان الصبى وتولى عرش البلاد منفردا تحت اسم السلطان «سيف الدين قطز».. والحقيقة أن هذا السلطان تولى حكم البلاد فى ظروف غاية فى الحرج والدقة. وما كادت مراسم تنصيبه على العرش تنتهى، حتى كانت رسل هولاكو قد وصلت إلى القاهرة، ومعهم رسالة تفيض وقاحة واستعلاء وتهديدا من هولاكو!

رفض قطز تهديدات هولاكو، وقتل رسله الأربعة، وعلق رؤوسهم جميعا على باب زويلة، وقرر الاستعداد لقتال التتار، حيث أخذ يحشد الحشود، ويفرض الضرائب استعدادا للحرب.

• معركة عين جالوت

عندما اكتملت استعدادات الجيش، خرج قطز على رأس قواته لملاقاة التتار، وانضمت إليهم أعداد كبيرة من المصريين المتطوعين، سار قطز بجيشه بمحازاة ساحل البحر المتوسط باتجاه عكا، وهدد الصليبيين إن بدرت منهم أية بادرة شر. استرعى انتباه قطز أن التخوف الرهيب من التتار كان سببا فى تخاذل بعض أمراء المماليك الذين رأوا أنه لا فائدة من محاربة التتار وأرادوا النكوص. إلا أن السلطان سيف الدين قطز صاح فيهم: **«ياأمراء المسلمين لكم زمان تأكلون من بيت مال المسلمين وأنتم للغزاة كارهون.. أنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبنى، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين»**.

فى يوليو ١٢٦٠م كان الجيش المصرى فى طريقه بالفعل لقتال التتار، وكان الأمير بيبرس على رأس فرقة من الجيش لاستطلاع أخبار العدو. واصل قطز سيره بالجيش الرئيسى الذى انضم إلى القوة الاستطلاعية عند عين جالوت(٦)

على أرض فلسطين. تدفق التتار أيضا إلى ذلك الميدان، وفى صباح يوم الجمعة ٢٦ من رمضان ٦٥٨هـ ـ ٣ سبتمبر ١٢٦٠م دارت المعركة الرهيبة واحتدمت حيث هجمت ميمنة التتار على ميسرة المسلمين، فتقدم أمير الجيش الإسلامى سيف الدين قطز وألقى بخوذته على الأرض أمام الأمراء، وصاح بأعلى صوته: «واإسلاماه».. واندفع نحو التتار يقاتل ببسالة، ومن ورائه انقض جنود المسلمين على التتار فأفنوهم، وقُتل قائد التتار كتبغانوين فى ميدان المعركة وأسر ابنه.

• الخطر التترى.. والخطر الصليبى!

ربما يكون من المناسب هنا أن نشير إلى أننا نرى أن الخطر التترى على العالم الإسلامى لم يكن بمثل فداحة الخطر الصليبى. حقيقة أن التتر قد زلزلوا أركان هذا العالم بعنفهم المدمر، ولكنهم لم يلبثوا أن ذابوا فى خضم الحضارة العربية الإسلامية، بل صاروا فيما بعد من المساهمين فى بنائها والحفاظ عليها عندما اعتنقوا الإسلام. وكان كل خطرهم كامنا فى تفوقهم العسكرى الذى جعلهم يطوون البلاد بسرعة لافتة. أما الصليبيون فكانوا أصحاب مشروع لا يتحقق سوى بالقضاء على الوجود الحضارى للمسلمين: عربا وغير عرب. ولم يكن العنف المدمر ينقصهم أيضا وكان الصراع صراعا بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوروبية الكاثوليكية. ولم يحدث من قبل أو من بعد أن توحدت أوروبا فى مشروع واحد مثلما توحدت تحت راية المشروع الصليبى. وكان الصراع صراع وجود على الأرض العربية، ولابد أن يسفر بقاء أحد الطرفين عن تدمير الطرف الآخر. وكان الصليبيون يتحركون بدافع من أيديولوجية عنصرية تنكر حق الوجود على الآخرين، فضلا عن تآمرهم لتفريغ المناطق السكانية بغرض تفريغ المناطق السكانية لتوطين عناصر بديلة غريبة على نحو ما تفعل الصهيونية الآن!!

وبعد، فقد كنا فى قلب «التاريخ الإسلامى» وعمقه، نسبح فى الماضى البعيد التليد، عشنا لحظات نشوة الأمجاد وزهو الانتصارات.. إلا أنها لم تنسنا واقعنا متعثرا، أو مستقبلا مجهولا.. بل على العكس، زادتنا هذه الإطلالة التاريخية استنفارا وتحفيزا: استنفارا أضاء عقولنا وعيا، وتحفيزا أشعل قلوبنا حماسة!

إن قيمة «التاريخ» تكمن فى أهميته للحاضر والمستقبل معا!، فهو ليس شعاعا يستدير إلى الأمس ـ فقط ـ لكى يعرف حكايته، وإنما شعاعٌ يُسلّط على اليوم الراهن ليسجل خَبَره ويوثّق روايته، كم يتجه إلى الغد ليستطلع غيبه، ويستكشف أفقه!

إنها وحدة الزمان وعبقريته فى حركة الأحداث المتدافعة الدائبة التى تربط الماضي، ممتدا فوق جسر الحاضر، واصلا إلى المستقبل.

هذى الحقيقة فى مرير مذاقها
لكنَّه مُرٌّ وفيه البلْسَمُ
من سار فى شَوْكِ الحقيقة يومَهُ
يبدو لدى غده الطريق الأقومُ
ولدى ظلام الليل رغم سواده
تبقى على الأفق السعيد الأنجمُ
وعلى الضِّياءِ نرى بقايا حُلْمنا
تُسْقَى من النجم المضىء وتُطْعَمُ
وتشدُّ عَزْمَ الصابرين لعله
يَبْقَى ويَصْمُد للصراعِ ويَعظمُ(٧)

الهوامش:

١ ، ٧ ـ من قصيدة للشاعر الإسلامى ـ محمد التهامى.

٢ ـ «قطز» يعنى الكلب الشرس.

٣ ـ الأيوبيون والمماليك.. التاريخ السياسى والعسكرى ـ د. قاسم عبده قاسم، د. على السيد على ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٦م.

٤ ـ عن سقوط الخلافة العباسية انظر: المقريزى، السلوك، جـ١ ص٤٠٩ ـ ٤١٠.

٥ ـ ابن أيبك، كنز الدرر، جـ٨، ص٥٦ ـ ٥٨؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ص٤٤٢ ـ ٤٢٣.

٦ ـ بلدة تقع إلى الشمال الغربى من مدينة بيسان بجوار عين ماء يطلق عليها الاسم نفسه. وقد ذكرها ابن شداد، فقالك عين جالوت قرية عامرة، بها عين جارية خيم فيها صلاح الدين.

مساجد لها تاريخ

مسجد السيدة سكينة

محمد كامل شاهين

تصوير: سيد الزفزاف

من منا لا يحب آل البيت ولا يحب زيارتهم.. تلك الزيارات التى تدخل الطمأنينة والسكينة إلى القلوب، فكثير منا تواق إلى معرفة المزيد عن آل البيت لما اتسموا به من سمات وسجايا غاية فى الجمال، وكانوا أمثلة يحتذى بها، والقليل منا من يقرأ عن آل البيت ويستخلص العبر من سيرهم العطرة الذين ما برحوا أن جعلوا جل همهم التقرب إلى الله عز وجل. فكانوا نبراسا لغيرهم يضيئون لهم الطريق، فطوبى لمن اهتدى بهديهم وسار على مسالكهم الرشيدة، وصدق رسولنا الكريم إذ يقول: «يحشر المرء مع من أحب».

فمصر حباها الله بمراقد آل البيت وإن دل ذلك على شىء إنما يدل على مكانتها وعظم شأنها، ومن هذه المراقد.. مرقد السيدة سكينة ـ رضى الله عنها ـ والذى يعد مسجدها تحفة معمارية رائعة.

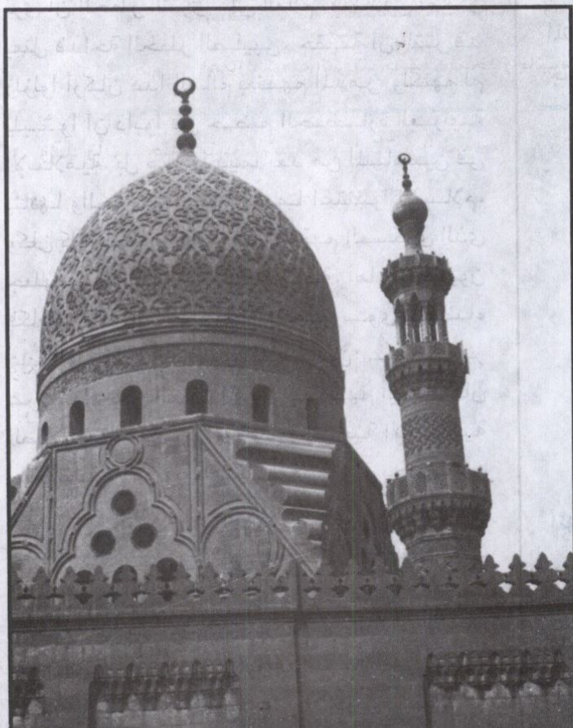

الواجهة الخلفية للمسجد

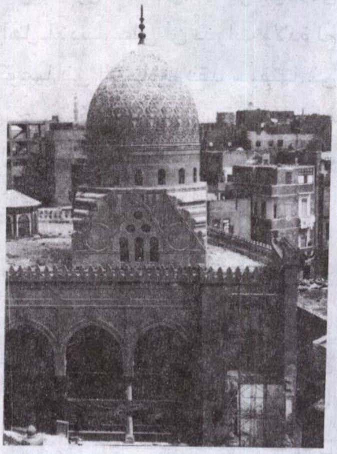

أعمال الترميم التى تتم بسقف المسجد وجانب من أعمال الترميم الداخلية للمسجد

وقد رأت مجلة «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء على مسجد السيدة سكينة حتى يتعرف القارئ على مكانتها العظيمة بين الناس.

السيدة سكينة: هى بنت الإمام الحسين - رضى الله عنهما - سميت آمنة تيمنا باسم أم النبى ﷺ، ولكن تغير اسمها إلى «سكينة» حيث اعتادت أمها الرباب أن تناديها به لأسباب منها:

أن هذه الفتاة الصغيرة اتصفت دون بقية أخوتها بسمات خاصة كهدوء النفس، طيبة القلب، وطول الاستغراق فى الله سبحانه وتعالى مما جعل نفوس آل البيت تهفو إليها وتسكن وترتاح إلى أدبها وذكائها ولعل هذا المعنى يترجمه شعر أبيها الإمام الحسين رضي الله عنه.

لعمرى إننى لأحب دارا

تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل كل مالى

وليس لعاتب عندى عتاب

تقواها: كانت شديدة التقوى والورع فقد نشأت فى مهاد العلم والفضل والحسب والنسب.. فجدها لأبيها هو الإمام على - كرم الله وجهه - وأبوها الإمام الحسين وعمها الإمام الحسن سيدا شباب أهل الجنة، وكان من الطبيعى أن تكون شديدة التمسك بدينها، عابدة قانتة حافظة لدينها، حيث كانت تصل فى تعبدها إلى درجة الاستغراق التام والانصراف عمن حولها.

تذوقها للأدب والشعر:

كانت مهتمة بالأدب والشعر ولعل هذه السمة اكتسبتها من البيئة المحيطة بها عامة فهى ابنة الإمام الحسين وحفيدة الإمام على رضي الله عنه وما كانا عليه كل منهما من بلاغة فى القول والأدب، وكان مجلس السيدة سكينة - رضى الله عنها - عامرا بالأدب، فقد أشارت د. سعاد ماهر فى كتابها «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - الجزء الأول» قائلة: «إذا كان الغرب يفتخر بندوات نسائه العلمية والأدبية فى القرن الثامن عشر، فإن للعرب أن يتباهوا بندوات نسائهم فى الأندلس التى

السيدة سكينة.. صاحبة أول ندوة أدبية فى الإسلام

سبقت الغرب بعدة قرون، فقد كانت ندوات ولادة بنت المستكفى فى القرن الحادى عشر الميلادى مجمع العلماء وأهل الأدب، على أن ندوات ولادة لم تكن الأولى من نوعها فى الإسلام، فقد سبقتها فى القرن الأول الهجرى ندوات نسائية فى المدينة المنورة، وكان أول من سنها هى السيدة سكينة بنت الإمام الحسين ثم تبعتها بعد ذلك غيرها من سيدات قريش».

ويؤكد هذا القول ما امتازت به ندوة السيدة سكينة من العلم الغزير والأدب الرفيع والشعر الرقيق، حيث تسجل الروايات أنه كثيرا ما اجتمع ببابها فحول الشعراء وفى مقدمتهم «جميل» و«كثير» و«جرير» و«الفرزدق» و«ابن أبى ربيعة» خصوصا فى موسم الحج من كل عام طالبين أن تأذن لهم بإنشاد أشعارهم من وراء حجاب، وتحدثنا الروايات من أن عددا من الشعراء اتفقوا فيما بينهم على حضور ندوة السيدة سكينة ليحتكموا إلى رأيها فيمن يكون أشعرهم وأنشد كل منهم شعره حتى جاء دور جميل فأنشد قائلا:

لكل حديث بينهن بشاشة

وكل قتيل بينهن شهيد

يقولون جاهد يا جميل بغزوة

وأى جهاد غيرهن أريد

وأفضل أيامى وأفضل مشهدى

إذ هيج بى يوما وهن قعود

وهنا قالت السيدة سكينة - رضى الله عنها - لجميل: أنت الذى جعل قتيلنا شهيد، وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تدافع عنا وتجاهد، ولم تتعد ذلك إلى قبيح.. أنت أشعر الموجودين(١).

وأسمعها الفرزدق شعرا قال فيه:

إن العيون التى فى طرفها حور

قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله إنسانا

اختلاف الروايات بشأن وجودها فى مصر

٧,٥ ملايين جنيه.. تكلفة ترميم وتطوير مسجد السيدة سكينة

اختلفت الروايات بشأن وجود رفاتها الطاهرة فى الضريح المقام بمسجدها الموجود فى حى الخليفة بالقاهرة، فالإمام الشعرانى يذكر فى طبقاته «أنه لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت عمتها السيدة سكينة - رضى الله عنها - المدفونة قريبا من دار الخلافة مقيمة بمصر ولها شهرة عظيمة ويؤيد هذا القول ابن زولاق قائلا: «إن أول من دخل مصر من ولد على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - السيدة سكينة - رضى الله عنها - وذلك أنها حملت إلى الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ليدخل بها».

ويقول النسابة العبيدى: «إن السيدة سكينة صحبت عمتها السيدة زينب بنت الإمام على - رضوان الله عليهم - فى خروجها إلى مصر حيث أدرك الخليفة يزيد بن معاوية خطر مقامها بالمدينة فأمر واليها أن يفرق بينها وبين الناس».

ولكن فى المقابل نجد بعض الروايات التى ترى أن رفات السيدة سكينة ـ رضى الله عنها ـ موجودة بالبقيع فى المدينة المنورة وتعلق على هذه الروايات الدكتورة بنت الشاطئ فى كتابها عن السيدة سكينة قائلة: «وإن صحت الروايات، فلعل السيدة سكينة قد عادت من مصر إلى الحجاز بعد وفاة عمتها السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ سنة ٦٢هـ».

ويقول صاحب كتاب الإبصار «لا عبرة بالاختلاف فى دفن بعض ـ آل البيت رضوان الله عليهم ـ الذين لهم بمصر مزارات.. فإن الأنوار التى على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأمكنة».

وأيا ما تكون هذه الروايات التى تؤيد وجود الرفات الطاهر لهذه السيدة الفاضلة بمصر فى المسجد الذى بناه خصيصا لها «عبدالرحمن كتخدا» سنة ١١٧٣هـ. كتب عليه اسمها، فإن الثابت الذى لم يختلف حوله المؤرخون والرواة قديمهم وحديثهم، أن هذه السيدة الطاهرة قد شرفت أرض مصر مرة أو مرتين على الأقل، وربما نزلت وأقامت فى هذا المكان المقام عليه ضريحها بمسجدها بالقاهرة وإلا فما معنى أن يقام لها دون غيرها من آل البيت هذا الضريح فى هذا المسجد فى قلب القاهرة لو لم تكن لها علاقة به سواء كانت هذه العلاقة قد تمت بالوفاة أو الزيارة؟!

قالوا عنها: قال عنها ابن خلكان: «إنها سيدة نساء عصرها وأحسنهن أخلاقا وأكثرهن تعبدا، وأرفعهن نسبا».

قال عنها الأصفهانى: «إن امرأة تُختار على السيدة سكينة لمنقطعة النظير».

المسجد من الخارج:

يقول المهندس سعيد كامل ـ مدير عام المشروعات بالجهاز التنفيذى لتجديد أحياء القاهرة الإسلامية والفاطمية ـ إن المسجد من الخارج يحتوى على مئذنة ارتفاعها ٣٧ مترا وقبته المبنية من الحجر على الطراز المملوكى، وقد بنى فى عهد الخديوى توفيق سنة ١٨٨٤م.

المسجد من الداخل:

ويشير المهندس سعيد كامل أن المسجد عبارة عن مسطح يقدر بحوالى ٥٠٠م وله ملحقات كمكتبة وغرف محيطة به، والضريح منفصل بمدخل خاص، وهذه الملحقات جميعها ضمت إلى المسجد ليصبح مساحته الإجمالية حوالى ١٢٠٠م.

ويوضح المهندس سعيد كامل إلى أن الجهاز التنفيذى لتجديد أحياء القاهرة الإسلامية والفاطمية يقوم بتطوير وترميم وتوسعة للمسجد تطويرا شاملا يتناسب مع مكانة السيدة سكينة ـ رضى الله عنها ـ حيث يتم نقل دورات المياه ـ المسطح الخلفى ـ وإظهار الساحة الخارجية للمسجد، وإنشاء ميضأة للسيدات وأخرى للرجال يعلوها مصلى للسيدات.

وتقدر تكاليف أعمال الترميم والتطوير والتوسعة بحوالى ٧,٥ مليون جنيه، كما يشمل المشروع تطوير المحيط المباشر الذى يتمثل فى شارع الأشرف الذى يمتد من ميدان السيدة نفيسة إلى مسجد أحمد بن طولون.

أعمال الترميم

تشمل أعمال الترميم: ترميم الواجهات والمأذنة والقبة وترميم الشخشيخة وعزل الأسقف، وإظهار العناصر الجمالية فى المسجد، كما تشمل أعمال الترميم أيضا تجديد الأرضيات وعمل أسفال داخلية للمسجد مماثلة لأسفال مسجد الحسين والمسجد الزينبى بالإضافة إلى ترميم المحراب والمنبر ومعالجة الشروخ فى الحوائط وترميم الضريح وتطوير المداخل للمسجد ومعالجة التلفيات التى أدت لوجود الميضأة مدخل المسجد.

تلك هى السيدة سكينة ـ رضى الله عنها ـ خير مثال للمرأة العربية المسلمة المؤمنة المثقفة.. التى استطاعت أن تخلد اسمها على مر الزمن.

الهامش

١ ـ أعلام فى التاريخ الإسلامى فى مصر.. أفكار للتجديد ومواقف للحياة للأستاذ سامح كريم.

على هامش مؤتمر حوار الحضارات

مفاهيم غربية عن الإسلام (عرض وتقديم)*

أ. د. محمد محمد أبو ليلة

عقد مؤتمر الحوار بين الحضارات والثقافات فى العاصمة المجرية بودابست بقاعة أكاديمية العلوم بالمجر فى الفترة ما بين ١٩ـ ٢٠/٢/٢٠٠٤م، تحت رعاية رئيس الجمهورية، وذلك بالتنسيق بين رابطة الجالية العربية ورابطة المستشرقين بالمجر.

ومن البحوث المهمة فى هذا المؤتمر، بحث الدكتور ميكلوس ماروث، عن العلاقات الإسلامية المسيحية. وقد اشتمل هذا البحث على العديد من النقاط التى لا تتفق مع حقائق الإسلام، ولا تساعد كثيراً على التقارب الآمن بين الشعوب المتدينة.

وما قاله البروفيسور ميكلوس يتفق، مهما كان الاختلاف فى طرحه، مع ما يقال عن الإسلام فى الغرب ويتردد على ألسنة القلة المشايعة للرؤى الغربية فى بلاد المسلمين بشكل عام، والذى يمكن إجماله فى النقاط التالية:

❖ الإسلام ديانة إبراهيمية وُلدت من رحم اليهودية، إلا أنه انفصل عنها لأن محمداً لم يلتزم بتعاليمهما أو بتعاليم الشريعة اليهودية؛ أن بعض آباء الكنيسة يعتبرون أن الإسلام بدعة نصرانية خرج به محمد ﷺ عن الكنيسة وبنى دينا لنفسه.

* نحن لا نريد أن نجعل المسلمين مسيحيين، لأنهم لن يكونوا مسيحيين صالحين، ولكننا نريد أن يتفاهم بعضنا مع البعض الآخر؛ فإننا جميعا نتّبع ديانات توحيدية.

* إن المسيحية أكثر تسامحاً من الإسلام.

* الإسلام أقل تسامحاً من المسيحية، بدليل أنه لا توجد كلية للدراسات المسيحية فى البلدان الإسلامية، وهم لا يعترفون بالآخر.

* الإسلام لا يعرف الوسط، لأن أرسطو كان أول من قال إن الفضيلة وسط بين طرفين.

* نحن نعترف أن العرب نقلوا إلينا علوم الإغريق؛ وأن توما الإكوينى قد أفاد من علماء المسلمين، لكنه لم يعترف بذلك إلا بعد فترة طويلة وذلك نتيجة لظروف خاصة (لم يذكرها المحاضر)(١).

وقبل أن أعرض بالتفنيد لمزاعم البروفيسور ماروث، أود أن أذكر فى البداية أننى أعتمد فى ردى عليه على الترجمة الفورية لكلمته التى قد تكون صحيحة أو يكون بها بعض الأخطاء التى لا يُسأل هو عنها، وذلك لأننى لا أعرف اللغة المجرية التى تحدث بها إلى المؤتمر، وبالتالى فإننى أعطيه حق التصويب إذا أخطأت فى إسناد أى شىء إليه كان بخلاف ما قاله أو كان يريد أن يقول شيئا غيره؛ وإن كان حسى العلمى يعطى قوةً لما فهمته من كلمته عبر الوسيط اللغوى، هذا أولاً؛ وأما ثانياً فإننى أتوجه بالشكر إلى الأستاذ ماروث على اهتمامه بالإسلام وعلى مشاركته فى هذا المؤتمر البالغ الأهمية، والأول من نوعه فى المجر، وكذلك على تأسيسه معهد ابن سينا؛ هذا المعهد الذى يحمل اسم عالم فيلسوف مسلم حفظ القرآن فى صغره، وألَمّ بعلوم عصره حتى صار أكبر فلاسفة العالم، وأعظم أطبائه، وهو صاحب كتاب «القانون والشفا»، كما أنه يعد بلا شك أحد الجدائل القوية فى نسيج العلاقة الحضارية المتينة بين الإسلام والغرب.

أعرض بعد هذا لتفنيد بعض ما جاء على لسان ماروث البروفيسور المجرى حول مصدر القرآن والإسلام، وحول طبيعة الدعوة الإسلامية وعلاقتها بالأديان الأخرى. وسوف أرتب ردى على النقاط التى أثارها دون حاجة إلى إعادتها فى صدر الرد عليها.

* إن الإسلام دين إلهى مبنى على الوحى لا على كتب أو ديانات سابقة، ولا على خبرة إنسانية خاصة؛ وأتعجب أولا من إسناد

البروفيسور الإسلام إلى اليهودية دون تحفظ؛ وكأن الله تعالى لم يرسل غير الديانة اليهودية؛ وكأن الله تعالى ترك العالم بغير ديانة أو توحيد حتى جاءت اليهودية لتتزعم الديانات السماوية أو تلدها.

إن الله تعالى قد أرسل رسلاً كثيرين قبل ظهور اليهود فى التاريخ؛ والتوحيد هو أصل جميع الشرائع التى جاء بها الأنبياء جميعاً- عليهم السلام-، يقول تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ الشورى: ١٣، ويقول عن إبراهيم (إنه من شيعة نوح [إذ يقول: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ....**﴾ الصافات: ٨٣، فإبراهيم عليه السلام أخذ من الأنبياء الذين سبقوه، ولم يبتدع شيئاً من نفسه. وإبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانياً، ولم تنزل التوراة التى تعتمد عليها اليهودية على موسى عليه السلام إلا بعد إبراهيم (بأمد طويل. كما هو نص قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ آل عمران: ٦٧- ٦٨، وقوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ آل عمران: ٩٣: ٩٥.

ثم إننى لا أرتاح شخصياً لتعبير «الديانات الإبراهيمية»؛ فإبراهيم عليه السلام لم يأت بأديان، وإنما جاء بدين واحد، شأن من سبقه من الأنبياء، هو دين التوحيد، وعبادة الله الواحد، والتخلق بالقيم الفاضلة، وقد أعطاه الله تعالى «صحفاً» تحمل الوحى الذى جاء إليه من الله: ﴿**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ الأعلى: آية ١٩.

وهذا الوحى هو الذى أشار إليه إبراهيم فى دعوته لأبيه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (٤٥)**﴾ مريم ٤١: ٤٥، وفى قول الله: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ الأنعام: ٨٣، ومن ظاهر قول الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ البقرة: ٢٦٠.

إن إبراهيم كان يكلم ربه بطريقة مباشرة لا نعلم كنهها؛ إذن فلماذا نقول **«الديانات الإبراهيمية»** ونُحمّل إبراهيم تبعة اختلافاتنا، يكفى أن نُسمّى هذه الديانات بأسمائها.

وأسألكم أيها الحاضرون المحترمون، بعد أن سمعتم ما سمعتم، من أين أخذ محمد ﷺ ديانته، عمن نقلها؟ من اليهود أو النصارى؟ وكيف تم هذا النقل؟ ومتى؟

ولاعتقادى بأن كثيرين منكم لا يعرفون تفاصيل التاريخ الإسلامى، والسيرة النبوية!

فإننى أقول لكم باختصار شديد، إن محمداً ﷺ كان أمياً لم يذهب إلى مدرسة قط، بل إنه لم تكن هناك مدارس أو إرساليات أو مدرسون خصوصيون فى مكة وجاراتها أصلاً. وظل محمد ﷺ يعيش حياته الفاضلة الطاهرة بين أهل بلده وعشيرته لم تظهر عليه أية دعوى لتأسيس دين، أو أية رغبة فى الزعامة، أو حب للظهور، لا أعنى بهذا أنه كان شخصاً خاملاً مغموراً؛ كلاً فإن النفس الكريمة تأبى أن تنطق بهذا، كما أن العقل لا يجيزه البتة على أعظم شخصية عرفها العالم.

لقد كان هذا الرجل العظيم ملء سمع أهله الأقربين، وأهل بلده النابهين، وبصرهم، طفلاً وشاباً، وكان ﷺ حديث مجالسهم فى صدق لهجته، واستقامة طريقته، وطول صمته، وثقابة نظرته وفى أدبه وحكمته، لكن العرب لم يشاهدوه يوماً يدرس فى المسجد الحرام، أو يجمع الناس حوله، يعظهم ويذكرهم بالله حتى بلغ الأربعين، وقد فات سن الدعاوى، وانقضت المراحل التى يتطلع فيها الإنسان إلى المرتبة، أو الجاه، أو الشهرة، كما أن حياة

محمد ﷺ كانت قد استقرت بالزواج من خديجة، وتأسيس البيت الطاهر على تمام الرضا والمحبة بينهما.

لم يكن محمد ﷺ يعرف القراءة والكتابة، وكذلك كانت الأمة التى وُلد وعاش فيها. لم يكن فى مكة نصارى، اللهم إلا عدد قليل من الضعاف الذين كانوا يعملون خدماً أو يمتهنون الحرف البسيطة، كالحدادة أو النجارة، وما كان لأحد من هؤلاء أن يعلو له صوت، أو يظهر له أى تأثير فى هذه البيئة السيادية القائمة على العصبية القبلية.

لقد حاول أبرهة الحبشى النصرانى أن يدخل مكة ويهدم الكعبة فى محاولة سجلها القرآن الكريم فى سورة الفيل. لقد رفض العرب حتى أن يواجهوه، حتى ورد أن أبا طلب قد ترك البيت الحرام، وأمر الناس أن يخرجوا عن مكة، وطلب الإبل التى كانت له، واستولى عليها الجيش الغازى، فلما سُئل: أتطلب الإبل، وتترك البيت؟! قال: **«أما الإبل فهى لى، وأما البيت فله رب يحميه»** وفعلاً لم يوشك هذا الجيش أن يتقدم نحو الكعبة حتى بكَّته وحطمته مكة، ولَفَظَه البيتُ الحرام، حتى تركه كعصف مأكول. ولم يرد أن أحداً من هؤلاء الغزاة المعتدين قد تخلف، وبقى بمكة حتى يظن أحدٌ أنه هو الذى تعلّم منه محمدٌ ﷺ.

لم يرحل محمد ﷺ إلى بيئة نصرانية، إلا وهو طفل، ولم يرد عنه، وهو الصادق، أو عن أحد غيره أنه التقى بنصرانى للتعليم، أو قضى معه وقتاً يسمح ولو بتعلم القليل منه؛ وإذا كان ذلك الشىء قد حدث، على استحالة ذلك، فكيف ظل محمدٌ ﷺ تلك السنوات العديدة لم يظهر عليه أى أمارات تدل على تأثره بأى من اليهود أو النصارى أو الأخذ عته.

ونتساءل، لماذا لم يُذكر له أستاذٌ، وهو الرجل الذى تعلم منه الناس الإنصاف، وإسناد الحق إلى أهله شرعة فى شريعته؟ ولماذا لم يُثِر أى اليهود أو النصارى فى عصره هذه الدعوى؟

كيف يمكن لمحمد ﷺ أن يطلع على ما عند اليهود والنصارى مرة أخرى، ولم تترجم كتبهم إلى اللغة العربية، إلا بعد قرون من وفاته ﷺ؟ بل إن هذه الكتب لم تكن فى أيدى جماهير أصحابها أنفسهم، إذ كانت التوراة على سبيل المثال مع حبر اليهود الأعظم لا يفتحها إلا فى المناسبات، ولا يقرأ منها غيره. أضف إلى ذلك أن عملية النسخ كانت معقدة، ومكلفة بما هو فوق الطاقة.

وهذا هو ورقة بن نوفل الذى ورد فى حديث بدء الوحى أنه كان يقرأ الكتب، ويقول بضع كلمات سجّلتْها له كتبُ السِّير والحديث، لا تدل بحال، لا علم ورقة الغزير بالنصرانية، ولا على تأثر محمد ﷺ به.

كما تفيدنا أحاديث بدء الوحى بأن النبىَّ ﷺ قد فوجئ بالوحى لدرجة أنه خشى على نفسه، مما يدل على عدم اطلاعه ﷺ على شىء من نبوءات السابقين أو خبرات المنتسبين إليهم. ولا يقل عن ذلك أهمية أن نعرف هناك فروقاً، واختلافات بين هذه الأديان الثلاثة، فكيف خالف فيها محمدٌ ﷺ أصحاب الديانتين الأخريين، بل كيف خالفت المسيحية اليهودية فى كثيرٍ من المسائل، بل وفى فهم النصوص المقدسة نفسها.

يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم يحتوى على أشياء مهمة وجوهرية فى الدين لا وجود لها فى اليهودية أو المسيحية، فمن أين جاء محمد ﷺ إذن بالقرآن؟!

وأضيف أن المسيحية لم تكن قراءة جديدة لليهودية كما ذكر المتحدث، وإنما كانت قفزة خارج إطار الديانة اليهودية، لأنها استحدثت لاهوتاً خاصاً بها وثقافة معادية لليهود أنفسهم حتى زمن قريب. بل إن هذه العداوة لا تزال كامنة تحت الرماد تظهر أو تختفى بحسب الظروف والأحوال.

* أما بالنسبة لدعوى أن الإسلام بدعة نصرانية؛ فهذا الكلام مردود، فإن الإسلام يختلف فى تركيبه وفى محتواه وأسلوبه عن الفكر الطائفى والمزاج البدعى.

وأبسط ما يقال فى تحديد طبيعة الإسلام أنه بتعاليمه يعتبر ديانة غنية ومتنوعة التعاليم، وواضحة المعالم ومتفوقة فى سعة تعاليمها ومرونتها.

ولم يُعرف أن محمدا ﷺ كان مسيحياً أو يهودياً، ثم خرج على هذه الديانة أو تلك، ولم يُسجل لمحمد ﷺ اسم، ولم ترد إليه إشارة قط فى التراث الهرطقى البدعى لأى من الديانتين؛ ولم يرد اسمه كذلك بين أسماء الفِرَق والجماعات المناهضة للمسيحيين حتى

يمكن القول بأن الدين الذى جاء به هو بدعة مسيحية.

لقد أساء البروفيسور ماروث إلى المسلمين عندما قال بأننا لا نرغب فى أن نجعلكم نصارى صالحين، لأننا لو حاولنا أن نفعل ذلك معكم فسوف تكونون مسيحيين سيئين. ونسأل أى نوع من البشر يمكن أن يكونوا مسيحيين صالحين إذا تحولوا إلى المسيحية؟ وهل كل المسيحيين- يا ترى- صالحون وأبرار.

وأما دعواه بأن الإسلام أقل تسامحاً من المسيحية؛ فإن آيات القرآن وأحاديث النبى ﷺ تُكذّب هذه الدعوى وتردّها. وإن المسيحية منذ أن تحررت من الاضطهاد الرومانى وملكت القوة لم تكن متسامحة حتى مع نفسها. فلقد كان النصارى يرتكبون أفظع أنواع التعصب ضد بعضهم البعض على عكس تعاليم السيد المسيح عليه السلام وأخلاقه السمحة التى بلغت فى التسامح أقصى النهايات، وإن من يدرس تاريخ الاضطهاد فى المسيحية الغربية يشيب رأسه من كثرة الفظائع والجرائم التى ارتُكبت باسم السيد المسيح عليه السلام وبدافع من الإيمان الأعمى والتعصب البغيض للتقاليد وليس للديانة.

إن تسامح الإسلام قد بلغ مثل تعاليم السيد المسيح عليه السلام أقصى نهايات التسامح، وذلك فى كل مجال من مجالات الحياة؛ فعلى سبيل المثال مجال الدين وحرية الاعتقاد يقول الله **﴿لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** البقرة: ٢٥٦، **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾** الكافرون: ٦ ، **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** الحج: ٧٨، **﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** يونس: ٩٩، **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى- هُدًى أَوْ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** سبأ: ٢٤ ،

وفى تحديد الموقف من غير المسلمين، وفى آداب التعامل معهم ومع غيرهم يقول تعالى: **﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾** الكهف: ٢٩، **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** الأعراف: ٩٩، **﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾** البقرة: ١٠٩ **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** البقرة:٢٨٠؛ ويقول تعالى: **﴿..فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** البقرة: ٢٨٣ .

وفى احترام القيم: **﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** النور: ٣٣.

والأحاديث فى السماحة والحض على التسامح والتيسير والرفق بالناس وبالحيوان كثيرة.

إننا لسنا متعصبين، والمتعصب من المسلمين هو شخص منقوص الإيمان مشوش التفكير، لا يفهم دينه جيداً، ولا يعمل بحسب تعاليمه، وروحانياته وقِيَمِه السامية التى أقرها الإسلام.

والإسلام كما هو ظاهر من تعاليمه، لا يمكن أن ينتج متعصبين أو متطرفين أبداً؛ بل إنه يحض الناس على التسامح، ونبذ العنف والتطرف، حتى إنه يمكن أن نقول انه كلما بلغ المسلم القمة فى التدين، كلما كان ألين وأرفق وأرحم بعباد الله؛ ولقد بلغت الروح الإنسانية أقصى مداها فى أخلاق رسول الله ﷺ الذى وُصف بأنه ﷺ كان خُلُقه القرآن، وبأنه الرحمة المهداة والنور الهادى إلى الله وإلى الحياة الفاضلة؛ وقد انعكست أخلاقه السامية ﷺ فى نفوس أصحابه، فصاروا أمثلةً طيبةً فى طيب العشرة، وفى التواد والتسامح، والعدل بين الناس.

وأرى أن البروفيسور ماروث قد تعجَّل فى قوله بأننا نظراً لتعصبنا لا يوجد عندنا كلية لتدريس النصرانية، وأقول له إننا نُدرِّس النصرانية واليهودية وسائر الأديان فى جامعة الأزهر الشريف، ومنذ زمن بعيد ندرسها فى كلية دار العلوم جامعة القاهرة؛ كما توجد كليات للاهوت وللدراسات اليهودية والمسيحية تابعة للنصارى العرب فى مصر وفى بيروت.

ويوجد فى مصر كذلك «الدومينكان هاوس» بالقاهرة، وهو يضم مكتبة ضخمة وقاعة للتدريس، ويؤمه الأساتذة الغربيون من جميع أنحاء العالم المسيحى، وعندنا الجامعة الأمريكية بالقاهرة وبعض الجامعات الأوربية الأخرى. ناهيك عن التبادل الثقافى بين المسلمين والغربيين والذى تشكل دراسة الأديان جزءًا مهما منه. وأهم من ذلك كله أن القرآن تكلم عن السيد المسيح ﷺ وعن الإنجيل، وعن موسى والتوراة، وباقى النبيين بشكلٍ وافٍ وعظيم.

والإسلام يعترف بالآخر لأن هذا الآخر هو خلق

الله؛ والإنسان هو المأمور بعمارة الأرض؛ وقد قرر الإسلامُ أن العباد مردّهم جميعاً إلى الله تعالى، أو إلى آدم وحواء من جهة الأصل البشرى، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح. ولا يعتقد أحدٌ من المسلمين أن الكون خُلق للمسلمين وحدهم أو أنهم أولى بخيراته من دون سائر الناس؛ بل إننا- نحن المسلمين- قد أُمرنا بالتعاون مع سائر العباد على البر والتقوى، وأن نتعارف- أى أن نعرف غيرنا- ونتعامل معه ونعين غيرَنا على أن يعرفنا ويتعاون معنا. فالإسلام إذن لم يقف عند حد الاعتراف بالآخر، بل إنه أوجب احترام إنسانيته، والتواصل معه على أساس العدل والبر والمساواة فى الإنسانية.

وقد أرسل رسولُنا بجماعة من خيرة أصحابه إلى الحبشة النصرانية ليحتموا فى ظل مَلِكها العادل النجاشى. وقال ﷺ: **«اطلبوا العلم ولو فى الصين»** ولم تكن الصين مسلمة ولم تترك الصين دينها وقت هذا التوجيه النبوى؛ بل كان لها ديانة أو ديانات مختلفة وتقاليد مغايرة.

﴿وطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ المائدة: ٥؛ فهذه الدعوة لتأليف القلوب وبناء علاقات اجتماعية وطيدة، والاجتماع على الطعام وسيلة لتأليف القلوب وللتقريب بين الناس.

ودعوى الكاتب بأن الإسلام لا يعرف الوسطية، وبأن أرسطو كان هو الذى قال بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين، فهو قولٌ مردودٌ، وذلك لأن القرآن يدعو إلى الوسطية ويُمجِّدها على سبيل المثال، يقول تعالى: **﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً﴾** البقرة: ١٤٣؛ ويقول: **﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾** الإسراء: ٢٩، **﴿وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾** الأعراف:٣١، **﴿والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾** الفرقان:٦٧، **﴿واقْصِدْ فِى مَشْيِكَ واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾** لقمان: ١٩، **﴿وأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ولا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** البقرة: ٢٣٧.

وقد نهى رسول الله ﷺ فى أحاديث كثيرة عن الغلو فى الدين أو عن التفريط فيه وذمَّ رسول الله ﷺ المغالاة حتى فى العبادة، وأمر بالعمل للدنيا كشرط لتحصيل الآخرة.

على أنه من المهم أن نستحضر أن الوسطية التى قال بها أرسطو وبعض الفلاسفة غيره، لم توضع موضع التنفيذ فى اليونان نفسها، بل ظلت بمثابة التعريف الفلسفى؛ أما وسطية الإسلام، فتدرس من خلال التعاليم القرآنية ومن خلال تطبيقاتها العملية فى واقع المسلمين.

إن الإسلام دين مصدره روحى ومرجع تعاليمه كلها إلى الله تعالى، وإنه دين كامل وعادل يخاطب الناس جميعا، ولا يستثنى منهم أحداً، وإن الإسلام لم يصنّف الناس فقط على أساس الاعتقاد، وإنما على أساس العمل الصالح والقدرة على التواصل والتآلف كذلك؛ وإن أى خروج على قاعدة العدل والتسامح يعتبر خروجا على صميم دعوة الإسلام، إلا أن الإسلام فى حالات كثيرة يُحجَب بالمسلمين الذين يصدون بأفعالهم السيئة الآخرين عن دينهم، ويسيئون بالتالى إلى عموم أمتهم وملتهم؛ غير أنه ينبغى علينا أن نُدرك أن التطبيق السيئ للدين أو حتى إهمال تعاليمه جزئياً أو كلياً من جهة بعض المسلمين، يجب ألا ينسحب على الدين نفسه، أو على عموم الأمة الإسلامية؛ فالناس بحكم الطبيعة والواقع فيهم الطيب والخبيث، والبر والفاجر، والقاسى واللّين، والرحيم والفظ؛ المهم عند تقويم الإسلام هو معرفة ماذا يقول الإسلام، وليس فقط ماذا يفعله المسلمون. والقرآن يقرر أن الله يميز الخبيث من الطيب **﴿قُل لا يَسْتَوِى الخَبِيثُ والطَّيِّبُ ولَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** المائدة: ١٠٠.

إن الإسلام لم يصدر أحكاماً قط بإعدام مخالفه أو إبعاده؛ بل إنه على العكس، قد أثبت قدرةً خاصة فى الاعتراف بالآخر والتواصل معه، ربما كان من الصعب على أى ديانة أخرى أن تدعى مثلها؛ فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى: **﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾** المائدة: ٢؛ **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾** الممتحنة: ٨، **﴿ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** المائدة: ٨ **﴿وإِنْ أَحَدٌ مِّنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ**

﴿فأجِرْهُ حتّى يَسمَعَ كَلامَ اللّهِ ثُمّ أبْلِغْهُ مأمَنَهُ ذلكَ بأنّهُمْ قَومٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ٦، ﴿وقُولوا للنّاس حُسناً﴾ البقرة: ٨٣، ﴿قُل للّذينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا للّذينَ لا يَرجُونَ أيّامَ اللّهِ لِيَجْزِيَ قَوماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الجاثية: ١٤.

وكان الإسلام أول من أقَرّ حقّ كل ذي دينٍ أن يبقى على دينه إذا شاء، مع عدم اعتبار ذلك التسامح، شاهداً على صحة معتقد المخالف كلياً أو جزئياً. فالقرآن إذ عَنّف على الكفر ونَقَد الكفار مثلاً فإنه يقرر أنه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وليَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦.

وكذلك فى حق أصحاب الديانات السابقة ينعى الإسلام عليهم التدخل فى دين الله بالتحريف وعلى الرغم من ذلك فإنه تعالى يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً﴾ المائدة:٤٨، ﴿وإن مِّنْ أُمّةٍ إلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر:٢٤، ﴿وكُلاً نّقُصّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرّسُلِ مَا نُثَبّتُ به فُؤَادَكَ وجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠، ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرّسُلِ ومَا أدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ إنْ أَتّبِعُ إلا مَا يُوحَى إلَيّ ومَا أَنَا إلا نَذِيرٌ مّبِينٌ﴾ الأحقاف:٩ ﴿ومِنْهُمْ أُمّيّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلا أَمَانِيّ وإنْ هُمْ إلا يَظُنّونَ﴾ البقرة: ٧٨، ﴿ومِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدّهِ إلَيْكَ ومِنْهُم مّنْ إن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدّهِ إلَيْكَ إلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمّيّينَ سَبِيلٌ ويَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧٥ ﴿... ذلك بأنّ مِنْهُمْ قِسّيسِينَ ورُهْبَاناً وأَنّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة: ٨٢.

وحقًا فقد رأينا من بين رجال الدين النصارى من يفيضون سماحةً، ويقررون الحقّ بلا غطرسة أو كبر؛ ويقول الله تعالى عن اليهود والنصارى مجتمعين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ ألا نَعْبُدَ إلا اللّهَ ولا نُشْرِكَ به شَيْئاً ولا يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإن تَوَلّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٦٤، ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاءَ اللّيْلِ وهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ويُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وأُوْلَئِكَ مِنَ الصّالِحِينَ(١١٤) ومَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ واللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتّقِينَ﴾ آل عمران: ١١٣: ١١٥ .

فالقرآن بهذا يُثنى على الفريقين، ويعترف لهم بأصل سماوى تَعُود إليه كُتبهم، وهو فى الوقت نفسه يثبت التحريف الذى وقع فى هذه الكتب، إثباتاً للأصل المقدس، وبُعْده عن أى تعارض أو تناقض أو اختلاف مع كتاب الله عز وجل، وينفى القرآن كذلك الصلب والتشبيه، مقرراً أن النفى والإثبات مردّهما إلى الله تعالى لا إلى محمد ﷺ، والغرض من ذلك هو إقرار الحق الثابت للقرآن، والتنبيه على ما هو بخلافه، وذلك حتى يكون الحق معروفاً واضحاً جلياً؛ مع ضرورة الدعوة إلى معاملة اليهود والنصارى بالتى هى أحسن، وعدم تجاوز ما نصّ الله تعالى عليه بالنسبة لهم، كما حرَّم على المسلمين هضم الحقوق أو التعدى على الأصول الثابتة والقواسم المشتركة بيننا وبينهم، والتى بها تتماسك الإنسانية، وبها تُجْبر الكسور وتُرأب الصدوعُ إذا حدثت كُسور، أو ظَهر صدعٌ نتيجة نزاعٍ محتمل وقوعه بين المسلمين وأهل الكتاب.

يقول الله تعالى: ﴿ولَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لّهُدّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً ولَيَنصُرَنّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إنّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج: ٤٠، وهذا الدفع الإلهى يتجلى فى الرأى العام القومى والعالمى، وفى مواقف بعض الدول فى وجه الظلم، والدفاع عن الضعاف ضد الأقوياء.

ويعترف الإسلام- كذلك- ويُقر بحق الآخر ويسمع له، ويطالبه بالبرهان على ما يقول؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١؛ ويأمر الله تعالى الكل بعمارة الأرض وبعدم الفساد فيها، ﴿ويَحْيَى مَنْ حَيّ عَنْ بَيّنَةٍ﴾ الأنفال: ٤٢، ﴿ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إصْلاحِهَا وادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً إنّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦، ويقول تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلا قَلِيلاً مِّمّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ واتّبَعَ الّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦.

وقد أنزل الله تعالى الدين للحفاظ على الفطرة التى فطر الناس عليها، ومنها تنبثق الخيرات، كما تقمع بها الشهوات والضلالات؛ وقد أوصى الرسول ﷺ بالجار، مسلماً كان هذا الجار أم غير مسلم، وباحترام آدمية الإنسان حياً كان هذا الإنسان أو ميتاً.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ الإسراء: ٧٠.

وحرّم الإسلامُ قتلَ الإنسان مسلماً كان هذا الإنسان أو غير مسلم، إلا فى عقوبة شرعية يستوجبها الحفاظ على المجتمع، وتتقرر بها الحقوق الإنسانية لسائر أفراد الأمة.

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ النساء: ٢٩، ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام: ١٥١، ويقول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِى الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾ المائدة: ٣٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٨- ١٧٩.

ألم ينتزع محمدٌ ﷺ، حفاظاً على أخلاق السلام، الراية من حبيبه سعد بن عبادة، فى يوم فتح مكة، لما سمع قوله **«اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة ....»، وقال له: «اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله فيه قريشاً ....».**

وما ذلك إلا لأن سعداً قد ناقض قولُه أوامر النبى ﷺ، وتشديداته على أمراء جيشه ألا يقاتلوا وألا يسفكوا دماً، إلا إذا أكرهوا على ذلك إكراهاً، واضطروا إليه اضطراراً.

بل إن القرآن قد بلغ قمة التسامح فى مواجهة الشر، وذلك عندما عرض علينا ما حدث بين الأخوين قابيل وهابيل، يقول تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة: ٢٨, هذه قاعدة قرآنية لتبغيض الشر إلى النفوس وتحبيب الخير والتسامح إليها.

ولقد ضرب الصحابةُ أروع الأمثلة فى المحافظة على حقوق غير المسلمين، وفى البر بهم، وفى التشديد على عدم الإضرار بأحد منهم، أو إيذائه بأى شكل كان، بناءً على تعاليم القرآنِ والسنة؛ ألم يقل عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص- واليه على مصر- فى حق مصرى بسيط ظلمه ابن عمرو- **«متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».**

ومن غراس الإسلام بالنسبة لأهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن لَحِقَ بهم من المجوس، أو ممّن له كتابٌ أو شبهةُ كتاب، وليس له صفة المحارب «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، «الناس سواسية كأسنان المشط....» الحديث.

ولا شىء على غير المسلم من حيث الدين، غير الحفاظ على حرمة الحياة، والوطن، والأمة التى هو جزء منها، إن عليه فقط أن يشارك فى الدفاع عن سلامة المجتمع الذى يعيش فيه وينعم بخيراته، إما بنفسه وإمّا بقدر ضئيل من المال، إذا توفر لديه المال، حتى يساعد به فى حماية دمه وماله وعرضه ووطنه، ويساعد فى إدارة شئونه وتطويره؛ وهذا ما يعرف بالجزية. هذا مع ملاحظة أن المسلم، من جهة أخرى، يُؤدّى لبيت المال زكاةَ ماله وممتلكاته، فريضةً مضروبةً، وفى وقت معلوم؛ وهذا المال عائد على كل أفراد المجتمع بالنفع العام، فى شكل رواتب أو خدمات أو مساعدات، أو فى الحفاظ على الأمن ومقدرات المجتمع.

ولقد كان تسامح المسلمين من أكبر أسباب نشر الإسلام فى العالم كله وأمضاها فى بقاء الإسلام فى هذه البلدان التى انتشر فيها حتى عندما ضَعُف سلطان المسلمين، وذهبت دولتهم.

ومظاهر تسامح المسلمين أكثر من أن تُعَد، وأظهر من أن تُطمس أو تتجاهل. فكنائس النصارى ومعابد اليهود وكتبهم المقدسة، لا تزال تُوجد فى بلدان المسلمين، كما لا تزال كتب الجدل الدينى، وكتب الدفاع عن العقائد، بل والكتب التى كَتَبَها أصحابُها فى الطعن على الإسلام موجودةً ومتداولةً إلى اليوم، لم يضطهد أصحابها إذ لم يرد أن المسلمين قاموا بحرق كتب أصحاب الملل الأخرى، بل على العكس من ذلك فإنه قد ورد أن وَرَقَةً أو وريقات وصلَتْ إلى يد النبى ﷺ بعد فتح خيبر فسأل: «ما هذه؟» فأجيب: «إنها من توراة اليهود»، فقال ﷺ: **«ردوها عليهم فإنهم**

أحرى أن يُعَلّموها أولادَهم»، ولم يصنع رسول الله ﷺ كما صنع الرومان حين استولوا على القدس، وأحرقوا الكتب المقدسة التى كانت بها وداسوها بأقدامهم.

وكم من كُتُبِ علمٍ قد أُحْرقت، وأُحرق أصحابها فى الغرب؛ لأن أصحابها قد خالفوا المعتقد واستعملوا عقولهم، وفكَّروا وبحثوا واكتشفوا؛ وقد كانت كتب اليهود تحرق فى الأندلس على أيدى المسيحيين المتعصبين، وكانت صحف التوراة والتلمود تحرق فى كثير من البلدان النصرانية فى الغرب.

وبأدنى وجوه المقارنة بين ما أُلِّف فى الإسلام ضد الأديان الأخرى، وبين ما كُتِب بأقلامٍ غير إسلامية، ضد الإسلام والمسلمين، نجد أن كتاباتِ غير المسلمين ولهجاتهم فى نقد الإسلام والمسلمين أشد حدة، وأمعن فى الطعن من كتابات المسلمين؛ هذا فضلاً عن أن الكتابات الإسلامية فى معارضة أهل الأديان الأخرى تعد قليلةً جداً وأغلبها كان دفاعياً، أو رداً على طعونِ غير المسلمين فى العقائد والعبادات الإسلامية؛ هذا مع ملاحظة الأخطاء الشنيعة والتزييف الواضح الذى تتضمنه الكتب المعادية للإسلام والمسلمين، فى كل عصر، هذا بالإضافة إلى الترجمات الغربية ذات الصبغة التحريفية للقرآن الكريم مما جعل المسلمين اليوم هدفاً دائماً لسهام الدعاية الغربية.

ومن المهم أن يكون واضحاً أنه لا يوجد عالِم مسلم يطعن فى أصول هذه الديانات أو يسب نبيـاً من الأنبياء أو يشكك فى وجوده أو نبوته؛ بل إن الإيمان بالأنبياء السابقين والكتب السابقة يتضمنها الإيمان بالإسلام نفسه؛ وليس أقل أهمية من هذا كله أن نعرف أنه بسبب الإسلام ويسره نشأت المذاهب الفقهية الكثيرة والمدارس الكلامية المتعددة، وما ذلك إلا لأن الإسلام قد أمر المسلمين بالتفكر والتدبر والاستنباط، وفتح لهم باب الاجتهاد، وذلك لأن الدين قد خُتم بتوقف الوحى كنصوص إلهية ونبوية؛ أما فهم النصوص واستنطاقها والاجتهاد فى تأويلها تأويلاً صحيحاً فإنه لا يتعارض مع أصلٍ من أصول الدين، فقد ظل الاجتهاد مفتوحاً عبر العصور، غير ما هنالك أن الاجتهاد يَضعُف ويَقوى، بضعف المسلمين وقوتهم؛ وبقاءُ الإسلام مرهونٌ ببقاء باب الاجتهاد مفتوحاً.

ومن دراسة تاريخ المسلمين، نلاحظ أن الانحطاط فى مجال العلوم الدينية، كان يستتبعه بالضرورة انحطاط فى العلوم الدنيوية، وفى السياسة والاقتصاد وفى الفكر والثقافة، بل وفى السلوك والعادات.

ولقد دخلت علومُ غير المسلمين عبر الترجمة فى صميم النسيج الحضارى فى الإسلام، ولم يطرد الإسلام الثقافات والعلوم الدخيلة، بعد أن نقحها المسلمون وطوروها، وبثّوا فيها من روح الإسلام، وأصبحت هذه العلوم تدرس فى المدارس والجامعات الإسلامية، ويُنْفَق على نسخها ونشرها من بيت مال المسلمين، ومن أموال أغنيائهم، وانتعشت الفلسفة، وراجت جميع فروع العلوم بين المسلمين.

ونلفت النظر هنا إلى المغالطات والتحريفات والتجاوزات التى تشتمل عليها الترجمات الغربية للقرآن الكريم لدرجة أن هذه الترجمات قد أصبحت المصدر الأول لتشويه صورة الإسلام فى أعين الغربيين وعن تشكيل ثقافة الاضطهاد والكراهية لكل ما هو إسلامى، ولا نزال نعانى من آثار هذه الأخطاء حتى اليوم. ولكننا على الرغم من هذا الجو الملبد بالغيوم الداكنة، والمسممة فى معظمها، نرى أن القواسم المشتركة بين المسلمين والغربيين أكثر من مواطن الزلق والنزاع، وأن علينا جميعاً أن نستعصم بالقيم الدينية والإنسانية الرفيعة، وألا ننساق وراء المصالح المادية فحسب، وألا نتصادم، فالعالم يتسع للجميع، والأرض بَرّة بالكل، لأن الكل أبناؤها، وفى السماء أرزاق العباد، وما أجمل الدنيا مع التنوع بين البشر، وأجمل من جمال الدنيا أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، وأن ترفع الظلم عن المظلومين.

الهوامش:

* ملحوظات على كلمة البروفيسور ميكلوس ماروث «Maroth Miklos» مدير معهد ابن سينا لدراسات الشرق الأوسط ببودابست- جمهورية المجر

١ ـ بعد أن أنهى البروفيسور ماروث محاضرته هَمّ بمغادرة القاعة نظراً لارتباطات له وانشغاله بأعمال أخرى. وقبل أن يغادر سلمت عليه وشكرته، وقلت له إن لى ملحوظات كثيرة على محاضرتك يمكن أن أرد عليها كتابة، وأرسلها إليك، ولكننى أحتفظ بحق المسلمين فى الرد على بعض الموضوعات التى ذكرها داخل قاعة المؤتمر.

دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجانى

(٤٠٠ ـ ٤٧١هـ ـ ١٠١٠ ـ ١٠٧٩م)

من التراث الإسلامى

أ. د/ محمد
عبدالمنعم خفاجى

ـ ١ ـ

أبو بكر عبدالقاهر الجرجانى علم من أعلام النقد العربى والبلاغة العربية، ورائد من رواد الفكر والتراث والمعرفة.

تصدر حلقات العربية والبيان فى جرجان، وقصده الناس للاغتراف من علمه، والإفادة من فضله، وقيل عنه: إنه فرد فى علمه الغزير، والعلم المفرد فى الأئمة المشاهير فى العصر السلجوقى، وكان والده عبدالرحمن أول أستاذ له، وتتلمذ على يد عبدالقاهر علماء وطلاب لا يحصون عددا ـ توفى عام ٤٧١هـ، وله مؤلفات عديدة، منها:

ـ مختارات من شعر أبى تمام والبحترى والمتنبى طبعه عبدالعزيز الميمنى باسم «الطرائف الأدبية».

ـ المغنى فى شرح الإيضاح لأبى على الفارسى فى ثلاثين جزءا، واختصره فى كتاب باسم «المقتصد» الذى يعد شرحا موجزا للإيضاح.

ـ التكملة، وهو ذيل لكتاب الإيضاح.

ـ الإيجاز، وهو مختصر لكتاب الإيضاح.

ـ الجمل فى النحو.

ـ العوامل المائة.

ـ شرح الفاتحة.

ـ العمدة فى التصريف.

ـ كتاب فى العروض.

ـ وله شرحان على كتاب «إعجاز القرآن» للواسطى (ت ٣٠٦هـ): أحدهما كبير سماه «المقتصد»، والآخر صغير.

ـ الرسالة الشافية فى الإعجاز، وقد طبعت مع رسالتين أخريين بعنوان «ثلاث رسائل» علق عليها محمد خلف الله وزغلول سلام.

ـ التذكرة ـ ذكره القفطى فى «إنباه الرواة».

ـ المفتاح ـ ذكره صاحب كتاب «طبقات الشافعية».

وأجلُّ كتبه وأخلدها، وأعظمها أثرا، وأكبرها خطرا، وأخلدها على الأيام كتابان، هما: «دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة».

وهذان الكتابان يحتلان الذروة بين كتب البلاغة والنقد على مر العصور، وقد عنى بهما الإمام محمد عبده، ونشرهما وعلق عليهما الشيخ رشيد رضا: ومع أهميتهما فى علم البلاغة وريادتهما فيه، فإنهما يمثلان الذروة فى كتب النقد العربى ويمثلان منهجا كاملا فيه.

وثقافة عبدالقاهر البيانية والنقدية والنحوية أغلب عليه(١) ولذلك لقب بالنحوى، لتفوقه فى النحو، واستقصائه لأحكامه وعلله ووجوهه(٢).

وكتاب «دلائل الإعجاز»(٣) لعبدالقاهر يحمل مقدمات فى دراسة الإعجاز القرآنى، ويلوح بمنهج متكامل فى هذه الدراسة، وهو فى قمة كتب البيان والبلاغة العربية، وفيه يجعل الإعجاز فى البلاغة، ويجعل البلاغة فى «النظم»، ويشرح فى كتابه هذا «النظم» مشرحا واسعا، مما يجعله صاحب «نظرية النظم» ومبتكرها، بتحديده لمعناها ومصطلحها، وبتطبيقاته الواسعة عليها، والنظم كما يعرفه عبدالقاهر توخى معانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم(٤)، ولذلك درس عبدالقاهر فى هذا الكتاب وجوه النظم فى التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، والقصر، وتأكيد الخبر، وضروب المجاز العقلى، وغير ذلك.

ويقرر عبدالقاهر فى «دلائل الإعجاز» أن المزية للكلام (البلاغة) إنما هى فى نظمه، لا فى مجرد معناه، ولا فى ألفاظه، إذ ليس للفظ من حيث هو لفظ مزية وفضل، وهذه المزية هى التى تقودنا إلى معرفة الإعجاز القرآنى الذى نلمسه فى النظم وحده، لا فى شىء آخر، فالبلاغة إنما هى فى النظم لا فى الكلمة مفردة، ولا فى مجرد المعانى وحدها، والباحث عن الإعجاز عليه أن يتلمسه فى النظم وحده.

ـ ٢ ـ

ونظرية النظم هى خاصة فلسفة عبدالقاهر البلاغية وهى بما اشتملت عليه من تطبيقات واسعة، وشروح طويلة، جديدة كل الجدة عند هذا الإمام الكبير، ولم يعرض لها أحد قبله هذا العرض المتميز؛ ولذلك جهد عبدالقاهر فى إيضاحها، ودفع الشبه عنها، والرد على من يعترضه فيها، ففلسفة عبدالقاهر البيانية إنما تنهض على أساس فكره النظم(٥)، وإذا كان هناك من يذهب إلى أن عبدالقاهر لم يكن هو المخترع لها، وإنما كان هو الذى بسط القول فيها، وأقام على أساسها كتابه «دلائل الإعجاز»، إذ سبقه إليها الجاحظ، ثم الواسطى فى كتابه «إعجاز القرآن فى نظمه»؛ ثم القاضى المعتزلى عبدالجبار الهمذانى المتوفى عام ٤١٥هـ فى كتابه «المغنى فى جزئه السادس عشر، ونلمسها عند السيرافى (ت ٣٦٨هـ) فى مناظرته المشهورة لمتى بن يونس الفيلسوف التى رواها أبو حيان التوحيدى فى كتابه «الإمتاع والمؤانسة»، فمثل هذه الآراء لا تدفع عن عبدالقاهر ريادته فى البلاغة؛ لقد استخدم عبدالقاهر معانى النحو وأحكامه استخداما جديدا بيانيا ونقديا محضا، وإلا لكان فى النحو غنى عن كل ما قرره عبدالقاهر والبلاغيون من أحكام متباينة، وذلك ما يرده عبدالقاهر، ويؤكد نفيه له فى كتابه؛ كما يقرر فى كل فصل من فصول «الدلائل» ألا سبيل إلى معرفة الإعجاز إلا النظر فى الكتاب الذى وضعناه، واستقصاء التأمل لما أودعناه وأنه الطريق إلى البيان، وألا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلا الوصف الذى كان له معجزا.

ـ ٣ ـ

وقد اعتمد عبدالقاهر على الذوق الأدبى الخالص اعتمادا كليا فى كل ما قرره من أحكام، مؤكدا أنه لا يصادف القول فى هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى تختلف عليه الحال عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة، ويعرى منها أخرى. وقد أثرى عبدالقاهر البلاغة بما كتب فى نقد الأساليب وتحليلها واستنباط الفروق والخصائص فيما بينها، وبما عرض له من أحكام نقدية دقيقة على الأساليب وضروب النثر والشعر. وذلك الذوق الخالص لا يمكن أن يغنى فى الأدب عنه شىء آخر. ونظرية عبدالقاهر فى رمزية اللغة، ورد المعانى إلى النظم، ومنهجه فى نقد النصوص نقدا موضوعيا، ماهى إلا مراحل تنتهى به إلى الذوق الذى يدرك الدقائق، ويحس بالفروق، ووجوه الكلام وأسراره، وإحساس عبدالقاهر الأدبى السليم سابقٌ دائما لعقله، والحكم على النظم عنده هو النظر فى المعنى منظوما، والذوق هو الفيصل الصادق الأخير فى الحكم على هذه الدقائق، وإلى هذا فطن عبدالقاهر بحسه الأدبى الخالص، فالذوق عنده يتحكم فى نظم المعانى التى نعبر عنها.

إن الأدب عنده فن لغوى، فإخضاع الفكرة أو الإحساس للفظ هو ما يميز الأدب عن غيره من الفنون، لقد بدأ الجرجانى بنظرية بسيطة فى اللغة، ثم انتهى إلى الذوق الشخصى الذى هو المرجع الأخير فى الحكم على الأدب؛ هذا الذوق الذاتى التأثرى هو الحكم فى قضايا الأدب والنقد والبيان.

وإذا كان الجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٥هـ) صاحب نظرية وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال فى البلاغة، وابن المعتز (٢٤٧ ـ ٢٩٦هـ) صاحب نظرية البديع، وقدامة (-٣٣٧هـ) صاحب نظرية المعنى، والآمدى (- ٣٧١هـ) صاحب نظرية عمود الشعر، وابن جنى (-٣٩٢هـ) صاحب نظرية الفن اللغوى فى الأدب، فإن عبدالقاهر صاحب نظرية النظم ويجمع اللغويون وكبار النقاد فى كل اللغات على أن الكلمة رمز لمعناها، رمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة، وقيمتها فيما ترمز إليه، وليست البلاغة فيها وحدها، لأن الفكر لا يتعلق بمعانى الكلمة المفردة مجردة عن الأسلوب التى هى فيه فليست البلاغة فيها وحدها، وهذه هى نظرية رمزية اللغة، التى بحثها عبدالقاهر وأفاض فى شرحها، وبحثها بعد عبدالقاهر بقرون طوال «فنت» الألمانى متأثرا كل التأثير بعبدالقاهر.. ويتفق على ذلك مع صاحب الدلائل كل النقاد العالميين. يقول أفلاطون: الكلمة رمز لمعناها، ويقول أرسطو: الكلمات رموز للمعانى، ويقول عبدالقاهر: إنك تطلب المعنى فإذا ظفرت به فاللفظ معك وإزاء ناظرك ويقول برجسون بعده بزمن طويل: إننا نفكر بالألفاظ ويقول لاسل أبر كرومبى أستاذ النقد فى جامعة لندن: على الأديب أن يجعل ألفاظه محاكية لتجاربه، ورمزا لتلك التجارب، وعليه أن يجمع بين مقدرته على التعبير عما فى نفسه بذلك الرمز وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه إلى القراء، فما وظيفة الألفاظ فى الأدب إلا أن تكون رمزا، ويقول ميخائيل نعيمة فى «الغربال»: لا قيمة للغة فى ذاتها ونفسها، بل قيمتها فيما ترمز إليه من فكر وعاطفة.

ـ ٤ ـ

ونظرية عبدالقاهر فى النظم، وأنه حسن استخدام العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى، أو كما يقول: إنه تآخى معانى النحو فيما بين الكلم بعضه والبعض، أو أنه مجموعة من العلاقات اللغوية بتعليق القيم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة، وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية؛ وهذه الآراء التى بسطها عبدالقاهر تقوم عليها فلسفة فرديناند دى سوسير اللغوى السويسرى رائد علم اللسان الحديث. يقول سوسير: من مجموع العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة وفيها يظهر الجمال البيانى، ويقول أيضا: اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل هى مجموعة من العلاقات.. واللغة عند عبدالقاهر ومجموعة النقاد العالميين المحدثين لا تصبح لغة شعرية إلا حين يستعملها الشاعر، لا لأنها فى ذاتها لها هذه الخاصية، بل لأنها خضعت للتجربة الشعرية فى نفس الشاعر ولمقتضيات التعبير عن هذه التجربة.

ويقول الناقد الإيطالى بندتو كروتشيه (المتوفى عام ١٩٥٢م): إن الحقيقة الجمالية لا تظهر فى المضمون بل فى الشكل الأدبى، ومن ثم فقد اعتد بالصورة.. وهو فى هذا يتلاقى مع عبدالقاهر الذى يعظم من شأن الصورة تعظيما شديدا.

وإذا كان النقاد العرب قبل عبدالقاهر من مثل ابن قتيبة وقدامة، وأبى هلال العسكرى، يفصلون بين اللفظ والمعنى، لأنهما عندهم عنصران مستقلان تمام الاستقلال، من حيث ذهب ابن رشيق إلى أن اللفظ جسم وروحه المعنى، فهما متلازمان ولا يمكن الفصل بينهما، وهذه هى نظرية النقد اليونانى القديم، فإن عبدالقاهر يجعل الصورة والمضمون وجهان للنموذج الأدبى والفصل بينهما غير ممكن، فمادة العمل الأدبى وصورته لا يفترقان، وهذه هى فلسفة الجماليين من حيث رفع الكلاسيكيون من شأن اللفظ، واهتم الرومانسيون بالمعنى، وحرر دعاة الفن للفن النص الأدبى من كل قيود المضمون مادام النص يغذى الحاسة

الجمالية فينا؛ ودعا الرمزيون إلى الاهتمام بالنغم وما توحيه الصور والألفاظ من رموز ومجازات عن طريق أصواتها وموسيقاها، وأكد الواقعيون الاهتمام بالمضمون ومحتواه الاجتماعى.. وذهب «اليوت» إلى أن الشكل والمعنى هما الشئ نفسه، وهكذا قرر عبدالقاهر فى جرأة نقدية وحدة العمل الأدبى، وربط بين مضامينه وأشكاله برباط وثيق، فاللفظ عنده يستمد بلاغته من أنه ظل للمعنى، والمعنى يستمد مزيته من حيث إنه المادة الغُفْل التى يصوغها اللفظ، وإذا كان الشعر صياغة كما يقرر الجاحظ ويؤكده عبدالقاهر فإن «مالارميه» الفرنسى لا يخرج عن ذلك حين يقول: الشعر لا يصنع من الأفكار، ولكنه يصنع من الألفاظ.

ولا يغفل عبدالقاهر - بعد تأكيده للعلاقات فى النص ولرمزية اللغة، وللجانب الجمالى فى الصياغة - أهمية المعانى الثانوية فى النص ودلالاتها الجمالية، فكثير من المهارة الأدبية تعود إلى إطلاق تلك المعانى الثانوية، من كتابة ومجاز وحسن وتعليل وتبجيل، وغير ذلك لتعمل عملها فى الخيال؛ وعبدالقاهر يتلاقى معه فى هذا كل النقاد فى مختلف الآداب، يقول «كرومبى»: المعنى الذى تجده فى معاجم اللغة للكلمة ماهو إلا النواة التى يتجمع حولها طائفة من المعانى الثانوية التى هى ذات أصالة كبيرة فى الصورة الأدبية.

ومن كل هذه القيم صاغ عبدالقاهر - سابقا لزمنه - نظريته النقدية، أو فلسفته البلاغية الجمالية وتعجب كيف نهج عبدالقاهر فى نقد النصوص نهجا تأثريا موضوعيا، لينتهى إلى الذوق الذى يدرك الحقائق، ويحس بالفروق، ووجوه الكلام وأسراره، الأدب عنده فن لغوى، وإخضاع الفكرة أو الإحساس للفظ هو ما يميز الأدب عن غيره من الفنون(٧).

وإذا كان «كروتشيه» يرى أن الحقيقة الجمالية إنما هى فى الشكل لا فى المضمون، ولا قيمة للفظ المفرد عنده، فإن ذلك هو ما ذهب إليه عبدالقاهر قبله بقرون طوال.

- ٥ -

«دلائل الإعجاز» إذا نظرية جديدة فى البلاغة وهو أيضا نظرية جديدة فى النقد الأدبى العربى، وهو كذلك الذى وضع أصول علم المعانى فى البلاغة العربية كاملة، أو شبه كاملة.

لكن من المؤكد أيضا أنه حين وضع الأصول إلى فهم للإعجاز فى كتاب الله الحكيم، مرّ على الحديث عن الإعجاز نفسه مرور الكرام، فلن نجد فيه ما تجده من قصد لمسائل الإعجاز القرآنى البلاغى فى البحث وحدها كما فى «إعجاز القرآن للباقلانى»، ولن نجد فيه قصة التحدى وما يدور حولها من بحث، ولا قصة الإعجاز الكلى للعرب وغيرهم أمام بلاغة القرآن الكريم.

عبدالقاهر وضع المنهج لبحث قضية الإعجاز ولم يطبق هذا المنهج فى دراسات مطولة عن الإعجاز نفسه.

تحدث فى الدلائل فى فصل جد قصير عن الوصف الذى قد تجدد بالقرآن وأعجز الناس جميعا، وهو البلاغة ودقة النظم، ورد مذهب المعتزلة فى الصَّرفة.

وما ذكره عبدالقاهر عن الإعجاز إنما هو تأكيد لرأيه فى أنه لا يعرف الإعجاز إلا بالرجوع إلى النظم لتعرف المزية به، ولتجلى البلاغة القرآنية بالتطبيق عليه.

عبدالقاهر إذا كان يريد الحديث عن الإعجاز، ولكنه لم يوقف كتابه «دلائل الإعجاز» على هذه القضية، التى تحدث عنها بإيجاز فى كتابه الصغير «الرسالة الشافية».

المراجع:

١ - راجع فى الترجمة لعبدالقاهر كتاب بغية الوعاة للسيوطى ص٢١٠، ص١٨٨ ج٢ إنباه الرواه للقفطى، ٢٤٠ ج٣، شذرات الذهب، ٢٤٢ طبقات الشافعية، ٤٤٣ روضات الجنات.

٢ - ٢/٢٤٢ فوات الوفيات لابن شاكر.

٣ - علق عليه الشيخ رشيد رضا والشيخ أحمد المراغى، وشرحه الدكتور كاتب هذا المقال، كما علق عليه أخيرا محمود شاكر.

٤ - ٢٣٧ - ٢٥٠ دلائل الإعجاز.

٥ - ص١٠٣ مدارس النقد الأدبى الحديث لخفاجى - نشر الدار المصرية اللبنانية - القاهرة عام ١٩٩٥م.

٦ - مقدمة «دلائل الإعجاز» لعبدالقاهر.

٧ - الميزان الجديد لمندور.

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»

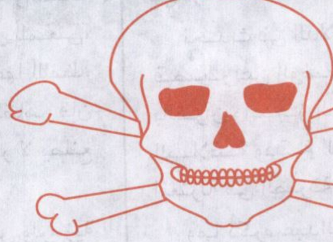

أثر المخدر فى تدمير الصحة

شعر/ عمر موسى موسى البرعى

يا من ترجى صحة تحيا بها ... فى ظلها تصفو لك الأحوال

بادر إلى نبذ المحرم صادقا ... إن المخدر محنة ووبال

لا تحتقن بالسم واحذر فتكه ... إن السموم مهالك وخبال

فيها تعيش محطما فى حسرة ... وتؤودك الأحمال والأثقال

ودع المخدر إن من يعتاده ... فمآله شر له ونكال

فالشرع حرمه وأوعد أهله ... والنار عقباه وبئس مآل

فى ظله الفقر المحقق مدقع ... وبه يعم تسول وسؤال

فلكم أضاع الرشد واستلب النهى ... عن ضره تتحدث الأقوال

يامن تعاطاه تدارك موقفا ... بشروره تستعجل الآجال

هو سوءة فى ظله يبدو الردى ... ويكون للمرض المذل مجال

فالصحة التاج الذى يزهى به ... رأس ويعلوه سنا وجمال

فاحرص عليها فهى كنز سعادة ... ترجى، بها تتحقق الآمال

هى منحة ممنوحة من منعم ... وعلى سناها ينبغى الإقبال

الدعوة والدعاة

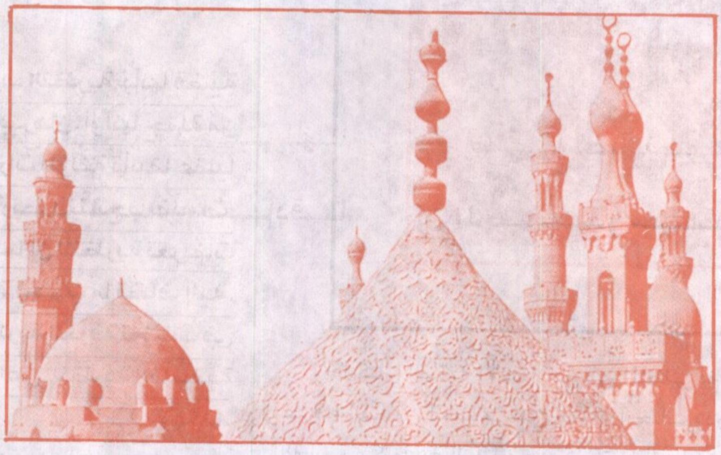

- نظرية التأميم فى الفقه الإسلامى
- دعوة الإسلام إلى النظر والتفكر فى خلق الله
- الانفتاح على حضارات الأمم

نظرية التأميم فى الفقه الإسلامى

أ. د: محمد الدسوقى

تعرف النظرية بأنها قضية تثبت ببرهان، أو أنها جملة من التصورات المؤلفة تأليفا عقليا تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات، كما أن للنظرية تعريفات اصطلاحية بحسب ما تضاف إليه، فنظرية المعرفة تختلف فى مدلولها عن النظرية الفلسفية وهكذا.

والنظرية الفقهية عبارة عن المفهوم العام الذى يؤلف نظاما حقوقيا يحكم كل ما يتصل بموضوع النظرية من أحكام متنوعة مبثوثة فى أبواب الفقه المختلفة، فمثلا نظرية الملكية عبارة عن الأحكام التى تدور حول الملكية من حيث أسبابها وأقسامها، وأحكام وخصائص كل قسم، والطرق التى تنتهى بها الملكية، وسائر ما يتعلق بها.

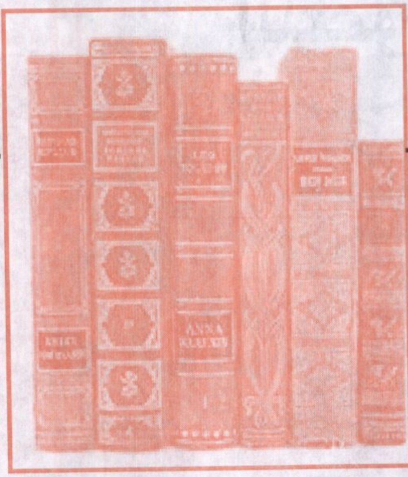

وإذا كان الفقه الإسلامى فى الماضى لم يعرف بعض ما عرفه القانون الوضعى من إفراد أبحاث ودراسات النظريات القانونية كنظرية التعسف فى استعمال الحق، ونظرية النيابة، ونظرية الظروف الطارئة، فإنه عرف هذه النظريات وغيرها فروعا ومسائل جزئية مبثوثة فى شتى أبواب الفقه على نحو أدق مما عرفه ذلك القانون، وأكدت الدراسات الفقهية المعاصرة هذا، وظهرت مؤلفات وأبحاث كثيرة تجلى نظريات الفقه، وتثبت أن ما أفاض فقهاء القانون فى الحديث عنه والإشادة به من نظريات تضرب جذروه إلى الشريعة الغراء، فهى من ثم مأخوذة من نصوص هذه الشريعة أو فقهها(١).

ومن هذه النظريات نظرية «التأميم»، وكلمة التأميم مصطلح حديث يقصد به انتقال ملكية فرد أو مجموعة من الأفراد إلى الجماعة بوساطة قانون يصدره ولى الأمر، رعاية للمصلحة العامة.

والتأميم بهذا المعنى أقره الإسلام ودعا إليه منذ نحو أربعة عشر قرنا، ووضع له من القواعد والضوابط ما يحقق للفرد والجماعة على السواء العدالة والحياة الإنسانية الكريمة.

وضع الإسلام للتأميم منذ ١٤ قرنا قواعد وضوابط تحقق للمجتمع العدالة والحياة الكريمة

التأميم مصطلح حديث يقصد به انتقال ملكية فرد أو مجموعة أفراد إلى الجماعة بقانون يصدره ولى الأمر رعاية للمصلحة العامة

إن المال - وهو كل ماله منفعة مباحة شرعا - ملك لله فى الأصل؛ لأنه سبحانه مالك الملك وخالق الخير، ومنطقنا البشرى يقضى بأن يكون خالق الشئ هو مالكه **﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ﴾** الأنعام: آية ١٠٢.

وإذا كان الكتاب العزيز قد نسب المال فى بعض الآيات إلى الناس، من ذلك قوله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾** التوبة: آية ١١١، **﴿وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾** الذاريات: آية ١١، فإن هذه النسبة أو الإضافة لا تدل على ملكية حقيقية للمال، وإنما تفيد أن الناس ملكوا فقط حق الانتفاع به بكل ما يقتضيه هذا الحق من التصرف والاستهلاك والاستثمار(٢).

والإيمان بهذه الحقيقة، حقيقة أن المال مال الله يحول بين الناس والبطر بما فى أيديهم من الأموال، أو التجاوز بها حدود ما فرض الله سواء فى كسبها والحصول عليها أو الإنفاق منها والتمتع بها، وذلك لأنهم يؤمنون بأن ما بأيديهم من الأموال نعمة من نعم الله، أنعم بها عليهم، وكل نعمة أمانة سيحاسب عليها المرء يوم القيامة أضيعها أم حفظها، وأدى حقها؟

ومادام المال مال الله، والخلق كلهم عيال الله، فهم جميعا سواء فى فرص الحصول على هذا المال والانتفاع به.

لقد سخر الله هذا الكون وما يعج به من كائنات ومخلوقات للإنسان فلم يسخره سبحانه لطائفة دون طائفة، أو لشعب دون شعب، أو لجيل دون جيل، قال تعالى: **﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون* وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الجاثية: الآيتان ١٢، ١٣.

فالتسخير للجميع، والخطاب موجه إلى الناس كافة، وهذا يعنى أن حق الانتفاع بما سخره الله لا تفاوت فيه بين الناس فهم فيه سواء.

إن هذه المساواة بين الناس فى فرص الانتفاع بأنعم الله يهيئ للمواهب والكفايات الجو الصالح لنموها واستثمارها للمصلحة العامة فضلا عما فى ذلك من خير لذويها، ولاشك أن هذا يثير التنافس الحر بين أبناء الأمة ويشجع الحوافز النفسية على إحسان العمل وإتقانه(٣).

وهذه المساواة من ناحية أخرى لا تلغى الفوارق الفطرية، ولا تحارب الحوافز الفردية، ولاتقضى على التفاوت فى حظوظ العيش، فهو ثمرة طبيعية لهذه الحوافز وتلك الفوارق.

وهذا المال الذى خلقه الله لعباده، وسوى بينهم فى فرص الحصول عليه والانتفاع به دعا الإسلام

الناس لحيازته وتملكه عن طريق العمل المشروع والكسب الحلال، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ورزق الله لا يهبط على القاعدين والمتواكلين، وهذه الأمة التى اختارها ربها لحمل الرسالة الخاتمة والدعوة إليها، والزود عنها لن تكون أهلا لهذه المهمة المقدسة بغير العمل الذى يمكن لها فى الأرض.

إن السعى للحصول على المال فى حدود ما شرع الله فريضة واجبة وطاعة مطلوبة ولهذا تعد الملكية الفردية قاعدة النظام الاقتصادى فى الإسلام، غير أن هذه الملكية ليست إلا ملكية الانتفاع، فضلا عن خضوعها لقيود وحدود لابد منها، ومن هذه القيود أن هناك أموالا لا يجوز تملكها ملكية فردية،

الإسلام يدعو إلى حيازة المال وتملكه عن طريق العمل المشروع والكسب الحلال

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: الناس شركاء فى ثلاثة: الماء والكلأ والنار(٤)، كما روى أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال: يارسول الله، ما الشىء الذى لا يجوز منعه؟ فقال: الماء. قال: وماذا أيضا؟ قال: الكلأ، قال: وماذا أيضا؟ قال: الملح(٥).

والنص فيما نقل عن الرسول على شيوع ملكية هذه الأشياء الأربعة وهى: الماء والكلأ، والنار والملح لا يعنى أن ما سواها لا ينسحب عليه ذلك الحكم، وهو ملكيتها ملكية جماعية، لأن ما نص عليه يتلاءم مع ظروف وضرورات الحياة فى البيئة العربية، ومن المعلوم أن البيئات تختلف من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، بالإضافة إلى أن القياس - وهو من وسائل الاجتهاد فى الفقه - يفسح المجال لتطبيق ما خصصته الأحاديث النبوية على كل الموارد العامة الضرورية لحياة الجماعة ومصلحتها، ولذلك أدخل الفقهاء فى هذا الباب - أى الملكية الجماعية - جميع المرافق العامة كالطرق والجسور والخزانات وما إلى ذلك.

وقاس الإمام مالك على تلك الأمور المنصوص عليها كل ما يوجد فى باطن الأرض من معادن صلبة أو سائلة، فهو يرى أن جميع ما يعثر عليه من هذا القبيل يكون ملكا خاصا لبيت المال، لأن هذه المعادن وديعة الله فى الأرض فتكون لكل خلقه لا يختص بها إنسان دون آخر، ولو وجدت فى أرض مملوكة لفرد أو مجموعة من الأفراد أو هيئة، فهى تشبه الأمور التى ذكرها الرسول ﷺ من حيث انها من الأمور ذات النفع العام، فلا يصح أن يستأثر أحد بملكيتها، ولأنها من ناحية أخرى لا توجد إلا فى مواطن خاصة والناس جميعا فى حاجة إليها، فلو أجيز تملكها تملكا فرديا لنال الناس من جراء ذلك ضررا كبيرا(٦).

على أن إقرار الملكية الفردية فيما يجوز تملكه بالطرق المشروعة لا يمنح المسلم حرية مطلقة فى التملك والتصرف فى المال، فعليه أن يلتزم فى الانتفاع بالمال حدود الإحسان فإذا بذر، أو كنز أو وضع المال فى غير ما يجب أن يوضع فيه كان لولى الأمر حق الحجر عليه، أو رفع يده عن المال لأنه أساء التصرف، وهذه الإساءة يتجاوز خطرها الفرد إلى الجماعة، فالمال وسيلة للحياة، أو هو عصب الحياة وحين يتجاوز المسلم الحدود

فى التأميم علاج ودواء وحماية للمجتمع من عوامل القلق والتمزق والصراع الطبقى

المشروعة فى الانتفاع بالمال يصبح مسيئا، ومخلا بالوظيفة التى فرضتها ملكية المال عليه، ومن ثم يتولى الحاكم نقل حق التصرف فى المال إلى من يحسن القيام عليه، قال تعالى: **﴿ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾** النساء: آية ٥.

وإذا أحسن مالك المال ولم يكن سفيه التصرف، ثم منع ما كتبه الله من حقوق على الأموال كالزكاة والإنفاق فى سبيل الله فإن مهمة الحاكم المسلم تفرض عليه أن يأخذ تلك الحقوق ولو عنوة، ويقوم بإعطائها لأصحابها، أو إنفاقها فى مصارفها المشروعة ولنا فيما فعله الصديق ﷺ أوضح برهان على أن كل من يمنع حقا فى المال يعد مسيئا ويجب على الحاكم محاسبته دون هوادة، فقد حارب الخليفة الأول المرتدين وبعض هؤلاء كان قد منع إخراج الزكاة لخطأ فى(٧) تأويل قول الله تبارك وتعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾** التوبة: آية ١٠٣، وقال قولته المشهورة: والله لأحاربن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وليست الملكية الفردية بعد الاطمئنان إلى سلامة القيام عليها وأداء الحقوق الواجبة فيها طليقة من القيود والمسئوليات، فالمسلم جزء من كل أو عضو فى جماعة يهتم بها كما تهتم به، فبينهما تكافل مشترك لازم، وهو تكافل شامل ليس خاصا بجانب مادى أو معنوى، لأن الإسلام لا يفرق بين ما يسمى بالماديات والمعنويات، وهذا التكافل من جهة أخرى مؤسس على معنى الأخوة فى العقيدة، ولهذا يصبح له قداسة ومكانة لا يصل إليها قانون وضعى فى هذا الشأن، فإذا تعرض المجتمع الإسلامى لمشكلات اجتماعية أو اقتصادية ولم يكن هناك من سبيل لعلاج تلك المشكلات إلا تحديد الملكية الفردية أو إلغائها فى بعض الأموال فإن هذا التحديد أو الإلغاء يكون أمرا مشروعا؛ أخذا بقاعدة المصالح المرسلة، فقد واجه المجتمع الإسلامى فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلة المجاعة التى حدثت بسبب الجفاف والتى أطلق على عامها عام الرمادة، وكان من وسائل علاج تلك المشكلة توزيع الأموال والأقوات فى صورة من المساواة الكاملة لا فرق بين حاكم ومحكوم، أو غنى وفقير، بحيث أضحت الملكية الفردية غير قائمة فى ذلك العام وبحيث أصبح الناس جميعا سواء فى التعرض لمتاعب المجاعة وأخطارها.

وإذا كان الإسلام فى إقراره للملكية الفردية لايضع لها حدا معينا لا ينبغى تجاوزه، فإنه مع هذا لا يمنع من الحد منها إذا اقتضت مصلحة الجماعة ذلك، كما هو الحال عند تعرض الأمة لمشكلات يحتاج علاجها إلى مال وفير، وكذلك عندما تصبح هذه الملكية سببا لتكديس الأموال فى أيدى فئة خاصة من الناس يتداول بينهم ولا

يجده الآخرون فى هذه الحالة - تحقيقا للتوازن الاجتماعى ومنعا من تداول المال فى نطاق ضيق خاص - يبيح الإسلام الحد من الملكية الفردية عن طريق التأميم، وأخذ بعض أموال الأغنياء وتمليكه للفقراء، قال الله تعالى: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم..﴾** الحشر: آية ٧. فهذه الآية تقرر قاعدة من قواعد التنظيم الاقتصادى، وهى قاعدة تمثل جانبا كبيرا من أسس النظرية الاقتصادية فى الإسلام، فالملكية الفردية معترف بها فى هذه النظرية ، ولكنها محددة بهذه القاعدة، قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء ممنوعا من التداول بين الفقراء، فكل وضع ينتهى إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع مخالف للنظرية الاقتصادية كما يخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعى كله فى الإسلام(٨).

وتحدثنا كتب السيرة النبوية أن النبى ﷺ بعد غزوة بنى النضير منح فيئهم للمهاجرين خاصة دون الأنصار عدا رجلين فقيرين منهم، والرسول بهذا التصرف يقرر مبدأ إسلاميا صريحا هو منع انحباس الثروة فى أيدى فئة من الناس، ووجوب إقامة الحياة فى المجتمع الإسلامى على أساس من التوازن المعقول حماية لهذا المجتمع من الاضطراب والفردية البغيضة التى لا يقرها نظام الإسلام.

وخلاصة القول أن المال مال الله، وهو ملك للجماعة على وجه العموم، وأن الملكية الفردية قاعدة النظام الاقتصادى فى الإسلام، وأن هذه الملكية تخضع لقيود وضوابط وتكاليف والتزامات قابلة للقبض والبسط، فتضيق وتتسع على ضوء الضرورات المحيطة بالمجتمع(٩)، وأن ما يسمى بالتأميم أو الحد من التملك الفردى أمر مقرر مشروع، وأن نظرية هذا التأميم تنهض على ما يلى:

أولا: منع تملك الموارد الضرورية لحياة الجماعة تملكا فرديا.

ثانيا: مراعاة إقامة التوازن الاجتماعى بين كل أفراد الأمة.

ثالثا: الملكية الفردية وظيفة ذات مسئولية نحو المجتمع كله.

رابعا: مراعاة المصلحة العامة وتقديمها على المصلحة الخاصة عند التعارض.

ولا يفهمن أحد أن الإسلام بهذا يحرم المجد من ثمرة جهده، وأنه يحرض الكسالى على الإهمال والخمول، لأن هذا الدين يجعل العمل فرضا على كل قادر عليه، ويدعو إلى القوة فى مختلف المجالات، ويحض المسلم على أن يكون همته عالية تتقن ما يعهد إليها من عمل، ولهذا يصبح التأميم علاجا ودواء وحماية للمجتمع من عوامل القلق والتمزق أو الصراع الطبقى، ويظل مجتمع الإخاء الصادق والتكافل بمفهومه الشامل **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾** البقرة: آية ١٣٨.

الهوامش:

١ - انظر المقارنات التشريعية للأستاذ عبدالله حسين.

٢ - انظر أعمال المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية ص٢١٦.

٣ - انظر الاشتراكية العربية فى ضوء الإسلام للشيخ عبدالرحيم فودة ص١٢٦.

٤ - رواه ابن ماجه.

٥ - رواه أبو داود.

٦ - انظر التكافل الاقتصادى فى الإسلام للدكتور على عبدالواحد وافى ص٢٧.

٧ - انظر تفسير القرطبى جـ٨ ص٢٤٤.

٨ - انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الثامن ص٢٧.

٩ - انظر أعمال المؤتمر الثالث لمجمع البحرث الإسلامية ص٢١٧.

دعوة الإسلام إلى النظر والتفكر فى خلق الله (٣)

الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

سُئل أعرابى: كيف عرفت الله؟

فأجاب بقوله: البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على الكبير؟!!

هذا الأعرابى أرشدته فطرته السليمة، وهداه تفكيره السوى إلى أن هذا الكون الكبير الواسع بكل ما حواه، القائم على النظام والدقة والإبداع والتناسق والانسجام التام بين جميع المخلوقات فيه لابد له من خالق عظيم مبدع قادر.

ولقد أولى القرآن الكريم دعوة الإنسان إلى النظر والتأمل والتفكر فى خلق الله اهتماما كبيرا لكبح جحوده وكفره، وكسر حدة إنكاره للبعث بعد الموت، والوصول به إلى التسليم المطلق عن قناعة واقتناع بالإيمان بالله خالق هذا الكون، فكرر هذه الدعوة فى عدة سور من القرآن الكريم، وبأساليب متنوعة، وهى فى الوقت نفسه تثبت وتؤكد عناد الكافرين وفساد عقولهم، وتماديهم فى الضلال، ورفضهم الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على أن الله تعالى هو الإله الواحد الحق الذى يجب أن نخلص له العبادة والطاعة، لأنه هو وحده الخالق لكل شىء، ولأنه هو وحده الذى ينشئ من العدم، وهو وحده الذى يعيد الموتى إلى الحياة، ولأنه هو وحده الذى لا يعجزه شىء.

وقد ذكرنا فى المقالة السابقة بإسهاب وإيضاح دعوة القرآن الكريم الإنسان إلى النظر فى نفسه هو وكيف خلق؟ والتأمل والتفكر فى مراحل خلقه وتكوينه من النطفة.. وعن الحكمة فى تكرار تذكرة الإنسان بأصل خلقه من النطفة فى

عجائب النبات كثيرة الاستخدامات منها عقاقير طبية تنبت فى الأرض وتسقى من ماء واحد

***

من عجائب الأرض أن ظهرها مقر للأحياء وباطنها مرقد للأموات

آيات كثيرة من سور القرآن الكريم وبأساليب متنوعة. يقول الإمام أبو حامد الغزالى(١) ـ رحمه الله ـ وإذا عرفت ـ أيها الإنسان ـ طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الأرض التى هى مقرك، ثم فى أنهارها وجبالها ومعادنها.. ثم ارتفع إلى ملكوت السموات.

أما الأرض: فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا، وجعلها ذلولا لتمشوا فى مناكبها، وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد **﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون* والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾** الذاريات الآيتان ٤٧، ٤٨، **﴿وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها﴾** الملك: آية ١٥، **﴿الذى جعل لكم الأرض فراشا﴾** البقرة: آية ٢٢، **﴿ألم نجعل الأرض مهادا* والجبال أوتادا﴾** النبأ: الآيتان ٦، ٧.

وقد أكثر الله تعالى من ذكر الأرض فى كتابه العزيز ليتفكر الإنسان فى عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات **﴿ألم نجعل الأرض كفاتا* أحياء وأمواتا﴾** المرسلات: الآيتان ٢٥، ٢٦، فانظر ـ أيها الإنسان إلى الأرض وهى ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت فنون الأشجار وعجائب النبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأراييج والفوائد: فهذا النبات يغذى، وهذا يقوى، وهذا يحيى، وهذا يقتل، وهذا يبرد، وهذا يسخن، وهذا يفرح، وهذا ينوِّم.. إلخ الاستخدامات التى أودعها الله فى العقاقير الطبية التى تؤخذ مما تنبت الأرض من النباتات والأعشاب.. تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة.. **﴿والأرض وضعها للأنام* فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام* والحب ذو العصف والريحان* فبأى ءالاء ربكما تكذبان﴾** الرحمن: الآيات ١٠ ـ ١٣، وانظر أيها الإنسان إلى الجبال وما فيها وما تحتها وما تحت الأرض من الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والماس والمعادن كالحديد والنحاس والرصاص والنفط والكبريت .. إلخ **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين* ما خلقناهما إلا بالحق..﴾** الدخان: الآيتان ٣٨، ٣٩.

وانظر أيها الإنسان إلى الحيوانات وانقسامها: إلى ما يطير وإلى ما يمشى، وانقسام ما يمشى إلى ما يمشى على رجلين، وإلى ما يمشى على أربع، وإلى ما يمشى على أكثر من ذلك بكثير كما يشاهد فى بعض الحشرات، وإلى ما يمشى على بطنه، **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير﴾** النور: آية ٤٥، ثم

انقسامها فى المنافع والصور والأشكال والطبائع، ترى فيها من العجائب.

ولا تشك فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها، وكيف يمكن أن يستقصى ذلك؟ فالأنعام التى ألفت أيها الإنسان أشكالها وصورها وانتفعت بفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ولحومها، وتستخدم بعضها زينة للركوب، وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة، **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون* ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون* وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم* والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾** النحل: الآيات ٥ ـ ٨، لو نظرت وتأملت وتفكرت لأرشدتك إلى حكمة خالقها ومصورها، فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها، فسبحان من الأمور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر، ومن غير استعانة بوزير أو مشير، فهو العليم الخبير الحكيم القدير.

وانظر أيها الإنسان إلى البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادى والجبال والأرض كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء، وتأمل عجائب البحر فإن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر والنفط والمعادن أضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض.. ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفة تحت الماء، وانظر كيف أثبت المرجان من صم الصخور تحت الماء، وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر، ثم انظر إلى أنهار الماء العذب، وبحار الماء المالح لا يطغى أحدهما على الآخر.. ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء لتحمل الناس وأمتعتهم وتجارتهم **﴿مرج البحرين يلتقيان* بينهما برزخ لا يبغيان* فبأى آلاء ربكما تكذبان* يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان* فبأى آلاء ربكما تكذبان* وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام* فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾** الرحمن: الآيات ١٩ ـ ٢٥. **﴿وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾** إبراهيم: آية ٣٢.

وانظر أيها الإنسان إلى الهواء اللطيف الذى تستنشقه والذى تتوقف عليه حياتك، المحبوس فى طبقة بين السماء والأرض، والذى تسبح فيه الطيور بأجنحتها، وتطير فيه الطائرات ومركبات الفضاء بقدرة الله لسهولة اختراقه، والذى تضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح، فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فإن شاء جعله نشرا بين يدى رحمته لنقل لقاح الثمار وإنبات

النبات، كما قال سبحانه: ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾ الحجر: آية ٢٢، وإن شاء جعله عواصف وأعاصير مهلكة مدمرة، وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى: ﴿**إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر* تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾ القمر: الآيتان ١٩، ٢٠.

ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعد والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق.. وهذا باب يطول الفكر فيه إذ لا مطمع فى استقصائه.. كل ذلك من صنع الجبار القادر القاهر، ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل، بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته، ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته.. فيقول الجاهل المغرور: إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله، ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها، ولو قيل له: ما معنى الطبع ومن الذى خلقه؟ ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل؟ ومن الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر إلى أعالى الأغصان وهو ثقيل بطبعه؟ فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق فى داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الأوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة.. فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق؟ فإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب؟ وإن كان ينتهى بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر؟ فنهاية الجاهل بداية العاقل.

ثم انظر - أيها الإنسان - إلى ملكوت السموات وما فيها من الكواكب.. ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه الكريم. فما من سورة إلا وتشتمل على تفخمها فى مواضع، وكم من قسم فى القرآن بها، كقوله تعالى: ﴿**والسماء ذات البروج**﴾ البروج: آية ١، ﴿**والسماء والطارق**﴾ الطارق: آية ١، ﴿**والسماء ذات الحبك**﴾ الذاريات: آية ٧، ﴿**والسماء وما بناها**﴾ الشمس: آية ٥، ﴿**والشمس وضحاها* والقمر إذا تلاها**﴾ الشمس: الآيتان ١، ٢، ﴿**فلا أقسم بالخنس* الجوار الكنس**﴾ التكوير: الآيتان ١٥، ١٦، ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ النجم: آية ١، ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم* وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**﴾ الواقعة: الآيتان ٧٥، ٧٦.. فقد علمت - سابقا - أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون - وما أقسم الله بها - فما ظنك بما أقسم الله تعالى به، وأحال الأرزاق عليه، وأضافه إليه فقال جل شأنه: ﴿**وفى السماء رزقكم وما توعدون**﴾ الذاريات: آية ٢٢، وأثنى على المفكرين فيه فقال: ﴿**ويتفكرون فى خلق السموات والأرض**﴾ آل عمران: آية ١٩١، وذم المعرضين عنها فقال: ﴿**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**﴾ الأنبياء: آية ٣٢، فأى نسبة لجميع البحار وما حوت والأرض وما حملت - وهى متغيرات على القرب - إلى السماء؟ والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغيير إلى أن يبلغ الكتاب أجله؟ ولذلك سماء الله تعالى محفوظا فقال: ﴿**وجعلنا السماء سقفا محفوظا**﴾ الأنبياء: آية ٣٢، وقال سبحانه: ﴿**وبنينا فوقكم سبعا شدادا**﴾ النبأ: آية ١٢، وقال: ﴿**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها* رفع سمكها فسواها**﴾ النازعات: الآيتان ٢٧، ٢٨.

فانظر - أيها الإنسان - إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت!! وما بالك بما غاب عن الأبصار من الكرسى وعرش الرحمن والملائكة الذين هم حملة العرش!!

ارفع رأسك إلى السماء وانظر فيها وفى كواكبها، وفى دورانها، وطلوعها، وغروبها،

وشمسها وقمرها، واختلاف مشارقها ومغاربها، ودؤوبها فى الحركة على الدوام ـ من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها، بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب ـ وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها وأشكالها.. وأنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة فى خلقه ثم فى مقداره، ثم فى شكله، ثم فى لونه، ثم فى وضعه فى السماء، وقربه من وسط السماء وبعده،وقربه من الكواكب التى تجنبه وبعده عنها.. ثم الكواكب التى تراها أصغرها مثل الأرض ثمانى مرات، وأكبرها ينتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض، وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صارت صغارا.. ثم انظر إلى مسير الشمس فى فلكها فى مدة سنة، ثم هى تطلع فى كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها، ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار، ولم تعرف المواقيت، ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام، فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الراحة، فانظر كيف خلق الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا، وانظر إلى إيلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص، وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف.

إن عجائب السموات لا مطمع فى إحصاء عشر عشير من جزء من أجزائها، إنه لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء!! فإذا كان كل ما تراه ـ ومالا تراه ـ هو فى السماء الأولى فما بالك فيما هو من خلق الله فى بقية السموات السبع؟؟ **﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم﴾** البقرة: آية ٢٩، وقد أراد الله فى كل سماء ما أراده وما أمر به طبقا لمشيئته، وخلق فيها ما اقتضته حكمته من الملائكة ومن خلق لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى إنه على ما يشاء قدير: **﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين* فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾** فصلت: الآيتان ١١، ١٢.

هذه السموات السبع على عظمتها بمن فيها وما فيها، والأرض وما عليها من مخلوقات لا تعد ولا تحصى تسبح الله وتنزهه وتوحده وتمجده، ولكن أنتم يابنى آدم «لا تفقهون تسبيحهم» لأن تسبيحهم بخلاف لغتكم وفوق مستوى فهمكم، وإنما الذى يعلم تسبيحهم هو خالقهم ـ عز وجل ـ: **﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾** الإسراء: آية ٤٤.

فكر أيها الإنسان المكابر المعاند المنكر لله وللبعث وللحساب، وانظر فى نفسك وفيما حولك وفيما تحتك من أرض وأجب عن هذا السؤال: **﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾**؟ المؤمنون: آية ٨٤، ستجد نفسك تنطق: **﴿سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾** المؤمنون: آية ٨٥، وانظر فيما فوقك من سموات وأجب عن هذا السؤال: **﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾** المؤمنون: آية ٨٦، ستجد نفسك تنطق: **﴿سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾** المؤمنون: آية ٨٧.

فسبحان من عرف عباده ما عرّف ثم خاطب جميعهم فقال: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** الإسراء: آية ٨٥.

الهامش:

١ ـ إحياء علوم الدين. الجزء الخامس.

الانفتاح على حضارات الأمم

أ. د/ أحمد عبدالرحيم السايح

لقد عرف العلماء الحضارة تعاريف متباينة، وتحدثوا عنها من وجهات نظر مختلفة، ولما كانت الحضارة إنسانية المنشأ، كان علينا أن نختار من تعريفات الحضارة المتعددة، تعريفا ذكره العلامة الفرنسي «جورج باستيد» جاء فيه: إن الحضارة هي التدخل الإنساني الإيجابي لمواجهة ضرورات الطبيعة، تجاوبا مع إرادة التحرر في الإنسان، وتحقيقا لمزيد من اليسر في إرضاء حاجاته، ورغباته، وإنقاصا للعناء البشري. فالسلوك الإنساني الذي ينتج الحضارة. هو استجابة لتحد من ظروف الطبيعة، يكون هو المثير. والدافع والحافز للإنسان، كي يتغلب علي ما يواجهه، ومن ذلك عوامل في طبيعة الإنسان نفسها مثل حاجاته للطعام، والشراب. والدفء، والاستقرار، والأمن. وهناك منافسة الإنسان الآخر له علي ذلك. ثم ما يكون من قصور ظروف بيئته المادية عن تلبية هذه الحاجات.

فالحضارة تحقيق للراحة الإنسانية فى جوانبها المتعددة المتكاملة جسدية، وعقلية ونفسية، وروحية.

والسلوك الحضارى هو: جواب الإنسان على التحدى الموجه له، تحدى الطبيعة المادية من جهة، وتحدى حاجاته هو من جهة أخرى. وتحدى الإنسان الآخر، أو المجتمع من جهة ثالثة.

ويأتى هذا الجواب الإنسانى على التحدى فى صور نشاط متعدد الجوانب، كما يشمل أيضا صور الإنتاج المادى. من عمائر وطرق، وجسور، وقناطر وغيرها.

الحضارات الإنسانية سلسلة محكمة متينة الحلقات يؤثر سابقها فى لاحقها

ومن مجالات الحضارة: العقائد، والعوائد، والأدب الشعبى، وأدب الخاصة، أو الأدب الرفيع، والنظم السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية كما لا يخرج عنها تخطيط المدن والعمارة ووسائل النقل وأساليب المأكل والمشرب والزينة والترفيه.

والحضارة على أية حال تمثل. كل مظهر من مظاهر الإنتاج البشرى، وغالبا ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته، وتفاعله مع البيئة، ولذا كان من الطبيعى أن تختلف كل حضارة فى مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديمها وحديثها مظاهر متميزة.

والحضارة الإنسانية قد تتشابه فى مظاهرها، وفى عناصرها، وفى أسلوبها، ولاسيما إذا تعايشت فى جهات متقاربة، والحضارات الإنسانية سلسلة محكمة متينة الحلقات يؤثر سابقها فى لاحقها. ويتأثر حاضرها بماضيها وينتفع بعضها ببعض.

ولقد تواجدت حضارات مختلفة فى الزمان والمكان، وانتفعت من بعضها انتفاعا أدى إلى تطورها، وتقدمها.

وتشكل الحضارة مجموع الصفات والمزايا المشتركة لمجتمع، أو لمجموعة من المجتمعات، وهى تتجاوز الثقافة ومالها، وهذه الصفات تمثل مجموع الحلول التى أوجدها أو تبنتها مجموعة اجتماعية ما، وتتدمج بشكل عام فى جو واسع جدا، ومكان جغرافى طويل جدا من التاريخ.

وتستخدم هذه الأساليب المادية، والتقنية، والمفاهيم لحل جميع المشاكل التى يطرحها وجود هذه المجموعة: الاتصالات، وإصلاح وتوزيع الأراضى، واستثمار الثروات، وكذلك الحياة الاقتصادية، والفكرية، والسياسية، والدينية.

وإن أول ما يسترعى انتباه المراقب، والذى ينظر للحضارة من الخارج، هو صفاتها الجمالية، وإدراكها للجمال بشكل عام، والأساليب الفنية المعبرة عنه. ولا يخفى أن الحوار الحضارى يتم من أجل الصفات الجمالية فى الحضارة.

والباحث يجد: أن الحضارات والثقافات المختلفة تتفاعل مع بعضها، فتنتج للإنسان ما يشبع حاجته الفكرية والمادية، وبذلك فإن الحضارات الإنسانية على مر العصور تكون كلا متماسكا، يترابط بنيانه العضوى كحلقات السلسلة الواحدة، التى لا تنفصم الواحدة عن الأخرى.

ولا يمكن أن تكون كل حضارة نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى، أو أنها لم تتفاعل معها.

ونظرتنا الأساسية تقوم على أن الحضارات تأخذ وتعطى، تأخذ ما يتفق مع البنيان العقلى والفكرى للأمة، وتعطى ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال، وبطبيعة الحال فإن هذا التفسير أقرب إلى فهم روح الفكر والنشاط الإنسانى المتصل الذى بدأ تاريخه ومسيرته مع بداية الإنسان على هذه الأرض.

ولا يخفى أن النشاط العقلى والإنتاج الحضارى. لابد أن يستند إلى أدلة ملموسة والأدلة فى هذه الحالة إما مادية مثل النقوش، والآثار، والمنشآت، وكل شكل الإنتاج التكنولوجى. وإما فكرية مثل الوثائق، والمؤلفات، والكتب، والنظريات العلمية، والآراء المدونة كتابة.

ومما يحسن أن نؤكد عليه أن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة الله فى الأرض. قال تعالى: **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** البقرة: آية ٣٠.

وقد فضل الله الإنسان وكرمه. كما وضح ذلك فى قوله تعالى: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** الإسراء: آية ٧٠.

وهذه الكرامة التى اختص الله بها الإنسان، ذات أبعاد مختلفة، فهى حماية إلهية للإنسان تنطوى على احترام حريته، وعقله، وفكره، وإرادته، وهذه الكرامة تعنى فى النهاية الحرية الحقيقية، وهى تلك الحرية الواعية المسئولة التى تدرك أهمية تحملها أمانة التكليف، والمسئولية التى أشار إليها القرآن فى قوله تعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾** الأحزاب: آية ٧٢.

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكريم، وجعله مكلفا ومسئولا، فإنه من ناحية أخرى قد خلق الله له الكون بما فيه ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء.

يقول الله تعالى: **﴿وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الجاثية: آية ١٣. والتفكير الذى تنص عليه الآية هنا يقول عنه رجال الفكر إنه أمر جوهرى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان.

وإذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون، فلا

يجوز له أن يقف منه موقف اللامبالاة بل ينبغى عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفا إيجابيا. وإيجابيته تتمثل فى درسه، والنظر فيه، للاستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير. والاستفادة من كل هذه المسخرات فى الكون، لا تكون إلا بالعلم، والدراسة، والفهم، والنظر فى ملكوت السموات والأرض على هذا النحو سيؤدى إلى الرقى المادى، وفى الوقت نفسه إلى الرقى الروحى والحضارى.

وبناء على هذا المفهوم فإن المجتمع الإسلامى هو المجتمع المتحضر والمجتمع المتحضر هو الذى تكون القيم الإنسانية، والأخلاق الإنسانية التى يقوم عليها هى السائدة فيه، وهذه القيم هى التى تنمى خصائص إنسانية الإنسان، وهى التى تميزه عن غيره من المخلوقات.

وهذه القيم إنما هى قيم إنسانية ذات ميزان ثابت، وهى مقررة فى الآداب الإسلامية منذ جاءت، وما على الإنسان إلا أن يمضى فى بنائها وصيانتها فى كل المجتمعات التى يقيمها حضرية كانت أم بدوية، صناعية كانت أم زراعية، فالمهم فى كل الأحوال هو الارتقاء بالخصائص الإنسانية.

إن الحضارة الإسلامية تقوم بهذه القيم، وبهذه الأخلاق فى كل مكان وفى كل بيئة، أما أشكالها وصورها المادية، فهى كثيرة، ومتنوعة لأنها فى كل بيئة تستخدم المقدرات والمعطيات الموجودة بها فعلا وتنميتها وفقا لميزان الله الثابت، وقيم الإنسان المقررة فى الإسلام.

فالإسلام حين يدخل المجتمعات البدائية ينشئ الحضارة المناسبة لهذه المجتمعات وحين يدخل المجتمعات المتقدمة صناعيا، أو زراعيا، أو غير ذلك فإنه يستخدم كل ما لديها من معطيات، ويقيم حضارة هذه المجتمعات مستفيدا مما لديها.

وإذا كان هذا هو عمل الإسلام حينما ينشئ حضارة. فإن هذه الحضارة التى دعا إليها الإسلام تتميز بأنها: منفتحة الحدود الفكرية، والنفسية، والمادية، والنصوص الإسلامية التى تعلن هذه الحقائق كثيرة. روى فى هذا المجال (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها).

ويقول ابن رشد (إن ألفينا لمن تقدمنا من الأمم السابقة نظرا فى الموجودات، واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، تنظر فى الذى قالوه من ذلك، وما أثبتوه فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم.

وسيرا فى ضوء هذا المنهج الإسلامى وجدنا العصور الذهبية للمسلمين تفتح صدرها لامتصاص المعرفة الإنسانية المادية التى خلفتها فى الأمم والشعوب حضارات سالفة.

وعلى الرغم من تمايز المقاصد، والغايات، والمثل. فإن تجارب الإنسانية فى الوسائل والنظم والمؤسسات، قد تكون صالحة فى أحيان كثيرة للاقتباس مع التطويع والتمثيل والاستلهام.

إن العناصر الخارجية ضرورية حتمية لا تستغنى عنها حضارة مهما سمت وارتقت أنها تمتزج لتكون صيغة جوهرية تختلف من تراث إلى آخر. وهذه العناصر الخارجية تأتى بطريق الاقتباس الإرادى المباشر المقصود.

والاقتباس والنقل عملة متداولة بين الشعوب قاطبة. فكل حضارة أبدعت، ونقلت وأخذت، وأعطت، ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل، فالنقل ليس وباء وإنما هو غذاء والاستعارة ليست عارا وإنما هى فخار.

فالتأثيرات الحضارية والاستعارات الثقافية والأفكار، والآراء والنظريات المتبادلة بين الأمم والشعوب، إنما هى ظاهرة صحية طبيعية سليمة لا خطر فيها، ولا خوف منها، لأنها تعمل على تطوير الحضارات.

وتطور الحضارات والتقاؤها - وهو معلم من معالم التاريخ الحضارى للإنسانية وتفاعل هذه الحضارات عندما تلتقى - هو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه لكنه تم دائما وأبدا وفق هذا القانون الحاكم الذى يميز بين ماهو مشترك إنسانى عام تفتح له الأبواب والنوافذ بل ويطلبه العقلاء، ويجدون السعى فى تحصيله، وبين ماهو خصوصية حضارية يدققون فى حذر قبل استلهامه وتمثله، ويعرضونه على معايير حضارتهم لفرز ما يقبل منه، ويتمثل من ذلك الذى يرفضونه لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية وقيمهم الاعتقادية.

لقاء الحضارات:

والمدرك لأبعاء لقاء الحضارات وتفاعلها يلحظ بوضوح. أن المسلمين لم يكونوا يفتقرون إلى أى تفتح إذ كانت نواة التفكير فيهم قد تكونت، كما كانت بين أيديهم نظرية كونية شاملة. أمدهم بها القرآن، فكانت بمثابة العمود الفقرى. لكل تفكير عقلى، وتحرك عملى وعلمى.

وقد أقبل المسلمون على علوم اليونان، والهنود، وأصحاب الحضارات القديمة يغترفون منها ما كان فى وسعهم أن يغترفوا، لكن تلك العناصر التى التهموها قد تحولت على أيديهم لتكون غذاء جديدا.

إن العلماء المسلمين وهم يستوعبون نتاج الحضارات القديمة، والمذاهب والأفكار ويستعينون بها فى عملية البناء. كان رائدهم فى ذلك البحث عن الحقيقة لذاتها، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

لقد أخذ المسلمون ما أخذوا لأنهم طلاب حقيقة. وهذا حسبهم. أنهم لم يقدموا على النقل والاقتباس للتجمل، والزينة، وليباهوا الناس بكثرة الأحجار الكريمة بل لبناء الذات واستكمال أسباب الحياة.

لقد كان المسلمون ينظرون فى كل شىء ويبحثون فى كل فج، ويستفيدون بكل حديث وقديم، وينقبون عن كل علم، ويسيرون وراء كل حكمة، ويأخذون العبرة من الماضى، وينطلقون للمستقبل، ويستفيدون من القديم، ويبنون الجديد، وكانت لهم جولات وجولات فى كل ناحية من نواحى الحياة فى العمل، وفى الحكمة، وفى الأخلاق، وفى الفلسفة، وفى الطب، والهندسة، والجغرافيا، والفلك والصناعة، والكيمياء، والصيدلة، والزراعة، والتاريخ، والقصص، واللغة، والحيوان، والفيزياء، والأحجار، والبحار، والمعادن.

ولم يدخر المسلمون جهدا فى البحث عن تراث الأمم السابقة، واضطلع المسلمون رغم ما عانوه من جهد بالتعرف على اليونانية القديمة، والفارسية، والهندية وغيرها من الثقافات التى نما إلى علمهم أنها موجودة فى أى صقع أو قطر.

لقد امتصت العقلية الإسلامية الغذاء الذى قدمه ميراث العالم القديم الضخم. بعد أن أصبح متوفرا باللغة العربية، فأدى ذلك إلى تطور الحضارة وقيام مدارس الفلسفة، والعلوم والفنون المختلفة. التى سيطرت على أفق الحضارة الإسلامية نتيجة لتطبيق مبادئ الإسلام على أشكال المعرفة المختلفة التى ورثها المسلمون عن الشعوب ذات الحضارة العريقة.

التفاعل الحضارى

وليس هناك شك فى أن الفتح الإسلامى للامبراطورية الفارسية، ودخول الفرس بمواريثهم الحضارية الغنية، فى إطار الدولة الإسلامية قد أتاح أوسع الفرص لتفاعل حضارى واسع وعميق وخلاق بين الحضارة الفارسية، وبين الفكر الإسلامى.

لقد فتحت فارس على عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى فى الدولة الإسلامية: النيل، ودجلة،

والفرات، ولم يتردد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تبنى النظام الفارسى فى ضريبة الأرض الزراعية والذى كان يسمى وضائع كسرى. وظل سائدا ومعمولا به حتى فى ظل الدولة العباسية.

فأنت ترى أنه فى عهد عمر بن الخطاب تم استلهام خبرة، وتجربة حضارية فارسية فى طريق تقدير الضريبة على الأرض الزراعية.

وحضارة مصر، والشام، والشمال الأفريقى كانت ذات ميراث بيزنطى استفادت منها حضارة الإسلام فى تدوين الدواوين وهو خبرة إدارية بيزنطية.

ولاشك أن تفاعلا حضاريا فى مختلف العلوم والفنون قد أخذ دوره فى محيط الحضارة الإسلامى من واقع تأثيرات التمازج والمخالطة.

ويكاد يكون معروفا أنه ليس فى الحضارات القديمة حضارة تثير الدهشة والإعجاب كالحضارة اليونانية لأن هذه الحضارة جمعت آثار الحضارات البابلية، والمصرية، والفينيقية، والفارسية، ثم أضافت إليها آثارا فنية رائعة، ومذاهب فكرية مبتكرة، ومبادئ خلقية سامية يتجلى فيها الإبداع بأقوى مظاهره.

ولاشك أن للعوامل التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية، تأثيرا فى تكوين الحضارات ولكن هذه الأسباب لا تكفى لتفسير ما تميزت به حضارة اليونان من قوى الإبداع والابتكار، ولقد سعى المسلمون إلى ترجمة العلوم الطبيعية اليونانية آخذين إياها من مصادرها الشرقية فى البلاد التى فتحوها فترجموا تراث اليونان فى الطب والكيمياء، والهندسة، والرياضيات، والميكانيكا، والزراعة، والمناظر، والحساب، والمنطق وغيرها من العلوم الطبيعية والعلمية والتجريبية.

ويستطيع الدارسون للحضارة الإسلامية أن يدركوا فى وضوح: أن الحضارة الإسلامية قد وصلت بين قديم الحضارات وجديدها، بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت إليه من صنع توجيهاتها.

وأنقذت العالم مما كان يعيش فيه من فوضى، وانهيار، واضطراب، واستعباد، وظلم، وأعطت مجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية، والتعايش السلمى بين الجميع.

وأعطت الإنسانية ذخيرة حية من المعارف، أفاد منها الغرب فى حركاته الإصلاحية واعتمد عليها العالم الإسلامى فى صحوته العلمية وعودته الصادقة.

ووضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث كطريقة الشك عند الغزالى، والتكامل الخلقى والسلوكى عند الحكيم الترمذى.

كم فتحت آفاقا جديدة فى البحوث الإنسانية والدراسات الاجتماعية كفلسفة التاريخ عند عبدالرحمن بن خلدون وعلم البصريات عند ابن الهيثم وابتدأت مرحلة جديدة فى تطوير علوم الرياضيات على يد الخوارزمى وعمر الخيام.

وقد ساعدت الحضارة الإسلامية بآدابها على نهضة الآداب فى أوروبا وفتحت آفاقا جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه.

كما ساعد خلفاء الحضارة الإسلامية وقادتها بأخلاقهم، وسلوكهم، وبنماذج المروءة والشرف والقيم التى تحلوا بها على إشاعة المثل الخلقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السلم أو فى الحرب.

والتفاعل الحضارى ضرورة إنسانية لابد منها لقيام الحضارات وتقدم الإنسان فى كل ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان ويشيع فى المجتمعات الإنسانية السلام والأمن.

في لقاء وزير الأوقاف بأعضاء هيئة التدريس المبعوثين للخارج

تصحيح صورة الإسلام فى الخارج مسئولية جميع المسلمين

وراء الأخبار

منير بيومى

المبعوثون للخارج لهم دور مهم وحيوى فى المرحلة الراهنة لتصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام وتقديم صورة إيجابية عن ديننا الإسلامى الحنيف من خلال سلوكياتهم وثقافتهم وممارستهم اليومية خاصة فى دول الغرب وأمريكا.

أكد على ذلك الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى لقائه مع المبعوثين للخارج من أعضاء هيئة التدريس المصرية بالجامعات والمعاهد والمدرسين المساعدين والمعيدين بالدورة التثقيفية بمعهد إعداد القادة التابع لوزارة التعليم العالى والتى أدارها الدكتور السيد الحسينى مدير المعهد.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن تصحيح صورة الإسلام فى الخارج أصبح مسئولية جميع المسلمين فى هذه المرحلة التى تصاعدت فيها حدة الهجمات والافتراءات وتشكك فى قيمه وتعاليمه وأن الاستناد إلى المنطق العلمى والموضوعى له دور أساسى فى إنجاح الجهود التى تبذل فى هذا الصدد.

الأيام تشهد بصدق الرؤية المصرية فى التحذير من خطورة الإرهاب وضرورة التصدى له عالميا

وقال وزير الأوقاف إن الإرهاب الذى يعانى منه العالم اليوم يؤكد صدق الرؤية المصرية التى حذرت من خطورته وكانت سباقة فى الدعوة التى نادى بها الرئيس مبارك منذ سنوات بعقد مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب، ومن الظلم البين الربط بين الإسلام كدين وبين الإرهاب الذى يحدث على يد قلة لا تفهم دينها فهما صحيحا فيسيئون إليه بتصرفاتهم وأفكارهم ويتسببون فى استعداء العالم ضد هذا الدين الذى يرفض قتل النفس الإنسانية التى كرمها الله.

وأوضح د. زقزوق أن الحضارة الغربية المعاصرة لها إيجابيات وسلبيات وعلى العقل الإسلامى أن يستفيد من المنجزات الحضارية فى كل ما ينفع ويعلى شأنه ويدفع مسيرته نحو التقدم ويرفض ما يتنافى مع قيمه وثوابته.

وطالب الوزير الشباب المبعوثين أن يتحملوا مسئولياتهم فى التعريف بالإسلام الصحيح وحضارته العريقة من خلال سلوكياتهم وعلاقاتهم المتوازنة مع المجتمعات وأن يكونوا عناصر فاعلة قادرة على الأخذ والعطاء ترفض الانعزال والانكفاء على الذات، فالغرب يتزايد إقباله بصورة ملحوظة فى التعرف على

الإسلام، وقيمه بما يعد فرصة لتقديم العطاء الحضارى للإسلام بسماحته ورقيه وسمو تعاليمه.

وأوضح أن مصر بلد الأزهر الشريف رمز للوسطية والاعتدال تنشر تعاليم الإسلام السمحة من خلال علمائها فى أنحاء العالم.

ونفى د. زقزوق ما يشاع عن صدام الحضارات مشيرا إلى أن الحضارات هى أرقى ما وصل إليه الإنسان من تقدم مادى وروحى، فالحضارات تتكامل وتتفاعل من أجل خير البشرية فالحوار الثقافى بين الإسلام والغرب لم ينقطع منذ أكثر من ١٤ قرنا رغم كل النزاعات والخلافات التى طرأت على مدى التاريخ.

وقرر وزير الأوقاف إهداء أعضاء هيئة التدريس من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كتاب «حقائق إسلامية فى مواجهة حملات التشكيك» باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية لإثراء وعيهم الدينى وتوضيح موقف الإسلام من العديد من القضايا والافتراءات التى تثار ضده نتيجة للمفاهيم الخاطئة التى أثيرت فى الغرب.

مجمع البحوث يوافق على تداول كتاب أجنبى حول تاريخ الإسلام

وافق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف على تداول كتاب أجنبى بعنوان «الإسلام منذ عهد النبى ﷺ إلى سقوط القسطنطينية» يتحدث عن تاريخ الإسلام، ويتناول بعض الموضوعات التى تدخل فى الشريعة وتمس العقيدة والقيم فى الإسلام.

حيث أوضح تقرير المجمع أن الكتاب تحدث عن النظام الإسلامى، عامة وعن الحضارة الإسلامية ونظام الحكم فيها، وتميزه عن النظام الأوروبى، كما تحدث عن اتفاق الديانتين الإسلامية والمسيحية فى نقاط عديدة، وإمكان تعايش المسلمين مع المسيحيين باستعمال نفس المنطق، والأفكار العامة مؤكدا أنه ليس فى الإسلام كهانة ولا مجامع تقرر شيئا فى العقيدة.

وأشار التقرير إلى أنه ليس فى الكتاب ما يعد تهجما على العقيدة الإسلامية، وعلى الشريعة جملة، وأن المؤلف أورد فى موضوع الجهاد آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ «مترجمين» وغلَّبَ فى فهمها الجانب العلمى، كما اهتم بالحروب والقتال، وسلوك بعض الحكام المسلمين لاسيما فى الخلافة الأموية أو العباسية أو فى عهد المغول والتتار.

كما انتقى المؤلف من أقوال مؤرخى السلف من المسلمين ما يتفق مع فكرته العامة عن انتشار الإسلام فى ربوع الأرض عن طريق الفتوحات والحروب، وهى - كما يؤكد تقرير المجمع - قضية قديمة تناولها المؤرخون والمستشرقون وحظيت من علماء المسلمين بالاهتمام والرد عليها.

ويختتم المجمع تقريره بتوضيح أن الكتاب فى جملته له قيمته العلمية لدى الغربيين، ولم يتناول الإساءة إلى الإسلام كعقيدة أو شريعة بطريقة مباشرة أو ظاهرة، كما أن به بعض الصفحات التى يظهر فيها الانصاف لبعض الصحابة، وبعض الخلفاء، والقواد، وعليه لا يوجد سبب لمنع تداوله.

في بيان مجمع البحوث الإسلامية

دعوة شعب العراق إلى التمسك بوحدته لمنع الفتنة التى يراد إشعالها بين طوائفه

دعا مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الشعب العراقى إلى التمسك بوحدته والإسراع بوأد الفتنة فى مهدها قبل أن تستفحل ويستعصى أمرها على التدارك والعلاج.

وجاء فى البيان الذى أصدره بعد جلسة طارئة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن الأزهر الشريف تابع بقلق وأسى أنباء العنف الذى استهدف بعض المدن العراقية وما أسفر عنه من سقوط مئات من القتلى والجرحى، وأنه ليؤكد أن ضحايا هذا العنف كلهم أبناء وطن واحد يستظل بالعروبة وبدين الإسلام ويتسع صدره لتعدد الأصول العرقية وتنوع الطوائف.

ودعا البيان الذى أصدره مجمع البحوث الإسلامية المسلمين بأن ينتبهوا إلى القوى التى تعمل فى دأب ونشاط على إخفاقهم وعلى إبقاء الشعب العراقى مشغولا بنفسه، وإجهاض مسيرته نحو الاستقلال والاستقرار ليظل بعيدا عن المشاركة الفعالة فى مرحلة هى من أخطر المراحل فى تاريخ الأمة العربية والإسلامية.

وأكد البيان أن الدعوة إلى توحيد الصف وتأليف القلوب ينبغى أن يكون شاغل المسلمين جميعا دفعا للشر الكبير الذى يحيط بنا امتثالا لقول الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾** ولقوله: **﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾**.

وشدد المجمع فى بيانه على تذكير الأمة والرأى العام العالمى كله بمأساة الشعب الفلسطينى على أرض فلسطين والتى يسقط على ثراها كل يوم عشرات من الشهداء ويتعرض شعب بأكمله لخطر الإبادة والتصفية الكاملة تحت سمع العالم كله وبصره.

وأضاف البيان أن أبناء العراق هم وجميع العرب والمسلمين فى أشد الحاجة اليوم إلى تحقيق الأمن والاستقرار، وتوحيد الجهود حتى يتجاوزوا معا محنة الاحتلال الأجنبى وما صاحبه من معاناة يكتوى بنارها الشعب العراقى كله.

البريطانيون يقبلون على الإسلام

أكدت دراسة بريطانية علمية حديثة أن الإسلام ينتشر بشكل ملحوظ فى أوساط صفوة المجتمع البريطانى بعد أن كرهوا نمط الحياة الغربية.

وأوضحت الدراسة التى أعدها الباحث البريطانى المسلم يحيى بيرت «جوناثان بيرت سابقا وهو نجل اللورد بيرت مدير هيئة الإذاعة البريطانية السابق أن أكثر من ١٤ ألف بريطانى بينهم عدد من كبار ملاك الأراضى ومشاهير المجتمع وشخصيات بريطانية بارزة اعتنقوا الإسلام فى السنوات القليلة الماضية، وأن معظمهم تأثر بكتاب الدبلوماسى البريطانى المسلم تشارلز لوجاى ايتون «الإسلام وقدرة الإنسان» الذى قال فيه أنه تلقى العديد من الخطابات من أشخاص قالوا إنهم يبحثون عن دين لا يقدم تنازلات للحياة الحديثة ووجدوها فى الإسلام.

ومن جانبهم بدأت قيادات الجاليات الإسلامية حملة لتحديث الخطاب الدينى الإسلامى واستخدام الوسائل الحديثة فى نشر الدعوة الإسلامية كالإنترنت.

وصلت البشرية إلى مرحلة أصبحت المعلومات فيها هى مصدر القوة وخاصة فى ظل العولمة والانفتاح على الآخر، وفى ظل وسائل الاتصال فائقة السرعة والقدرة معا على تخطى حواجز الزمان والمكان ليصبح العالم كله قرية صغيرة كما يرى علماء الاتصال فى العصر الحديث.

ومجتمع المعلومات هو ذلك المجتمع الذى يحسن استخدام المعلومة لمعرفة خلفيات وأبعاد الأمور المختلفة والمتتابعة، ليس فى المحيط الاجتماعى فقط وإنما فى العالم كله.

الثـــورة المعلومـــاتية ودورها الفـعـــال فى التنمـيـة

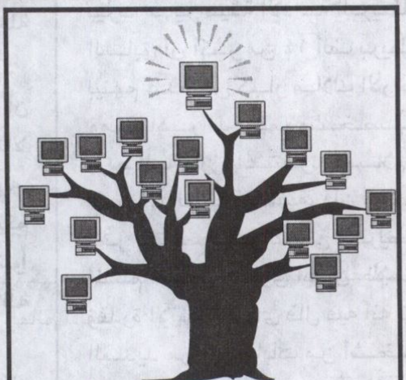

إعداد: أحمد حسن
صباح المصرى

ثورة المعلومات والتغيير الاجتماعى:

وهذه الثورة المعلوماتية تتشابه مع الثورة الصناعية التى قامت فى أوروبا إبان القرن ١٨ وأدت إلى انتقال العالم إلى تاريخه الحديث من الازدهار والتطور المادى الملموس.

فبينما قامت الثورة الصناعية على الآلات والمعدات المستخدمة فى الصناعات المختلفة، فإن ثورة المعلومات أو الثورة المعلوماتية تعتمد أساسا وترتكز على نمو «المحتوى الرقمى المعرفى» فكلما انخفض المحتوى المادى لهذه التكنولوجيا كلما زادت تقدما، وهو ما يفتح الباب واسعا أمام الدول النامية لإحراز تقدم فى هذا المجال إذا ما أولت هذا الجانب الاهتمام اللازم، لذلك يجب على الدول النامية ألا تكون مستهلكا للمعلومات التى تصدرها لها الدول المتقدمة فقط بل يجب أن تتحول إلى شريك كامل فى عملية صناعة تكنولوجيا المعلومات وذلك من خلال استخدام هذه التكنولوجيا فى التعليم والصحة وتحديث الأداء الحكومى والإدارى من خلال مشروع الحكومة الإلكترونية.

أهداف ثورة المعلومات:

يجب ألا يقتصر تأثير ثورة المعلومات على تحقيق المكاسب الاقتصادية فقط بل يجب أن يؤدى إلى تقوية الروابط الثقافية والاجتماعية بين الأمم وتحقيق السلام الاجتماعى والديمقراطى واحترام حقوق الإنسان مع الحفاظ على الهوية الوطنية والحفاظ على الخصوصيات والثقافات والديانات والقيم والمعايير الاجتماعية المختلفة.

البعد الإنسانى والفجوة المعرفية:

لابد من انتقاء المعلومة المعرفية ووضعها فى مكانها المناسب لها حتى تستطيع أن تقوم بمهامها على أكمل وجه وتحقيق الفائدة المرجوة منها، وكذلك لتحقيق الأهداف التنموية المتفق عليها دوليا مع وضع البُعد الإنسانى موضع الاعتبار فى التعامل بين عالمين هناك تباعد بينهما فى عوامل كثيرة أهمها تزايد اتساع الفجوتين التقنية والمعرفية.

الواقع المعرفى العربى:

جاء فى تقرير «التنمية الإنسانية العربية» لعام ٢٠٠٣م والذى يصدر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائى أن المجتمع العربى ليواكب التوجه العالمى نحو إقامة مجتمع المعرفة ويثير العديد من القضايا المهمة حول الواقع المعرفى العربى وسبل النهوض به كمدخل للتنمية العربية الشاملة وحتى تستطيع الأمة العربية الوصول إلى حد مقبول من الوفاق الفكرى حول برنامج قومى يساعد الأمة على أن تتبوأ مكانة لائقة فى العالم إبان هذا القرن الجديد فى ألفية المعرفة، وحتى يتحقق ذلك لابد من رؤية استراتيجية وديمقراطية مع الارتقاء بالقيم وتوطيد العلم ليلائم واقعنا.

رؤية استراتيجية:

وقد أقامت مصر عدة مؤتمرات ومعارض لتكنولوجيا المعلومات على أرضها واستضافت «بيل جيتس» الذى يمثل أسطورة صناعة تكنولوجيا المعلومات فى العالم. فوجوده بمصر يقربها من دائرة الضوء داخل قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

إقامة مجتمع المعرفة فى الوطن العربى وتحقيق التنمية الشاملة يتطلب رؤية استراتيجية وديمقراطية ترتقى بالقيم وتوطد العلم

التحول نحو تكنولوجيا المعلومات:

إن التحول نحو نمط إنتاج المعرفة، وكذلك تأسيس نموذج معرفى عربى أصيل ومنفتح ومستنير.. وهذه الأساسيات والمحاور الخمسة قد أفصح عنها السيد الرئيس بالفعل فى القمة العالمية الأولى للمعلومات أثناء انعقادها فى جينيف للوصول بالأمة العربية والإسلامية إلى المكانة المرجوة لها والمناسبة والملائمة لوضعها العظيم فى هذا العالم بالفعل.

ولأن «المعرفة نفسها سلطة» مثلما قالها فرنسيس بيكون من قرون طويلة، وكذلك تنبأ عالم الاجتماع الأمريكى «ألفين توفللر» بأن عالم الغد سيحمل لنا حكومات غير تقليدية ألا وهى الحكومة الإلكترونية ويصبح كل شىء فائق السرعة والرمزية، وقد أصبح هذا بالفعل أمرا واقعا وأصبح المجتمع الدولى عبارة عن قرية كونية صغيرة تتبادل المعلومات والاتصالات فى اللحظة نفسها.

قطوف

قال تعالى: ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما﴾ الطلاق: آية ١٢.

المؤمن الكامل هو الذى يتجه إلى الله ويخشاه فى نفسه بعيدا عن مظاهر النفاق والمراءاة، وهو الذى يصغى إلى كلمات الحق تبارك وتعالى ويعمل بما جاء فيها ساعيا فى تقديم الخير لمخلوقاته..

الإيمان

محمد سيد أحمد

والمؤمن الحق يخضع لأمر الله وكلامه ويتمسك بشريعته، وهو القادر على تثبيت إيمانه فى الدنيا والآخرة قال تعالى: **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾** إبراهيم: آية ٢٧.

والحق تبارك وتعالى يتعهد من اختاره لعمارة الأرض ـ خليفة ـ ويبين للإنسان طريق الخير والرشاد، ويحذره من طريق الضلال والخسران عن طريق إرسال الرسل مبشرين ومنذرين وترك له حرية الاختيار على أن يتحمل نتيجة اختياره، إن خيرا فخير وإلا فلا يلومن إلا نفسه، وما ربك بظلام للعبيد.

وقد شمل الله تبارك وتعالى برحمته جميع الناس، ولكنهم مختلفون فمنهم من يتبع إيمانه الفطرى المطابق لهداية رسل الله، ومنهم من يرتد عن ذلك، ولا يستطيع الإنسان أن يؤدى واجباته على خير وجه إلا إذا كان قلبه عامرا بالإيمان. يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿والعصر* إن الإنسان لفى خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات* وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** العصر: الآيات ١ ـ ٤.

مبادئ المجتمع الإسلامى

سأل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل عندما أراد أن يرسله إلى بلاد اليمن ليتولى القضاء عن المنهج الذى سينتهجه هناك قائلا: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء، فردَّ معاذ قائلا: «أقضى بكتاب الله» قال رسول الله ﷺ: فإن لم تجد؟ قال معاذ: فبسنة رسول الله»، قال ﷺ: فإن لم تجد؟ قال معاذ: «أجتهد رأيى ولا آلو»، ـ أى لا أقصر ـ فوافقه رسول الله ﷺ وامتدحه على حسن إدراكه. قال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** آل عمران: آية ١٠٤.

الاستقامة

عن علقمة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾** الأنعام: آية ٨٢، شق ذلك على المسلمين فقالوا: وأينا لم يظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس بذلك ألم تسمعوا إلى قوله تعالى: **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾** لقمان: آية ١٣».

رواه الإمام البخارى ـ كتاب الإيمان باب ظلم دون ظلم (٨٧/١)

وعن الأسود بن هلال عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ

أنه سأل أصحابه عن هاتين الآيتين: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** الأحقاف: آية ١٣، وقوله تعالى: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾** فقالوا استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أى بشرك.

وعن الحسن رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أمتى ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله ما ذكرك بهذه الآية. قال: «إن اليهود قالوا ربنا الله فلم يستقيموا فقالوا فى عزير عليه السلام ما قالوا، وإن النصارى قالوا ربنا الله فلم يستقيموا فقالوا فى المسيح ما قالوا، وإن أمتى قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يشركوا».**

قال أبو عبدالله الاستقامة: اسم لفعل، ولكل فعل حَدَّان، فحد منه مبتدأه، والحد الآخر منتهاه، فالاستقامة مبتدأها انتصاب القلب لله تعالى رقا وعبودية وتذللا وإلقاء باليدين سلما فهذا أول العبودية ومبتدأ الاستقامة، ثم قد يروغ - يتعبد - يمينا وشمالا عن الانتصاب لله تذللا وخشعة، وينااله تجبر الكبرياء ثم يتوب ويرجع إلى الله تعالى ويعود إلى مقامه من التذلل ويصير إلى الاستقامة فلا يزال هذا دأبه هكذا ومرة هكذا.. يقطع عمره على هذه الصفة فيختم له بإحدى المنزلتين، ومن أيد فى الاستقامة

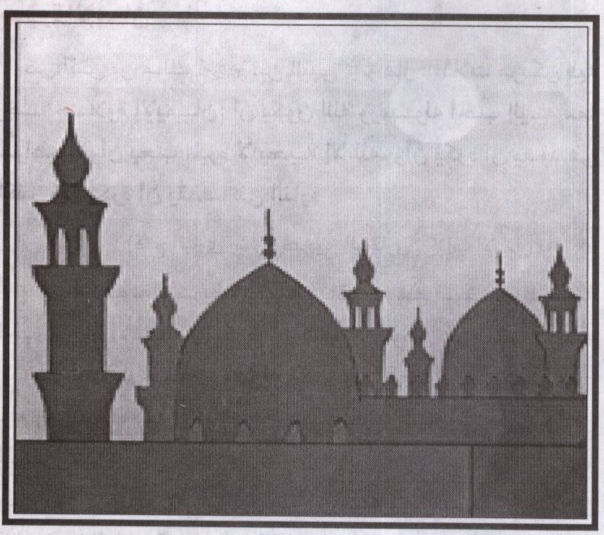

حتى يمر إلى الله تعالى، فلا يروغ فى سيره واستقام على الباب بعد موت شهواته فهذا منتهى الاستقامة.

وعليه فالاستقامة معناها فى الآية **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** أى اشتاقوا إلى لقائه وإذا نزل العبد منزلة المشتاقين إلى الله لا تزول استقامته **﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾** والإيمان على ذلك معناه.. طمأنينة القلب إلى الله واستقرار النفس بما استقر عليه القلب فذلك النور، واكتساب القلب به يكرم صاحبه وعليه يثاب ربه ويجوز الصراط إلى دار السلام فإذا أذنب فالذنب ظلمة فقد ألبس ذلك النور ظلمة وهو قول رسول الله ﷺ: **«إذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء، فإن عاد نكت أخرى، فلا يزال كذلك حتى يسود القلب فإذا تاب نزع صقل قلبه - يعنى - يرفع عنه تلك النكت؛ فينجلى القلب بنوره بمنزلة شمس خرجت عن كسوفها فتجلت».**

وأقل ظلم ترك أصغر شىء من أمر الله، وأعظم الظلم هو الشرك بالله.

(نوادر الأصول فى معرفة أحاديث الرسول جـ٢ ص٦٤٣)

وعن سخيرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أعطى فشكر، وابتلى فصبر، وظُلِمَ فغفر، وظلم فاستغفر، ثم سكت فقيل: ماله يارسول الله؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».**

حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»**

(فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ كتاب الإيمان باب ٩)

بدأ الحديث الشريف بقوله (ثلاث) وهو مبتدأ والجملة الخبر وجاز الابتداء بالنكرة لأن التنوين عوض عن المضاف إليه والتقدير ثلاث خصال وقوله (كن) أى حصلن وهى تامة وفى قوله (حلاوة الإيمان) استعارة تخيلية حيث شبه رغبة المؤمن فى الإيمان بشىء حلو، وأثبت له لازم من لوازمه وأضافه إليه. كما شبه الله تبارك وتعالى الكلمة الطيبة وهى كلمة الإخلاص بالشجرة الطيبة وهى أصل الإيمان وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهى، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جنى الثمرة، وغاية كماله تناهى نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها.. وقوله (أحب إليه) منصوب لأنه خبر يكون، قال البيضاوى: المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعافى الدواء بطبعه فينفر منه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، وعبر رسول الله ﷺ عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة وجعل رسول الله ﷺ هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان، لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع فى الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط وأن الرسول ﷺ هو الذى يبين له مراد ربه اقتضى ذلك منه أن يتوجه بكليته إلى الله ورسوله ﷺ، فلا يحب إلا من أحب الله ورسوله ﷺ ولا يحب إلا من أجل الله ورسوله ﷺ ويتيقن أن مجالس الذكر رياض الجنة فلا يتجاهلها وأن العود إلى الكفر إلقاء فى النار.

وصف الإيمان

قال ﷺ: **«بنى الإسلام على خمس»** والإيمان قول وفعل، ويزيد وينقص، قال الله تعالى: **﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ـ وزدناهم هدى ـ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ـ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ـ ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾**، وقوله: **﴿أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا﴾**، وقوله جل ذكره: **﴿فاخشوهم فزادهم إيمانا﴾** وقوله تعالى: **﴿وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾**. والحب فى الله، والبغض فى الله من الإيمان.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى بن عدى: «إن الإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبنيها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص.

وقال إبراهيم: ﴿ولكن ليطمئن قلبى﴾.

وقال معاذ «اجلس بنا نؤمن ساعة».

وقال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله».

وقال ابن عمر: «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك فى الصدر».

وقال مجاهد: ﴿شرع لكم من الدين﴾: أوصيناك يا محمد وإياه دينا واحدا.

وقال ابن عباس: ﴿شرعة ومنهاجا﴾: سبيلا وسنة. دعاؤكم إيمانكم لقوله عز وجل: **﴿قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾** ومعنى الدعاء فى اللغة الإيمان.

(فتح البارى بشرح صحيح البخارى أ كتاب الإيمان باب ١)

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

الخروج من المنزل وترك المذياع على إذاعة القرآن

السؤال من القارئة، س. أ. ر. من محافظة القاهرة، تقول:

ما رأى الدين فيمن يخرج من منزله ويترك المذياع مفتوحا على إذاعة القرآن الكريم دون أن يستمع إليه أحد؟ القصد من ذلك هو أن قراءة القرآن الكريم فى المنزل بركة؟

الجواب: الظاهر من السؤال أن النية هى حصول البركة فى المنزل بقراءة القرآن، والحديث الصحيح يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» فالله يجزيك خيرا على نيتك، ولكن ينبغى أن نعلم أن بركة القرآن هى فى تلاوته واستماعه والعمل به، وتعليمه ونشره، والتفقه فيه وغير ذلك من الفضائل، مع عدم التفاخر والتباهى بإذاعة القرآن، فالرياء مذموم كما هو معروف.

وترك المذياع مفتوحا على إذاعة القرآن الكريم دون الاستماع إليه من الشخص أو من غيره من الناس كالجيران مثلا، لا نقول إنه عبث أو إسراف فى استهلاك الكهرباء أو إهدار للمال بغير فائدة، ثم نغفل أن الملائكة تستمع إلى القرآن كما فى حديث البخارى ومسلم أن رجلا كان يقرأ سورة الكهف فتأثر بالقراءة فرسه المربوط بجواره، ولما أخبر الرسول ﷺ بذلك قال: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»، وحديث مسلم «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة**».

وتحدث بعض الناس عن هذين الحديثين فقالوا: «تنزل الملائكة لقراءة القرآن ونفور الشيطان محله إذا كان الذى يقرأ إنسانا حيا، أما القرآن المسجل فلا ينال هذه الكرامة، لكن هل هناك دليل على ذلك؟ الأمر اجتهادى، ولكل مجتهد رأيه، ومع الأمل فى الثواب لسماع الملائكة للتسجيلات ونفور الشيطان لا ننسى ما قد يكون من ضرر، وبخاصة إذا كان صوت المذياع عاليا يؤذى الجيران المحتاجين للراحة، فالعبادة المقبولة أيا كانت يشترط فيها عدم إيذاء الغير، روى أحمد أن النبى ﷺ اعتكف فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة وهم فى قبة لهم، فكشف الستور وقال «**ألا إن كلكم مناج لربه، فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفعن بعضكم على بعض بالقراءة**».

خَلْق الرسول ﷺ من نور

السؤال من القارئ، معوض كرم الدين معوض، من المنصورة، بمحافظة الدقهلية، يقول:

هل صحيح أن الرسول محمد ﷺ أول خلق الله وأنه خلق من نور وكثيرا ما نسمع مقولة الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله؟

الجواب: ليكن معلوما أن مقام النبى ﷺ كبير وشرفه عظيم، والنصوص فى ذلك أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، وهو فى غير حاجة إلى اختلاق أمور تزيده شرفا وتكريما، وقد تحملنا شدة حبه على وضعه فوق ما يستحقه، وهو القائل **«لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم»**، ولكن قولوا: **عبد الله ورسوله»** رواه البخارى، أو على نسبة أحاديث إليه لم يقلها، وقد حذر من ذلك بقوله فى حديث الصحيحين **«من كذب علىَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»**.

بعد هذا أقول: هل صحيح أنه أخبر عن نفسه بأنه أول خلق الله، وهل هذا الخبر تبنى عليه عقيدة لو أنكرها الإنسان يكفر؟

مبدئيا أقول: إنه قد رويت عنه أحاديث تفيد أنه أول خلق الله، لكنها أولا أحاديث آحاد، وثانيا لم يتفق على صحتها، وبذلك لا يكفر منكرها. لكنها تقبل فى مقام تأكيد تكريمه عليه الصلاة والسلام.

وقد حاول بعض العلماء أن يثبت هذه الأولية بشكل أو بآخر.

جاء فى كتاب **«الدر النظيم فى مولد النبى الكريم»** لابن طُغْرُبَك: يروى أنه لما خلق الله تعالى آدم ألهمه أن قال: يارب لم كنَّيتنى أبا محمد؟ قال الله تعالى: **«ياآدم ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى نور محمد فى سرادق العرش، فقال: يارب ما هذا النور؟ قال: هذا نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء أحمد وفى الأرض محمود، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا»**.

يقول القسطلانى فى «المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى»: ويشهد لهذا ما رواه الحاكم فى صحيحه عن عمر مرفوعا «إن آدم عليه السلام رأى اسم محمد مكتوبا على العرش، وأن الله تعالى قال لآدم: **لولاه ما خلقتك»**، وروى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله ما يفيد أن النبى ﷺ أخبره أن نوره هو أول شىء خلق، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض.. وهناك روايات فى كيفية تجوُّل هذا النور ودورانه فى عوالم وحجب وأسرار.

وكما قلت: إن النبى ﷺ قد تقرر فضله العظيم، وإذا كنا نريد أن نبرهن على حبنا له فذلك يكون باتباع سنته والتزام هديه، فهو القائل **«من أحبنى فليستن بسنتى»** رواه أبو يعلى بسند حسن، وحبنا له وسيلة لحب الله تعالى الذى يقول: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾** آل عمران: آية ٣١.

حكم الأكل على الصحف

السؤال من القارئ، ع. م. أ. من محافظة القاهرة، يقول:

ما حكم من يأكل على الصحف والجرائد ويجلس عليها؟

الجواب: سبقت الإجابة على السؤال فى عدد شعبان ١٤١١هـ ونصه: ما حكم الدين فى استخدام أوراق الصحف وفيها آيات قرآنية يفرشها للطعام أو لف الطعام وغيره؟

والجواب: المفروض أننا نحترم الآيات والأحاديث والأسماء المقدسة التى تكون فى أى شىء، ولما كانت الصحف على اتساع حجمها فيها الكثير من هذه الأشياء التى لا يحدد لها موضع خاص كان من الصعب أن نعطى الاحترام والواجب للمقدسات التى فيها، ومن هنا كان علينا أن نقوم بقدر الإمكان بصيانة هذه المقدسات عن كل مظاهر الاحتقار والاستهزاء، فلا نمسح بها قاذورات و نلف بها نجاسات أو نجلس عليها للاستراحة، وياحبذا لو جمعت هذه الصحف وأعيد تصنيعها ورقا نظيفا مرة أخرى للاستفادة منه فى الأزمة الشديدة.

فالخلاصة أنه بقدر الإمكان نصون ما فيه آيات عن كل ما يلوثه أو يزرى بقدره، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

من أدرك التشهد ثم أقام للصلاة فى الجمعة

السؤال من القارئ، د. محمود أبو النصر جاد الله، من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول: دخل المسجد لصلاة الجمعة فأدركها والمصلون فى التشهد فجلس ثم أقام فصلى ركعتى الجمعة؟ فهل صلاته صحيحة؟

الجواب: جاء فى «فقه المذاهب الأربعة» نشر الأوقاف أن من فاته إدراك الإمام فى أول ركعة من الجمعة فإن أدرك معه الركعة الثانية، أتمها جمعة - بمعنى أن يأتى بركعة واحدة بعد سلام الإمام - وإن لم يدرك معه الركعة الثانية - كالصورة التى فى السؤال - أتمها ظهرا، يعنى يقوم بعد سلام الإمام فيصلى أربع ركعات هى الظهر، مع أنه نوى مع الإمام صلاة الجمعة، وهنا يأتى هذا القول: نوى ولم يصل، وصلى ولم ينو. يعنى نوى الجمعة ولم يصلها، وصلى الظهر ولم ينوه وهذا الحكم عند جمهور الفقهاء، أما أبو حنيفة فيقول: إن الجمعة تدرك مع الإمام فى أى جزء من صلاته ولو فى تشهد سجود السهو، فيتمها جمعة، أى يصلى ركعتين فقط.

تسليمة واحدة

السؤال من القارئ، أحمد فاروق محمد، من محافظة القاهرة، يقول: أمَّ بنا رجل فسلم بنا واحدة عن يمينه فهل يجوز الاقتصار على واحدة؟

الجواب: جاء فى فقه المذاهب نشر وزارة الأوقاف أن السلام للخروج من الصلاة ركن من أركانها فتبطل بدونه عند جمهور الفقهاء، وهو مرة واحدة عندهم أيضا، أما التسليمة الثانية فهى سنة لو تركها عمدا صحت الصلاة، ما عدا الإمام أحمد بن حنبل فإنه يقول إنها فرض أيضا كالتسليمة الأولى، إذا تركت بطلت الصلاة، وهذا الحكم هو للمنفرد والإمام والمأموم، وعليه فإن الإجابة على السؤال هى صحة الصلاة بالاقتصار على تسليمة واحدة عند الجمهور.

مكان الإمام فى الصلاة

السؤال من القارئ، أحمد السيد عبد العال، من مدينة نصر بمحافظة القاهرة، يقول: إذا أم رجل صبيين فأكثر فهل يجعلهما خلفه أو عن يمينه؟

الجواب: جاء فى كتاب فقه المذاهب نشر وزارة الأوقاف أن الإمام إذا كان معه رجل واحد أو صبى مميز وقف المأموم ندبا عن يمين الإمام مع تأخره قليلا، وإذا كان معه رجلان قاما خلفه ندبا، وكذلك إذا كان خلفه رجل وصبى، يعنى يكون الإمام فى الوسط، فإن وقف عن يمين المصلين أو عن يسارهم فقد خالف السنة، والإمامة صحيحة.

أكثر من جماعة للصلاة فى أماكن العمل

السؤال من القارئ، وليد شحاتة، من محافظة الجيزة، يقول: هل يجوز أن تقام الصلاة بأكثر من جماعة فى مكان واحد والمسافة بينهما قد لا تتجاوز أمتار أو أدوارا مثلما يحدث فى مبانى الحكومة؟ فقد نرى أن هناك جماعة تقيم الصلاة فى دور وجماعة أخرى تقيم الصلاة فى دور آخر؟

الجواب: تعدد الجماعات فى أمكنة مختلفة وليست فى المسجد الواحد لا بأس به، كالعاملين فى بعض المؤسسات ذات البناء الواسع أو متعدد الأدوار، كل جماعة يصلون فى مكان أو فى دور من أدوار المؤسسة.

أما تعدد الجماعات فى المسجد الواحد ففيه خلاف للفقهاء، فالشافعية قالوا: تكره إقامة الجماعة فى مسجد بغير إذن إمامه الراتب مطلقا، قبله أو بعده أو معه، إلا إذا كان المسجد مطروقا، أو ليس له إمام راتب أو كان له إمام راتب وضاق المسجد عن الجميع، أو خيف فوات الوقت، فلا كراهة، وقريب من ذلك قال الحنابلة.

الحــج وترك الصــلاة

السـؤال من القـارئ، ع. م. ن، من محـافظة القاهرة، يقول:

ما حكم من حج وهو تارك للصلاة سواء كان عامدا أو متهاونا؟

الجواب: جاء فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى «ج٨ ص١٨٥» فى غفران الحج للذنوب أن ظاهر حديث **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»** الذى رواه البخارى ومسلم، أن الحج يغفر الصغائر والكبائر والتبعات - أى حقوق العباد - لكنه مخصوص بالمعاصى المتعلقة بحقوق الله خاصة دون العباد، وقيل: المعتمد أنه لا فرق بينهما فى سقوط الإثم دون الحق، ولا تسقط الحقوق أنفسها، فمن كان عليه صلاة أو كفارة ونحوها من حقوق الله لا تسقط عنه، لأنها حقوق لا ذنوب، إنما الذنب تأخيرها، فنفس التأخير يسقط بالحج لا هى نفسها. فلو أخره بعد الحج تجدد إثم آخر، فالحج المبرور يسقط إثم المخالفة لا الحقوق، وقال ابن تيمية: من اعتقد أن الحج يسقط ما وجب عليه من الحقوق كالصلاة يستتاب وإلا قتل، ولا يسقط عنه حق الآدمى بالحج إجماعا.

ويؤخذ من ذلك أن الذى يحج وهو تارك للصلاة لا يعتقد أن الحج يكفر عنه الصلاة ولا تجب إعادتها، بل تجب عليه إعادتها سواء أكان تركه لها عمدا أوتهاونا، فإن من تركها سهوا أو نسيانا يجب أن يعيدها، للحديث الصحيح فى ذلك **«من نام عن صلاة أو سها عنها فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك»** فمن باب أولى يعيدها إذا تركها عمدا.

ومن أراد الاستزادة من الموضوع فليرجع إلى: المواهب اللدنية للقسطلانى ج٢ ص٣٢٨، فتاوى ابن تيمية ج١٨، وحاشية عوض على الخطيب فى فقه الشافعية ج١ ص٢١٦.

دعاء صلاة الصبح

السؤال من القارئ، محمد عصوة أحمد، من محافظة الفيوم، يقول:

هل الدعاء عقب الركوع فى صلاة الصبح بدعة؟

الجواب: الدعـاء فى الاعتدال من الركوع فى الركعة الثانية من صلاة الصبح يطلق عليه اسم القنوت، والقنوت فى الصبح مشروع عند النوازل كبقية الصلوات حيث يكون فى الاعتدال من الركعة الأخيرة، أما فى غير النوازل فللفقهاء فيه أقوال، خلاصتها:

قال الحنفية والحنابلة بعدم مشروعيته، مستدلين بما رواه ابن حبان وابن خزيمة وصححه عن أنس: أن النبى ﷺ كان لا يقنت فى صلاة الصبح إلا إذا دعا لقوم أو دعا عليهم، وقال المالكية والشافعية بمشروعيته، ودليلهم ما رواه الجماعة إلا الترمذى أن أنس بن مالك سئل: هل قنت النبى ﷺ فى صلاة الصبح؟ فقال: نعم. وما رواه أحمد والبزار والدارقطنى والبيهقى والحاكم وصححه عن أنس قال: مازال رسول الله ﷺ يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا.

ومناقشة هذه الأدلة وبيان الأرجح من الأقوال يمكن الرجوع إليه فى كتاب «زاد المعاد» لابن القيم. ويمكن الجمع بين روايات الإثبات وروايات النفى بأن هؤلاء المروى عنهم كانوا يقنتون أحيانا ولا يقنتون أحيانا أخرى، لأنه سنة وليس بفرض ولا واجب، والمثبت مقدم على النافى كما هو معلوم، وإذا كان بعض الصحابة لم يقنت لأنه لم يره من النبى ﷺ فإن عدم الرؤية لا يدل على النفى المطلق.

وأرجو عدم التعصب لأى رأى، فأثر التعصب خطير، وبخاصة أنه فى سنة وليس فى فرض وقد وضحت هذا الموضوع فى المجلد الثالث من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

هل هناك شروط لزى الإمـــام؟

السؤال من القارئ، عبدالله مصطفى جاد حسين، من محافظة المنيا، يقول:
ما رأى الدين فيمن يؤم المصلين وهو يرتدى ملابس عليها كتابات من الخلف وهل للإمام من شروط فى زيه؟

الجواب: مادامت الكتابات التى على الملابس ليس فيها مخالفة شرعية لو لبسها الإنسان وصلى بها فلا حرج عليه، ولو كان إماما فى الصلاة وكانت الكتابة تشغل المأمومين كانت الملابس مكروهة، أما لو كانت لا تشغلهم فلا كراهة فى إمامته، وإن كان من السنة ألا يشغل المصلى بشىء يصرفه عن الخشوع سواء أكان منفردا أم إماما أم مأموما.

أما شروط زى الإمام فلا تزيد على شروط زى المصلى وأهمها ستر العورة وكونها من غير الحرير الطبيعى المحرم لبسه على الرجال، وكذلك طهارة الثياب. أما الشروط الخاصة بالإمام غير الزى والملابس فأهمها ألا يكون به عذر كسلس البول، فلا تصح إمامته إلا لمعذور مثله فى هذا العذر بالذات، أما المعذور بغير سلسل البول كانفلات الريح فلا تصح إمامة المعذور بالسلس له عند الجمهور، ومن شروط الإمام ألا يكون امرأة تصلى بالرجال، أما إمامة المرأة للنساء فجائزة عند الجمهور.

صلاة الجمعة فى مركب صيد

السؤال من قارئ، من المنيل، بمحافظة القاهرة، يقول:
هل تجوز صلاة الجمعة لعدد من الرجال خرجوا ليصطادوا صيد نزهة فى عرض البحر أم أن يؤدوا صلاة الظهر فقط، وأيضا بالنسبة للصيادين وهذه حرفتهم وعملهم هل لهم أن يؤدوا صلاة الجمعة فى المركب التى يعملون عليها؟

الجواب: من خرج يوم الجمعة متنزها فى عرض البحر لصيد السمك يعتبر كالمسافر، وقد قال الشافعية: إن السفر بعد فجر يوم الجمعة حرام إلا إذا ظن المسافر أنه يدرك صلاة الجمعة فى طريقه أو كان السفر واجبا كالحج الذى ضاق وقته وخاف فوته أو كان لضرورة كخوفه فوات رفقة يلحقه ضرر بفوتهم، وقال المالكية: يكره السفر بعد الفجر إذا كان لا يدركها فى طريقه، وقال الحنفية: لا يكره السفر قبل الزوال يوم الجمعة.

وأقول لهؤلاء المتنزهين بالصيد فى عرض البحر يوم الجمعة: إن بعض العلماء أوجب عليكم صلاة الجمعة، وبعضهم لم يوجبها، ويكتفى لصلاة الظهر فى الحالين، وأما الصيادون المحترفون فلا يجب عليهم أن يصلوا الجمعة بل ولا تصح فى المركب التى يعملون عليها، بل يصلون الظهر، لأن بعض العلماء قال: لا تصح الجمعة إلا فى مسجد والمركب ليس فيها مسجد.

أصـوات أثناء الصـلاة

السؤال من قارئ، من محافظة الجيزة، يقول:
مـا رأى الدين فى النحنحة فى الصلاة والنفخ والبكاء وهل يبطل ذلك الصلاة؟

الجواب: جاء فى كتاب «فقه المذاهب» نشر وزارة الأوقاف: أن مما يبطل الصلاة التنحنح إذا بان منه حرفان فأكثر، وذلك إذا كان لغير حاج كتحسين صوته حتى تخرج الحروف من مخارجها تامة، أو يهتدى إمامه إلى الصواب ونحو ذلك، فإنه لا يبطل الصلاة، وكذلك إذا كان التنحنح ناشئا بدافع طبيعى فإنه لا يبطل الصلاة.

والمالكية قالوا: التنحنح لا يبطل الصلاة وإن اشتمل على حروف مبطلة، سواء كان لحاجة أو لغير حاجة على المختار عندهم، مالم يكن كثيرا أو تلاعبا، وإلا أبطل الصلاة.

والشافعية قالوا: يعفى عن القليل من التنحنح إذا لم يستطع رده، وإلا فلا يضر كثيره أيضا، وكذلك إذا تعذر عليه النطق بركن قولى كقراءة الفاتحة فلا يضر.

والنفخ والأنين والتأوه والبكاء إذا اشتمل على حروف مسموعة تبطل به الصلاة، إلا إذا كان ناشئا عن خشية الله أو مرض لا يستطيع منعه، فلا تبطل به الصلاة، واشترط الشافعية ألا تشتمل هذه الأشياء على حرفين أو أكثر، فيعفى عن القليل ولا يعفى عن الكثير، والموضوع مفصل فى المرجع المذكور.

قـــــــراءة المـــأمـــــــوم

السؤال من قارئ، من محافظة القاهرة، يقول: ما حكم قراءة المأموم للفاتحة خلف الإمام ومتى يقرؤها؟

الجواب: القراءة خلف الإمام إما أن تكون الفاتحة وإما أن تكون السورة أو الآية، فقراءة المأموم للفاتحة واجبة عند الإمام الشافعى إلا إذا كان مسبوقا بجميع الفاتحة، أو ببعضها فإن الإمام يتحمل عنه ما سبق فى الركعة الأولى إن كان الإمام أهلا للتحمل، ودليله حديث البخارى ومسلم **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**، وعند الحنفية مكروهة كراهة تحريم فى الصلاة السرية والجهرية لحديث **«من كان له إمام فقراءة الإمام قراءة له»** وهو حديث ضعيف، وقد أُثِرَ هذا المنع عن ثمانية من كبار الصحابة وإعمالا للنص قال الشافعى: إن عدم قراءة المأموم خاص بالسورة لا بالفاتحة. وعند المالكية: إن القراءة خلف الإمام مندوبة فى الصلاة السرية مكروهة فى الصلاة الجهرية، إلا إذا قصد مراعاة الخلاف فتندب، وكذلك الحنابلة قالوا: إنها مستحبة فى السرية وفى سكتات الإمام فى الجهرية، وتكره حال قراءة الإمام فى الجهرية.

هذا هو حكم قراءة الفاتحة، أما قراءة غيرها فهى سنة عند الشافعية إذا لم يسمع المأموم قراءة الإمام. أما إذا سمع فلا تسنّ له، وقال الحنفية: لا يجوز للمأموم فى الجهرية وإن لم يسمع أو سكت الإمام، وقد روى فى ذلك حديث عبادة بن الصامت قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال «إنى أراكم تقرأون وراء إمامكم» قال: قلنا يارسول الله إى والله، قال: **«لا تفعلوا إلا بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأها»** رواه أبو داود والنسائى والدارقطنى وكلهم ثقات.

هذا وقد روى أبو داود وأحمد والترمذى ـ وقال حديث حسن ـ عن الحسن بن سمرة أن النبى ﷺ كان يسكت سكتتين: إذا استفتح الصلاة ـ يعنى بعد تكبيرة الإحرام ـ وإذا فرغ من قراءة الفاتحة. قال الخطابى: إنما كان يسكت فى الموضعين ليقرأ من خلفه، فلا ينازعونه القراءة إذا قرأ.

وفى الحديث المتقدم الذى رواه أبو داود وغيره قال النووى عن أصحاب الشافعى: يسكت قدر قراءة المأموم للفاتحة. وقد ذهب إلى استحباب هذه السكتات الثلاثة ـ قبل دعاء الاستفتاح، وبعد الفاتحة وقبل الركوع ـ الأوزاعى والشافعى وأحمد وإسحاق. وقال أصحاب الرأى ـ أبو حنيفة وأصحابه ـ ومالك: السكتة مكروهة.

وللمأموم أن يختار من هذه الآراء ما يشاء دون تعصب ضد من اختار رأيا آخر. والموضوع مبسوط فى تفسير القرطبى «ج١ ص١١٧ ـ ١٢٧» لمن أراد الاطلاع على أدلة الأقوال ومناقشتها، فيرجع إليه.

من مبطلات الصلاة

السؤال من القارئ/ وليد شحاته من محافظة الجيزة، يقول: ما حكم تساقط المياه على الثياب بعد الاستنجاء وقد خالطت محل الاستنجاء وهل سقوطها على الملابس تبطل الصلاة؟

الجواب: الماء الذى يتساقط على الملابس بعد الاستنجاء هو ماء طاهر، حتى الذى يتساقط أثناء الاستنجاء، لأنه ماء مستعمل، وحكمه أنه طاهر غير مطهر، وعليه فتصح الصلاة فى الملابس التى سقط عليها ماء الاستنجاء.

عاشوراء

السؤال من القارئ/ ممدوح أمين، من المنيل بمحافظة الجيزة، يقول: يحرص الناس على صيام يوم عاشوراء، فما هو أصل مشروعيته؟

الجواب: روى البخارى ومسلم عن عائشة - رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يصوم عاشوراء قبل هجرته من مكة إلى المدينة، اتباعا لقريش فى صيام هذا اليوم فى الجاهلية، ويعلل عكرمة صيام قريش له بأنهم أذنبوا ذنبا فى الجاهلية فعظم فى صدورهم فقيل لهم: صوموا عاشوراء يكفر ذلك الذنب، وفى رواية أيضا عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه، وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان قال **«من شاء صامه ومن شاء تركه»**.

وفى رواية لهما عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون عاشوراء فقال لهم **«ما هذا الذى تصومونه»**؟ فقالوا: هذا يوم عظيم، نجَّى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه وأمر بصيامه، وجاء فى بعض الروايات قوله **«نحن أولى بموسى منهم»** يؤخذ من هذا وغيره أن صيام يوم عاشوراء قديم قبل الإسلام، وصامته قريش والرسول فى مكة، وصامه الرسول فى المدينة أيضا قبل أن يفرض رمضان، وبعده.

ومعروف أن عاشوراء من أيام شهر الله المحرم، وهو من الأشهر الحرم التى يضاعف فيها ثواب الحسنات، وروى مسلم أن النبى ﷺ قال **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»**، قال الحافظ السيوطى: لِمَ خَصَّ الرسول شهر المحرم مع أن سائر الشهور فيها ما يساويه فى الفضل أو يزيد عليه كشهر رمضان؟ وأجاب: أن أسماء الشهور كانت على ما كانت عليه فى الجاهلية، وكان اسم المحرم صفر الأول فلما جاء الإسلام سماه الله المحرم، وذكر ابن الجوزى أن اسم المحرم كان فى الجاهلية (بائق) ونقلت أسماء أخرى لها لا يهمنا معرفتها، والمهم أن الرسول ﷺ صامه، وقال فى فضله كما رواه مسلم **«يكفر السنة الماضية»**، وجاءت روايات ضعيفة عن سبب تقديس العاشر من المحرم وضحتها فى كتابى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام»، وصيام الرسول له فى المدينة قيل كان بوحى أو باستدامة صيامه فى مكة، أو باجتهاد، كتأليف قلوب اليهود كالتوجه إلى بيت المقدس فى الصلاة، وذلك فى أول الإسلام، فلما فتحت مكة وقوى الإسلام خالف الرسول أهل الكتاب فى شكل صيامه لا فى أصله، وذلك بصيام يوم التاسع معه كما رواه مسلم فى العام المقبل، لكنه توفى قبل أن يصومه.

... تكريم يوم عاشوراء

السؤال من القارئ، بيومى خلف بيومى، من طهرمس، من محافظة الجيزة، يقول: نرى بعض البلاد الإسلامية تكرم يوم عاشوراء وتدعو إلى التوسعة على العيال فيه، فما حكم الدين فى ذلك؟

الجواب: تكريم هذا اليوم هو بصيامه ولم يكن هناك شىء آخر فى عهد الخلفاء الراشدين حتى كان يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة، وهو اليوم الذى استشهد فيه الحسين بن على - رضى الله عنهما - فى كربلاء فدخل يوم عاشوراء التاريخ مرة أخرى، وعلى الرغم من مرور أربعة عشر قرنا على هذا الحادث فإن آثاره مازالت باقية تظهر فى الاحتفال بذكراه فى بعض البلاد الإسلامية، ودعا ذلك إلى اختراع أحاديث تبرر أعمالهم هذه.

جاء فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى «ج٨ ص١٢٣» أن الحديث الذى يقول **«من وسع على عياله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها»** رواه الطبرانى والبيهقى وأبو الشيخ، وقال البيهقى: إن أسانيده كلها ضعيفة. وصحح بعض العلماء بعض هذه الأحاديث، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات، وفيه كلام كثير، ولكن قد يقال: إذا كان الصوم شعيرة عاشوراء، وهو يقوم على الزهد والتقشف فكيف يتفق ذلك مع التوسعة على العيال والأهل، ولئن كانت هناك توسعة فلتكن على الفقراء كالبر فى رمضان، وجاء فى الزرقانى أيضا أن ما يذكر من فضيلة الاغتسال فيه والخضاب والإدهان والاكتحال ونحو ذلك فبدعة ابتدعها قتلة الحسين كما صرح به غير واحد.

تكرار المعصية

السؤال من القارئ/ عبد الرحمن على من محافظة المنوفية، يقول:

أنا شاب وأبلغ من العمر ١٩ عاما وأصلى والحمد لله ارتكبت المعاصى فى يوم من الأيام وندمت بعد ذلك وتبت إلى الله ولكن بعد فترة أغوانى الشيطان فعدت للمعصية. فماذا أفعل؟

الجواب: إذا كانت التوبة صحيحة بالإقلاع عن المعصية والندم عليها والعزم الصحيح على عدم العود إليها كانت مقبولة إن شاء الله، أما إذا انتفى واحد من هذه الأمور فهى مرفوضة، مع ملاحظة أن المعصية إذا كانت متعلقة بحق آدمى كالسرقة فلابد من رد المسروق أو عفو المسروق منه.

وإذا صدقت التوبة ثم لعب الشيطان به فارتكبها مرة ثانية وجبت التوبة مرة ثانية بإخلاص حتى يغفر الله الذنب، ولو تكرر ذلك وهو العصيان ثم المبادرة بالتوبة ثم الوقوع فى العصيان كان خيرا، والعبرة كما قلت بأن يكون العزم على عدم العود صحيحا خالصا، فإن كان بمجرد اللسان كان كالمستهزئ بربه.

الأطفال ولبس الحرير

السؤال من قارئ، من محافظة القاهرة، يقول:

هل يحرم على الأطفال لبس الحرير؟

الجواب: التكليف بالأحكام الشرعية لا يكون إلا بالبلوغ بعلامته المعروفة أو السن المحددة وهى خمس عشرة سنة قمرية، والحديث معروف «**رفع القلم عن ثلاث: عن الصبى حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**».

فالأطفال الذين لم يبلغوا يجوز لهم أن يلبسوا الحرير الذى حرم على الرجال البالغين، وهذا إذا قاموا هم بذلك، لكن لو قام الآباء أو الأمهات بإلباسهم الحرير بأنفسهم كانت فيه مؤاخذة، لأن المفروض فيهم أن يعودوا أطفالهم على الخير والحلال، كالصلاة والصيام، وليس على الحرام كالحرير والذهب وغير ذلك.

شركات الدخان

السؤال من قارئ، من محافظة القاهرة، يقول:

ما حكم الإسلام فى شركات الدخان ومن يعمل بها وأيضا فى مصانع تنتج أنواعا من المياه الغازية وأنواعا من البيرة؟

الجواب: سبق الكلام على حكم التدخين والتعامل معه فى عدد صفر ١٤٠٥، ١٤١٣هـ وهو يتلخص فى ثلاثة آراء: التحريم مطلقا، الحل مطلقا لعدم ورود ما يحرمه، التحريم عند الضرر الذى لا يحتمل، والكراهة عند عدمه، والأدلة مبسوطة فى الجزء الأول من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» ومن حكم شرب الدخان يعرف حكم من يصنعه ويتاجر فيه، أما المياه الغازية فمادامت لا تسكر فهى حلال، أما البيرة فهى من المسكرات، والإسلام حرم كل مسكر ومفتر.

الحاقن والمحقون

السؤال من قارئة، من محافظة القاهرة، تقول:

هل من الأفضل تأجيل إعطاء الحقن التى تؤخذ فى العضل إلى ما بعد الصلاة لأنه يشاع أن كلا من الحاقن والمحقون يبطل وضوؤه؟ وهل يعتبر ذلك لمس عورة؟

الجواب: إذا أعطى رجل حقنة لامرأة فى العضل أو العرق ومس جسدها بدون حائل انتقض وضوء كل منهما عند الإمام الشافعى، ولم ينتقض عند الإمام أبى حنيفة، والإمام مالك يقول: إن وجدت اللذة أو قصدت انتقض الوضوء، وإلا فلا، وقد سبق توضيح ذلك بالأدلة فى عدد جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ فيرجع إليه.

العمل والزى الإسلامى

السؤال من قارئة، من محافظة القاهرة، تقول: عملى يحتم على أن أرتدى زيا خاصا لا يتفق مع كونى مسلمة ومتدينة ومحجبة بمجرد وصولى إلى العمل أقوم بخلع الحجاب وبعد انتهاء العمل أرتديه، فما حكم الإسلام فى ذلك؟

الجواب: حجاب المرأة أمر مقرر شرعا لا جدال فيه، وقد جاء مفصلا فى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ولابد من دراسته ومعرفة ماهو واجب وماهو مندوب، واختلاف الفقهاء فى بعض صوره، وهى كلها لمصلحة المرأة ومصلحة الأسرة والمجتمع، والأمر به من الله والرسول ﷺ لابد من الطاعة فيه والمحافظة عليه، ولا تجوز المخالفة فيه إلا للضرورة القصوى التى يترتب عليها ضياع الأصول والكليات المقررة لكل إنسان، فمن المقرر أن الضرورات تبيح المحظورات، ومن المقرر أيضا أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

ولابد من معرفة مقومات الحجاب وما يمكن أن يكون منه واجبا وما يكون مندوبا حتى يمكن أن نجيب على هذا السؤال، فربما يكون عن النقاب وهو ستر الوجه، أو على غطاء الرأس والتزام الملبس الذى لا يصف ولا يشف، فمن المقرر أنه لا يمكن الحكم على الشىء إلا بعد تصوره ومعرفته.

وأكرر القول بإنه يجب التفقه فى الدين عامة، ومعرفة حكم الحجاب وتفاصيله بوجه خاص، فمن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين كما ثبت فى الحديث الشريف، والأمور الخلافية لا يجوز التعصب فى بعض أحكامها حتى لا تتعقد الأمور، فقد يكون فى بعضها حل للمشكل أو تيسير للعسير.

زيارة القبور

السؤال من القارئ/ أبو بكر عبد الحميد حسن رضوان، من دار السلام بمحافظة القاهرة، يقول:

ما حكم الإسلام فى قيام البعض بتخصيص أيام معينة لزيارة القبور؟

الجواب: جاء فى كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» نشر أوقاف مصر أن زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة.

ومن جهة الوقت قال الشافعية: تتأكد من عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت، وهو قول راجح عند المالكية، وقال الحنفية: تتأكد يوم الجمعة ويوما قبلها - أى الخميس - ويوما بعدها - أى يوم السبت. وأما الحنابلة فقالوا: لا تتأكد الزيارة فى يوم دون يوم.

وجاء فى «مشارق الأنوار» للعدوى ص٦٥ ما نصه: أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب عن محمد ابن واسع قال: بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده، قال ابن القيم: الأحاديث والأخبار تدل على أن الزائر متى جاء علمَ به المزور وسمع كلامه وأنس به وردَّ عليه، وهذا عام فى حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت فى ذلك، قال: وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت.

وأثر الضحاك هو: من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لمكان قربه من يوم الجمعة.

فالخلاصة أن زيارة القبور مستحبة فى كل الأوقات، وما جاء بتأكيدها فى أيام معينة كالخميس والجمعة والسبت لا يصح به دليل كما قال ابن القيم.

إحصان الزوجة

السؤال من قارئة من محافظة الجيزة، تقول: ما حكم الدين فيمن يسافر ويترك زوجته مدة طويلة؟

الجواب: معلوم أن الزواج شركة يتعاون فيها الزوجان على توفير الأمن والراحة والسكن لكل منهما ولمن يأتى من ذريتهما، وحين يبتعد أحد الزوجين عن الآخر يحس بالفراغ وينتابه القلق للاطمئنان على نصفه الآخر، وإذا طال أمد البعد قوى ألم الفراق وربما أحدث مرضا أو أمراضا، وعند طلب العلاج قد يكون الزلل إن لم يكن هناك عاصم من دين وحصانة من أخلاق.

جاء فى المأثور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع - وهو يتفقد أحوال الرعية ليلا - زوجة تنشد شعرا تشكو فيه بُعْدَ زوجها عنها بغيابه مع المجاهدين، ولولا تمسكها بدينها ووفائها لزوجها لانحرفت، فَرَقَّ عمر لحالها وقرر لكل غائب أمداً يعود بعده إلى أهله. ذكر هذه القصة القرطبى فى تفسيره وابن كثير فى التفسير، وابن الجوزى فى سيرة عمر والسيوطى فى تاريخ الخلفاء.

وينبغى ألا تزيد مدة الغياب على أربعة أشهر وهى المدة التى ضربها الإسلام للمولى من امرأته، أى الذى يحلف ألا يقربها، قال تعالى: ﴿**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم* وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم**﴾ البقرة: الآيتان ٢٢٦، ٢٢٧.

فإنه يطالبه بعد هذه المدة بأحد أمرين، الأول الفىء أى الرجوع عن يمينه، وذلك بمعاشرتها، والثانى التطليق، بل جعل أبو حنيفة الأشهر الأربعة أجلا لوقوع الطلاق، تطلق المرأة بمجرد انقضائها إن لم يعاشرها الزوج، هذا وإذا خافت الزوجة على نفسها الفتنة إذا غاب زوجها عنها فلها الحق فى رفع الأمر إلى القضاء للتصرف ليعود زوجها أو يطلقها حسب القانون الموضوع لذلك.

واختلف أصحاب مالك القائلون بذلك فى الحد الأدنى للتغيب التى تعتبر إضرارا بالزوجة، وتسوغ لها طلب التفريق فقدرها بعضهم بثلاث سنين، وقدرها آخرون بسنة، وبهذا الرأى جاء قانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩م (مادة ١٢) إذا غاب الزوج سنة فأكثر بلا عذر مقبول جاز لزوجته أن تطلب إلى القاضى طلاقها بائنا إذا تضررت من بعده عنها ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه.

(مادة ١٣ إذا أمكن وصول الرسائل إلى الغائب وضرب له أجل وأعذر إليه بأنه يطلقها عليه إن لم يحضر للإقامة معها أو ينقلها إليه. فإذا انقضى الأجل ولم يفعل ولم يبد عذرا مقبولا فرق القاضى بينهما بتطليقة بائنة. وإن لم يمكن وصول الرسائل إلى الغائب طلقها القاضى عليه بلا إعذار وضَرْبِ أجل.

الزوجة ومعاملة الزوج

السؤال من قارئة من محافظة الجيزة، تقول: هل من الإسلام أن تعيش المرأة فى البيت كمًا مهملا ينظر إليها بمنظار أسود وتعامل كجارية؟

الجواب: المرأة كالرجل لكل منهما حقوق وعليه واجبات قال الله تعالى: ﴿**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**﴾ البقرة: آية ٢٢٨، وفى الأسرة التى جعلها الله للسكن، والمودة والرحمة والتعاون على الخير يجب أن يحافظ الزوجان بالذات على هذه الحقوق والواجبات.

وتفصيل هذه الأمور لا يتسع له المقام، فمنها ماهو واجب وماهو مندوب، وخلاصتها هى فى محافظة الزوج على شعور الزوجة، وتحمل أذاها والغيرة عليها والمحافظة على مالها وتسليتها وإعفافها ومشاورتها والإنفاق عليها والوفاء لها والإحسان فى تطليقها، وكذلك طاعة الزوجة لزوجها والمحافظة على شرفه وعلى شعوره وتدبير المنزل وتربية الأولاد والوفاء له. إلى غير ذلك مما شمله الجزء الثالث من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ففيه كل النصوص والأدلة المنظمة للعلاقة بين الزوجين.

أ. حسين السكرى

من الشجر شجرة لا يسقط ورقها

للقارئ/ أحمد فخرى أحمد على ـ إمام وخطيب ومدرس بإدارة أوقاف نجع حمادى.

ياأحباب رسول الله ﷺ. أخرج الشيخان البخارى ومسلم ـ رحمهما الله ـ عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهى مثل المؤمن حدثونى ماهى؟ فوقع الناس فى شجر البوادى ووقع فى قلبى أنها النخلة، قال عبدالله فاستحييت أن أقول ذلك، فقالوا: يارسول الله: أخبرنا بها؟ فقال رسول الله ﷺ: هى النخلة، قال عبدالله: فحدثت أبى بما وقع فى نفسى؛ فقال: لأن كنت قلتها لكان أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا»، ولهذا الحديث مناسبة لطيفة ذكرها علماء الحديث ملخصها: أن أحد الصحابة أهدى إلى النبى ﷺ قطعة من الجمار، والجمار هو ما يؤخذ من رؤوس النخل بعد قطعها فأكل النبى ﷺ من هذه الهدية وأعطى الجالسين فأكلوا»، وقد يسأل سائل فيقول: وما وجه الشبه بين المسلم والنخلة أو بين النخلة والمسلم؟ وللإجابة على هذا التساؤل أقول: ما أكثر وجوه الشبه بين المسلم وبين النخلة ومنها: أن كل شىء فى النخلة نافع، فثمارها نافعة وجريدها نافع وليفها نافع وجذوعها نافعة والنوى الذى يخرج من ثمرها نافع، وهكذا يكون المسلم ينفع ولا يضر، يجمع ولا يفرق، يصلح ولا يفسد، يبنى ولا يهدم، يعمر ولا يخرب، فالنخلة إذن نافعة فى حياتها وبعد مماتها، فهى فى حالة وجودها ينتفع الناس بثمارها وبجريدها وبظلالها

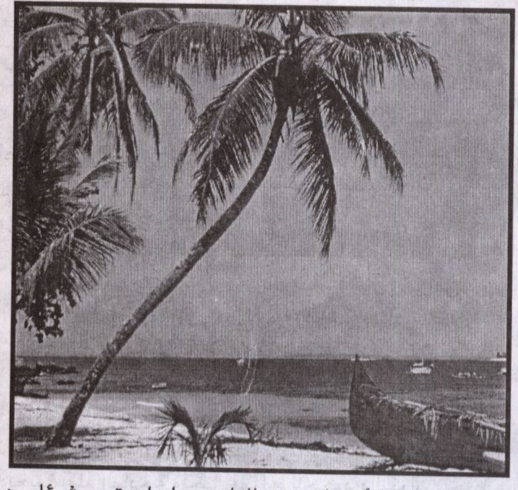

وبعد قطعها أيضا ينتفع الناس بها ولن ترى شيئا من أصولها أو فروعها إلا وفيه شىء ينفع الناس وهكذا يكون المسلم يجب أن يكون كله خير وبركة فى حياته.

***

لقد أراد الرسول ﷺ أن يضرب مثلا حيا وصادقا وماثلا للعيان أمام الصحابة الجالسين معه ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فهذا المثل ملموس أمامهم يرونه فى غدوهم ورواحهم، وكلمة مثلها (مثل المؤمن) فيها إيجاز مفيد وخير الكلام ما قل ودل، وقد كان النبى ﷺ يملك جوامع الكلم، ويكفى أن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قد فطن إلى ما يريده الرسول ﷺ ولكن غلب عليه الخجل، لأنه كان صغير السن وفى الصحابة من هو أكبر منه سنا وبينهم والده ـ رضى الله عن الجميع ـ.

من التـــــــــــراث

للقارئ /مصطفى عبدالعزيز هندام ـ العصافرة ـ دقهلية.

يحكى لنا أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ هذه القصة فى كتاب البخلاء، وهى قصة فريدة لم نسمع بمثلها من قبل لا فى بخلاء العرب ولا فى بخلاء العجم، وهذه القصة وإن كانت غريبة وواقعية تشبه المستحيل وتدخل فى باب النوادر التى لا تتكرر ففيها من الجمود والجحود ونكران الجميل مالم يتيسر لأحد كما وقعت من صاحبها، وخلاصتها كما يقول الجاحظ: من أعاجيب أهل مرو أن رجلا منهم كان لايزال يحج وينحر وينزل على رجل من أهل العراق فيكرمه كثيرا، ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقى: ليت أنى قد رأيتك بمرو حتى أكافئك على قديم إحسانك وما تجدد لى من البر فى كل قدمة، فعرضت لذلك العراقى حاجة فى تلك الناحية فمضى نحو المروزى فى ثياب سفره ليحط عنه رحله كما يصنع الرجل. وضع أنسه، فلما وجده قاعدا فى أصحابه أكب عليه وعانقه فتجاهله المروزى كأنه لم يعرفه قط، فقال العراقى فى نفسه: لعل إنكاره إياى لمكان القناع فرمى بقناعه فكان له أنكر، فقال: ربما الإنكار من جهة العمامة فرمى بها بعد أن نزعها ثم انتسب فوجده أشد إنكارا، وعلم المروزى أنه لم يبق شىء يتعلل به المتجاهل والمتغافل فقال للعراقى: لو خرجت من جلدك لم أعرفك ولا ريب أن العراقى قد شعر بخيبة أمله الفادحة وأحس بمرارة الجحود والنكران وتجرع مرارة الإحباط والخذلان بعد هذه المواجهة التى لم تكن فى الحسبان، ولعله أخذ يجتر هذه المرارة مرددا قول الشاعر:

ومن يصنع المعروف فى غير أهله

يكن حمده ذما عليه ويندم

أو لعله كان من ذوى المروءات والأريحية الذين يصنعون المعروف لوجه الله والخير للخير ابتغاء رضوان الله فتمثل قول الشاعر:

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه

فلن يضيع جميل أينما زرعا

***

الناس أصناف وأشكال وألوان وطبائع وأخلاق وكما قالوا قديما: وبضدها تتميز الأشياء فكيف كنا نميز بين البخيل المتنطع والكريم صاحب المروءة لو لم نعرف ما حاكاه لنا التراث؟ ولعل التراث ملىء بالقصص المتباينة فى زماننا أوفى الزمن الغابر فما أكثر المتباينات والمتشابهات والأضداد، ولو تأملنا قصة سنمار وما لقيه من جزاء ونكران وقتل وهلاك من النعمان ملك الحيرة بعد أن بنى له سنمار قصرا جميلا لم ير مثله من قبل فالقى به من أعالى القصر فخر صريعا حتى لا يبنى غيره لأحد من الناس.

المـرأة فى الإسـلام

للقارئ/ محمد محمود العطار ـ محافظة كفر الشيخ.

يقول ـ تعالى ـ: **﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾** الشورى: آية ٤٩، فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الذكر والأنثى بإرادته وحكمته ولابد من ذلك لاستمرار التناسل وعمارة الكون، ولقد أعلى الإسلام شأن المرأة فأكرم البنت ضمن إكرامه للمرأة بوجه عام وحرم وأدها أو ظلمها فيما تستحقه، قال ـ تعالى ـ: **﴿وإذا الموءودة سئلت* بأى ذنب قتلت﴾** التكوير: الآيتان ٨، ٩. ولقد ساوى الإسلام بين النساء والرجال فى الدعوة وتبليغها وفى شئون المسئولية فى الدنيا والجزاء فى الآخرة، يقول سبحانه: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** النحل: آية ٩٧، وللمرأة فى الإسلام حق العمل والعلم والتملك واختيار شريك حياتها والاحتفاظ باسم عائلتها بعد الزواج وطلب الطلاق، ولقد شاركت النساء فى حياة المجتمع: فى غزوات الرسول ﷺ وطلب العلم، ومن أبرز النساء السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوجة الرسول الكريم ﷺ التى اشتهرت برواية الحديث والسيدة زينب زوجة الخليفة هارون الرشيد التى وفرت الماء لأهل مكة وأصلحت طريق الحج بين بغداد ومكة المكرمة، وروى أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: **«إنما النساء شقائق الرجال».**

***

لم يدخر الإسلام جهدا فى إكرام المرأة والحرص عليها ومعاملتها معاملة طيبة جديرة بالعزة، فقد كانت النساء يعملن فى أكثر من مجال من مجالات الحياة الإسلامية فقد كن يضمدن جراح المقاتلين ويسقين الأسرى حتى إن بعضهن كن يدافعن عن الرسول ﷺ فى بعض الغزوات عندما كسرت رباعيته واعتدى عليه بعض الكفار إلى غير ذلك من الأعمال الأخرى مثل العلم والمعرفة بشئون الحياة الإسلامية.

المعارف العامة فى قصص الأطفال

للقارئ/ محمد عباس عرابى - قارئ وكاتب إسلامى واجتماعى.

تشكل القصة الموجهة للطفل بجميع أشكالها وأنواعها فى الأدب العربى الحديث رافدا قويا لبناء الثقافة المعرفية وإمداد الطفل بالمعلومات العامة، فمهما كان موضوع القصة وحجمها فإن الطفل لابد أن يخرج منها بفائدة معرفية، وعلى هذا فلا يمكن متابعة ألوان المعرفة المقدمة فى مثل هذه القصص، ولكن يمكننا النظر فى طرائق عرض هذه المعارف ونوعية ما يقدم، فهناك بعض القصص تقدم المعلومات مهما كانت صغيرة بأسلوب جميل يناسب عالم الأطفال وفى قالب قصصى محكم، وهذا الأمر نجده فى قصة ملونة مثل قوس قزح لمنى سعيد التى تتحدث ضمن ما تتحدث عن صندوق البريد، وهناك قصص تقدم المفيد النادر فى عالم المعرفة عموما وهو أيضا مفيد للطفل، يفتح له آفاق المعرفة، كما نجد هذا واضحا فى قصة (الطائر الشجاع) التى بينت طائر (البومة فى قتل الهوام الضارة التى أوردها يعقوب الشارونى فى حكايات أعجبتنى) وهناك قصص تقدم معلومات مفيدة متنوعة ولكنها لا تجيد عرضها ولا تستخدم أساليب الإثارة وجذب الانتباه، وخلاصة القول أن القصص الموجهة للطفل العربى الحديث تقدم ألوانا معرفية مفيدة بكافة أشكالها وصورها ولكنها تتفاوت فى أساليب هذا التقديم وفى نوعية المادة المقدمة للطفل.

***

عالم القصة ملىء بالأقاصيص والأحاجى والحكايات، ولكن ليس كل من يكتب القصة يمكنه أن يكتب قصة الطفل؛ لأن قصة الطفل تحتاج لمواصفات خاصة ربما لا تتوافر فى كل كتاب القصة، فعقل الطفل وإدراكه يستوعب نوعا معينا والمعلومة التى يستشفها ويفهمها لها طابع خاص، وهذا ما تريده أنت وما يريده من يكتبون للأطفال، أما من يكتبون القصة الطويلة وأعنى بها الرواية أو القصة القصيرة فقد أجاد فيها كتاب كثيرون مثل نجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس ويوسف إدريس والرافعى والمنفلوطى وغيرهم، وهؤلاء جميعا يحرصون على الحبكة القصصية والهدف المؤدى إلى الغاية النبيلة لعلاج المجتمع وبيان ما فيه من آفات وأضرار سواء أكانت القصة واقعية أو خيالية أو مزيجا من الواقع والخيال.

اذهب فأنت لا تعرفه

للقارئ/ الشيخ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس - عضو نقابة القراء بمصر - كفر الجرايدة - بيلا - كفر الشيخ.

من أقوال الخليفة الراشد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «لا تنظروا إلى صلاة امرئ ولا صيامه ولكن انظروا إلى عقله وصدقه»، وكان مذهبه فى التدين هو تطبيق لمبدأ (الدين المعاملة) أى إحسان التعامل مع الله - جل جلاله - ومع الناس جميعا، فقد سأل سيدناعمر رضي الله عنه عن رجل شهد عنده بشهادة وأراد أن يعرف هل له من يزكيه؟ فقال له رجل: إنى أشهد له وأزكيه ياأمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين: أأنت جاره فى مسكنه؟ قال الرجل: لا، قال: أعاشرته يوما فعرفت حقيقة أمره؟ قال الرجل: لا، قال: أسافرت يوما معه فإن السفر والاغتراب محك الرجال؟ قال الرجل: لا، قال: أمير المؤمنين: لعلك رأيته يصلى فى المسجد قائما أو قاعدا؟ قال الرجل: نعم، قال له سيدنا عمر: (اذهب فأنت لا تعرفه)، وعلى ذلك فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر أهل الإيمان بأن يكونوا مع الصادقين دائما فى أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم ليكون إيمانهم ذا مظهر عملى تطبيقى فى الحياة، لا مجرد إيمان قلبى ونفسى كما يأمرهم بالتقوى التى هى التطبيق العملى لمبادئ الدين فى السلوك مع الله ومع الناس.

***

لقد صدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما قال: فبعض الناس يتخذون من صلاتهم سترا لهم مع أن أعمالهم وأقوالهم وتصرفاتهم وألفاظهم تخالف ذلك، وهذا بطبيعة الحال لا يتفق مع إيمانهم؛ فالإيمان هو التقوى والعمل الصالح والكلمة الطيبة والصدق والمعاملة الحسنة.

وظيفة المال عند كريم قريش

للقارئ/ السيد محمد أحمد منصور ـ طالب بالأزهر ـ الشرقية ـ فاقوس ـ عرب درويش.

أتدرون من هو كريم قريش؟ إنه سعيد بن العاص الذى لقبه بهذا اللقب معاوية فلقد كان سعيد رضي الله عنه يرى أن المال وسيلة لاكتساب المكارم وصيانة الأعراض وسد الحاجات وإغاثة الملهوف وعون الغارقين، وأن العاقل الشريف هو الذى يدرك هذه الحقيقة فيتخذ المال للنفع العام ولا تغلبه نفسه عليه ويمسكه حرصه وشحه فيبوء بسوء القالة فى الدنيا والمؤاخذة فى الآخرة، ولقد قال فى إحدى ما يؤكد ذلك فقال: **«من رزقه الله رزقا حسنا فليكن أسعد الناس به إنما يتركه لأحد رجلين: إما مصلح فلا يقل عليه شىء وإما مفسد فلا يبقى له شىء»**، ولقد زاد هذا المعنى وضوحا حينما أحس سعيد بدنو الأجل وكان دينه قد بلغ فيما يقال تسعين ألف دينار، فسأل بنيه من يكفل دينه؟ فقال عمرو بن سعيد وهو ابنه ووارث مجد أبيه: أنا أكفله وكم هو ياأبت؟ قال: سبعون ألفا أو تسعون ألفا، فسأل ابنه: فيم أدنت هذا المال ياأبت؟ قال: فى لئيم اشتريت عرضى منه أو كريم وفرت عرضه وسددت خلته، وفى رجل أتانى فى حاجة ودمه ينزو فى وجهه من الحياء فبدأته قبل أن يسألنى، فلقد كان سعيد سخيا كريما؛ ومما يوضح ذلك أنه قد جاءه رجل أعرابى فسأله شيئا فقال لغلامه: اعطه خمسمائة، فذهب الغلام ثم رجع فقال: هى من الدراهم أم من الدنانير؟ فقال سعيد: ويحك ما أردت إلا الدراهم فإذا توهمت الدنانير فأعطه إياها، فقبضها الأعرابى ثم جلس يبكى، فسأله سعيد ما يبكيك؟ أليس الله قد قضى حاجتك؟ قال: ولكن أبكى على الأرض أن تأكل مثلك.

***

هذا الرجل يعتبر عملة نادرة فى عالم الرجال!! فرجل هذا شأنه لابد أن يكون قريبا من الملائكة ويعيش أيضا فى عالم نورانى ملىء بالحب والتراحم والمروءة والنجدة والكرم الفياض، ولو وجد فى زماننا هذا عشرة رجال مثله لأخصبت الدنيا وارتفع الجدب والقحط وزال الهم والغم وانقشعت الأحزان، ولا أظن أن عالمنا الذى نعيش فيه يتوفر له أمثال هذا الرجل الهمام الذى تجمعت فيه كل الصفات الإنسانية والاجتماعية والإسلامية فما أعظمه من إنسان ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ.

سنة التغيير والنصر القريب

للقارئ/إبراهيم عبدالنبى الشامى ـ مدرس لغة عربية ـ سنفا ـ ميت غمر ـ دقهلية.

إن الأمة الإسلامية تمر فى هذه الأيام بعواصف كثيرة من العداء والفرقة، وللأسف الشديد أن نرى كثيرا من المسلمين يتسرب إلى نفوسهم اليأس فيقعد عن العمل والأخذ بالأسباب من أجل نهضة الأمة من كبوتها مع أن الشواهد كثيرة على أن النصر والعزة للمؤمنين إن آجلا أو عاجلا؛ فمن السنن الإلهية التى نجدها فى صف المسلمين وتعد من بواعث الأمل سنة التغيير التى قررها القرآن الكريم فى أكثر من آية.

فالذين يتغيرون من الخير إلى الشر ومن الاستقامة إلى الانحراف ومن الصلاح إلى الفساد يغير الله حالهم من النعمة إلى النقمة ومن القوة إلى الضعف ومن العزة إلى الذل ومن الرخاء إلى الشدة، يقول الله ـ عز وجل ـ: **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾** الأنفال: آية ٥٣، وهذه السنة إذا طبقت على أهل الحضارة الغربية الذين مكن الله لهم فى الأرض وآتاهم من كل الثمرات ووسع عليهم فخالفوا الأمانة والمسئولية وطغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد، فهم أهل لأن يعمل الله فيهم سنته فيغير ما بهم ويسحب عنهم القيادة وينقلها إلى غيرهم، ونحن فى أمس الحاجة إلى التغيير من الشر إلى الخير ومن الضلال إلى الهدى ومن الكسل إلى العمل حتى يغير الله ـ تعالى ـ ما بأنفسنا فتعود لنا القوة والعزة مصداقا لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**.

***

سنة التغيير والتبديل قائمة فى كل وقت وحين ولن يستمر الحال، فكم من أمم كانت قاعدة وجاثمة على صدر غيرها من الأمم فأهلكها الله ـ سبحانه ـ وأبادها، انظر إلى قوله تعالى: ﴿الم* غلبت الروم* فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ الروم: الآيات ١ ـ ٤.

ذكــــاء إيـــــاس

للقارئ / عصمت محمد أحمد رضوان - معيد بقسم الأدب والنقد - كلية اللغة بجرجا.

يعد إياس بن معاوية المزنى من أذكى العرب وهو مضرب المثل عندهم فى الفطنة والذكاء، يقول أبو تمام:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم

فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

وإياس بن معاوية هذا أحد التابعين المشهود لهم بالفضل، وقد ولاه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قضاء البصرة لما رأى فيه من فطنة وعلم وورع، ويذكر التاريخ لإياس مواقف عديدة برز فيها ذكاؤه، وظهرت فيها فطنته، فقد ورد أنه فى إحدى السنوات خرج المسلمون لرؤية هلال رمضان وعلى رأسهم الصحابى الجليل أنس ابن مالك رضي الله عنه وكان يومئذ شيخا كبيرا قد قارب المائة، فنظر الناس إلى السماء فلم يروا شيئا، لكن أنس بن مالك جعل يحدق فى السماء ويقول: رأيت الهلال، هاهو ذا، فعجب الناس من أن يرى الشيخ المسن الهلال وحده دون بقية الناس، لكن إياسا جعل ينظر فى وجه الشيخ فرأى أمام عينه شعرة طويلة بيضاء تدلت من حاجبه، فاستأذن الشيخ فى أدب ومد يده إلى الشعرة فمسحها وسواها، ثم قال له: أترى الهلال الآن يا صاحب رسول الله ﷺ؟ فجعل أنس ينظر ويقول: كلا ما أراه، وروى أيضا أن رجلين اختصما إليه فى قطيفتين من صوف احداهما خضراء جديدة والأخرى حمراء بالية، فقال المدعى: نزلت إلى الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتى الخضراء على حافة الحوض، ثم جاء خصمى فوضع قطيفته الحمراء إلى جانب قطيفتى ونزل الحوض وخرج قبلى، فلبس ثيابه وأخذ قطيفتى فألقاها على كتفه ومضى، فقال إياس للمعدى عليه: وما تقول أنت؟ فقال: هى قطيفتى وفى يدى، فقال إياس للمدعى: ألك بينة؟ قال: كلا فقال لحاجبه: أحضر مشطا، فأحضره له، فمشط شعر الرجلين فخرج من رأس أحدهما شعر أخضر من نثار صوف القطيفة وخرج من رأس الآخر شعر أحمر، فقضى بالقطيفة الخضراء لصاحب الشعر الأخضر وبالحمراء لصاحب الشعر الأحمر، فهذان الموقفان وغيرهما يدلان على شدة ذكاء هذا الرجل مما جعله بهذه الشهرة الواسعة بالذكاء والفطنة.

***

ذكاء المرء محسوب عليه وإلا لما كان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قد ولاه قضاء البصرة فقد ولاه القضاء عندما عرف عنه ذكاءه وشدة فطنته حتى لا تضيع أحكام القضاء لعدم الدليل والبرهان وصدق رسول الله ﷺ عندما قال فى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لم أر عبقريا يفرى فريه»، وقال فيه أيضا: «لو كان بعدى نبى لكان عمر»، وهذا لما رآه من شدة فراسته وحضور ذهنه ونزول بعض آيات القرآن الكريم حسبما توقع ونطق، وهذه هى الفراسة وشدة الذكاء.

الصدفة أو الظروف

للقارئة/ منى متولى أبو العطا - قارئة إسلامية مفكرة.

هناك كلمات مخالفة للواقع والحقيقة مثل الصدفة فعلت كذا أو شاءت الظروف، وقد يحدث هذا كثيرا، والقائل يظن أن الصدفة فعلت كل شىء وأن الأمر جرى بغير سابق عهد منه وبغير سابق إعداد، إنه جاء هكذا بلا شىء يضبطه وبلا تقدير من الله عز وجل، وهذا ما توحيه هذه الكلمات وغاب عنه أن كل صغيرة وكبيرة فى هذا الكون إنما تجرى بقدر الله - سبحانه وتعالى - قال - عزوجل -: **﴿ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير﴾** الحج: آية ٧٠، ويقول بعض الناس ما شاء الله وشئت وهو يعلم أن من يتحدث عنه عبد مثله لا يملك من أمر نفسه شيئا، ويقول له: ما شاء الله وشئت أو سأتوكل على الله وعليك أو سأترك الأمر لله ولك، وهو بهذا يساوى بين الله وبين خلقه بهذه الواو التى تحمل معنى التشريك، وقد جاء فيها نهى صريح من النبى ﷺ فى قوله: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان»**، رواه أبو داود، وهناك كلمات مثل: تقامر أو تراهن، كثيرا ما تذكر هذه الكلمات على لسان بعض الناس إذا ما اختلفوا حول شىء ما، فيقول أحدهم للآخر: تراهن على كذا وكذا أو أنه سيحدث كذا؟ جاهلين مافى ذلك من مخالفة لشرع الله - عز وجل -.

الرضاعة الطبيعية للطفل

للقارئ/ جمعة النجار - المنصورة - منية سندوب.

قال - تعالى -: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾** البقرة: آية ٢٣٣، فالرضاعة الطبيعية تحول الطفل العصبى إلى طفل هادئ، فعندما تتكرر الرضاعة وتتكرر معها رؤية وحب الأم الحبيب الهادى الحنون لولدها يتحول مع مرور الأيام إلى طفل أكثر هدوءا من الطفل الذى يعتمد على رضاعة صناعية بالإضافة إلى أن الرضاعة الطبيعية تقى الأم من مرض سرطان الثدى، وقد أوصى المؤتمر الدولى لسوء التغذية الذى انعقد فى جامعة الدول العربية وكان من أهم توصياته: **أولا**: هناك علاقة بين الرضاعة الطبيعية ونمو الجهاز العصبى وقد ثبت أن من اعتمدوا من الأطفال على الرضاعة الطبيعية أقوى ممن اعتمدوا على الرضاعة الصناعية.

ثانيا: أثبتت الأبحاث أن نسبة البدانة فى الرضاعة الطبيعية أقل من الرضاعة الصناعية، وبذلك تعتبر هذه الرضاعة وقاية من البدانة التى يعتبرها الطب الحديث مرضا، ومن مضاعفاتها البدانة فى مرحلة الشيخوخة وهذه لها علاقة كبيرة بتصلب الشرايين وأمراض القلب، **ثالثا**: الأمهات اللواتى كن يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية كن أقل عرضة للإصابة بسرطان الثدى، رابعا: ثبت أن الاستقرار النفسى للأم والعلاقة بينهما تكون أكثر فى حالة الرضاعة الطبيعية التى تزيد من الارتباط بين الأم والطفل.

***

إذا قارنا بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية لوجدنا أن الفرق بينهما شاسعا؛ فأين الحنان والعطف الذى يكتسبه الطفل الرضيع إذا رضع بعيدا عن أمه؟ وكيف يتعلق الطفل بأمه ويتشبث بها إذا لم يحتم بصدرها ويستدفئ به ويسمع أغاريدها ويرى مداعبتها؟ ثم أولا وقبل كل شىء فقد أشار القرآن الكريم فى الآية التى صدرت بها تلك الكلمة بقوله - سبحانه -: ﴿والوالدات﴾ فهن قطعا أولى من أية رضاعة خارجية.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - صفر ١٤٢٥هـ (٦)

السؤال: وعليه فالاستقامة معناها فى الآية ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أى اشتاقوا إلى لقائه وإذا نزل العبد منزلة المشتاقين إلى الله لاتزول استقامته.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال: .... اسم الكاتب: ....

العنـــوان: ....

العمــــل: ....

اسم المتسابق: .... رقم التليفــــون: ....

تاريخ الميلاد: ....

رقم البطاقـــة: .... جهة الصدور: ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٤هـ حتى شعبان ١٤٢٥هـ

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : أحمد محمد محمد شعيرة
الهواية : قراءة القرآن الكريم ـ المراسلة
العنوان : الغنيمى ـ قلين ـ كفر الشيخ

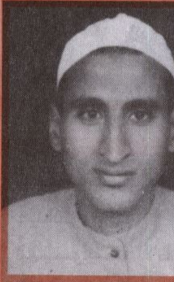

الاسم : محمد أبو الشيخ إسماعيل
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : كفر الحديدى ـ كفر صقر ـ شرقية

الاسم : محمد أحمد حسن
الهواية : الشعر والبحث العلمى
العنوان : بنى سويف ـ سمسطا ـ الفالوجا

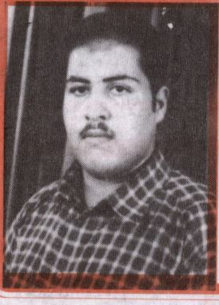

الاسم : فرحات عبدالمقصود القاضى
الهواية : قراءة الكتب العلمية والدينية
العنوان : الشهداء ـ جسر المشروع ـ المنوفية

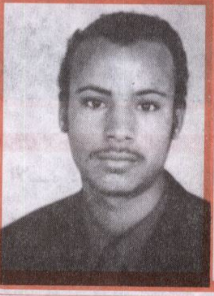

الاسم : عماد عمر إسماعيل
الهواية : الاطلاع الدينى والقراءة
العنوان : قرية أولاد يحيى قبلى نجع الحسين ـ سوهاج

الاسم : مصطفى لطفى السعيد
الهواية : تلاوة القرآن الكريم
العنوان : المقاطعة ـ السنبلاوين ـ دقهلية

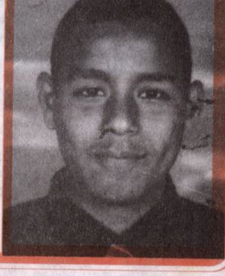

الاسم : أيمن الهادى أبو الحسن
الهواية : الخطابة ـ حفظ القرآن الكريم
العنوان : دنديط ـ مركز ميت غمر ـ دقهلية

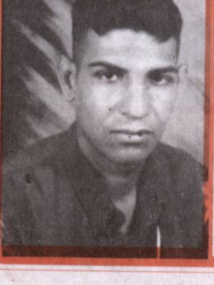

الاسم : السبع أحمد صديق العمارى
الهواية : قراءة القرآن الكريم ـ الكتب الدينية
العنوان: نجع عمار ـ أولاد يحيى الحاجر ـ مركز دار السلام ـ سوهاج

الاسم : محمد عزيز الرحمن رملى محمد

الهواية : قراءة الكتب الدينية

العنوان : عقار ١٠٠ شقة ١٤ شارع العباس - مدينة نصر - القاهرة

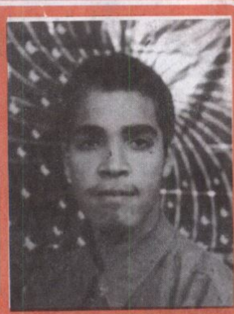

الاسم : محمد السيد فرحات محمد

الهواية : الخطابة والبحث فى السيرة النبوية

العنوان : الهجارسة - كفر صقر - شرقية

الاسم : سعيد محمد عبدالقوى

الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة

العنوان : روضة المغازى - المحمودية - البحيرة

الاسم : خالد محمد رمضان محمد

الهواية : ترتيل القرآن الكريم والشعر

العنوان : البغدادى - بلقاس - دقهلية

الاسم : هاشم إبراهيم محمد عبدالله

الهواية : الخطابة وحفظ القرآن

العنوان : زاوية الناعورة - الشهداء - محافظة المنوفية

الاسم : عوض على أحمد

الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى

العنوان : شبرا قبالة - السنبلاوين - الدقهلية

الاسم : صبرى أحمد غازى

الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى

العنوان: حمدى منيسى المحمودية - محافظة البحيرة

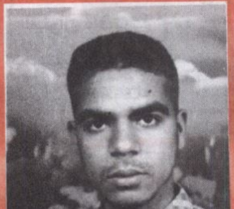

الاسم : محمد السيد محمد أحمد

الهواية : مراسلة الشباب المسلم

العنوان : سوهاج - جرجا - كوم الصياد

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ **كلمة التحرير** ١

□ **حديث الشهر** (هذا العنف الذى يلف العالم أيمكن أن تكون له نهاية)... بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق ٢

□ **القرآن الكريم وعلومه** ٥

● تفسير سورة القلم .... أ. د. محمد سيد طنطاوى ٦

● حديث القرآن عن العلم .... أ. د. محمد نبيل غنايم ١٠

● السنة الماضية (شعر) .... محمد التهامى ١٤

□ **دراسات فى السنة المطهرة** ١٥

● أنواع الحديث الضعيف الناتجة عن فقد شرط الاتصال .... أ. د. أحمد عمر هاشم ١٦

● من جوامع الكلم: التجديد فى الدين .... رجب عبدالمنصف ٢٣

● مع البحترى فى شعر الطبيعة .... أ. د. طه مصطفى أبو كريشة ٢٧

● مشاهد تاريخية من العصر العباسى: مروءة القاضى عباس بن أبى دؤاد.... أ. د. محمد رجب البيومى ٣١

□ **الأسرة فى التشريع الإسلامى** ٣٥

● الأسرة فى الإسلام .... د. سالم محمود عبدالجليل ٣٦

● إنصاف الإسلام للمرأة وتجديد الخطاب الدينى .... الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان ٤٠

● تنظيم الأسرة فى الإسلام .... عرض: حسن أحمد خليل ٤٤

● المؤتمر التحضيرى للجنة الإسلامية للمرأة والطفل .... متابعة: مصطفى إبراهيم خيان ٤٨

● عثمان بن مظعون .... أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى ٥٢

● الدكتور محمود عبده سلام: رائد صناعة الدواء فى مصر .... أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة ٥٧

□ **الحضارة والعلوم** ٦١

● أثر الفكر الإسلامى فى مناهج الإصلاح الدينى فى أوروبا .... أ. د. عبدالحليم عويس ٦٢

● الإحكام والثبات فى أجسام المخلوقات .... أ. د. محمد فتحى فرج بيومى ٦٥

● ويسألونك عن المحيض .... أ. د. عبدالمعبود عمارة ٧٠

● إعجاز الكتاب فى وصف السحاب .... أ. د. كارم السيد غنيم ٧٤

● سيف الدين قطز «فارس من زمن الفوارس» .... كمال عبدالوهاب ٨٢

● مساجد لها تاريخ «مسجد السيدة سكينة» .... محمد كامل شاهين ٨٦

● مفاهيم غربية عن الإسلام .... أ. د. محمد محمد أبو ليلة ٩٠

● دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجانى .... أ. د. محمد عبدالمنعم خفاجى ٩٨

● أثر المخدرات فى تدمير الصحة (شعر) .... عمر موسى موسى البرعى ١٠٢

□ **الدعوة والدعاة** ١٠٣

● نظرية التاميم فى الفقه الإسلامى .... أ. د. محمد الدسوقى ١٠٤

● دعوة الإسلام إلى النظر والتفكر فى خلق الله (٣) .... الشيخ فوزى فاضل الزفزاف ١٠٩

● الانفتاح على حضارات الأمم .... أ. د. أحمد عبدالرحيم السايح ١١٤

● من وراء الأخبار .... منير بيومى ١١٩

● الثورة المعلوماتية ودورها فى التنمية .... إعداد: أحمد حسن ـ صباح المصرى ١٢٢

● قطوف .... إعداد: محمد سيد أحمد ١٢٤

□ **أنت تسأل والفقيه يجيب** .... فضيلة الشيخ عطية صقر ١٢٧

□ **مع القراء** .... يحرره: حسين السكرى ١٣٧

□ **بريد التعارف** ١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

. وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

مكتبة مسجد النور بالعباسية

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر